

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة وهران



كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم العلوم الإسلامية

تخصص: الكتاب والسنة

# مقاصد السور القرآنية دراسة نظرية تطبيقية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تحت إشراف الدكتور:  
لخضاري لحضر

إعداد الطالبة:  
أمينة رابح

## أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	أ.د. يوسي الهواري
مقررا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	د. لخضاري احضر
عضوا مناقشا	جامعة قسنطينة	أستاذ محاضراً	د. بوركاب محمد
عضوا مناقشا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	أ.د. سليمان عبد القادر
عضوا مناقشا	جامعة أدرار	أستاذ التعليم العالي	أ.د. دقورور رابح
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر-1	أستاذ التعليم العالي	أ.د. دراجي محمد

السنة الجامعية: 2012-2013 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة السانیا . قسم : العلوم الإسلامية

تخصص : الكتاب والسنة .

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

# مقاصد السور القرآنية

دراسة نظرية تطبيقية

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية .

إشراف :

من إعداد الطالبة :

الأستاذ الدكتور لخضاري لخضر .

رابع أمينة

السنة الجامعية : 2012م – 2013م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قال تعالى :

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا

إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ

وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

[ النساء 174-175 ]



شكر و تقدير

بعد حمد لله وشكره على نعمه ، وآلائه ، أتوجه بخالص شكري  
و امتناني إلى أستاذي و معلمي الأخصر الأخضر الأخصاري على رعايته  
العلمية وتوجيهاته السديدة .  
و الشكر موصول لأساتذتي بكلية الحضارة الإسلامية والعلوم  
الإنسانية بوهران ، و كذا السادة أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم ترشيد  
هذا العمل .

# المقدمة

## المقدمة:

الحمد لله ذي الجلال و الإنعام ،الذي قصد الشرائع رحمة للأنام ،و الصلاة والسلام على سيدنا محمد مسك الختام ، المبعوث بشريعة التمام ، وعلى آله وصحبه الكرام .

وبعد:

القرآن الكريم رسالة الله الخالدة إلى يوم الدين ،خاطب به الباري عز و جل عباده ، فراعى في خطابه أحوالهم من خلال سنة التدرج في التشريع ، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلق القرآن جملة واحدة ، بل نجوما خلال أكثر من عشرين سنة، وفي ذلك اعتبار للمصالح ، ثم راعى الشارع الحكيم حكما في النظم فجاء كتابه في تناسب عجيب ،وتناسق بديع ، يدل على معان جليلة ،ومقاصد كثيرة، أثارت فضول العلماء الأجلاء والفحول من النظار، الذين أسسوا لفن لطيف يقوم على بيان علل الترتيب، وأسرار الربط بين أجزاء القرآن الكريم . وكذا معرفة أحوال التنزيل ،فصار علما من علوم الكتاب وطريقا من طرق فهم النصوص .

تظهر مكانته هاته من خلال النظر في مدونات المفسرين ،الذين تفاوت اهتمامهم بمقاصد القرآن الكريم بتفاوت قدراتهم ، فإننا نجد من يذكره بين الفينة والأخرى ، كما أننا نجد من جعله مقصدا لديه في التأليف، كالإمام البقاعي في كتابه مصاعد النظر في مقاصد السور .

إن مقاصد القرآن هي محل اهتمام العلماء من زمن التشريع إلى اليوم ،بمختلف أنواعها ، فهي النهج الأمثل لفهم كتاب الله في ضوء النظر الكلي التكاملي ، وهي المنهج الأقوم الذي يحقق الفهم الصحيح لمصالح التشريع ،لقد جاءت هذه الدراسة من أجل المساهمة في توضيح معالم



مقاصد القرآن عامة، ومقاصد السور خاصة، و ضبط قواعد هذا الفن من أجل أن يحقق الغاية المنشودة منه و الملاحظ أن المسالك الخاصة به مازالت تحتاج للبحث و من هنا تقرر ت الإشكالات التالية :

ماهي حقيقة علم مقاصد السور القرآنية، وماهي مناهج العلماء في تقريرها تععيدا وتنزيلا، وكيف يمكن أن نضبط مسالك الكشف عنه، ونوظفه في منظومة الدراسات الشرعية .

### أهداف الدراسة :

لقد جاءت هذه الدراسة لتحقيق أهداف معينة منها ما هو عام ومنها ما هو خاص :

### أولا : الأهداف العامة:

- إثبات الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم و وحدة السورة .
- تكريس النظرة الكلية الشمولية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية .
- إثبات أهمية نظرية المقام اللفظي و الحالي في تفسير النصوص القرآنية .

### ثانيا: الأهداف الخاصة :

- الوقوف على وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .
- التعرف على مناهج العلماء في دراسة مقاصد السور القرآنية .
- الاهتمام بعلم مقاصد القرآن الكريم عامة، ومقاصد السور خاصة .
- ضبط مسالك توظيف مقاصد السور القرآنية في حقل الدراسات القرآنية.
- التقعيد لمسالك الكشف عن مقاصد السور القرآنية .

أسباب اختيار الموضوع: تنقسم الأسباب إلى قسمين:

أولاً: أسباب ذاتية: ويتمثل في ميولي و تعلقي بالنظر الكلي في موارد التشريع، وكذا إيماني بتكامل البحوث العلمية حيث أنني درست منهج الكشف عن المناسبات القرآنية في مرحلة الماجستير. ولا خادم للمناسبات القرآنية إلا العلم بمقصود الجزء.

- ثانياً: أسباب موضوعية:

- تعلق الموضوع بكتاب الله عز وجل .
- جدية الموضوع و قلة العناية به خاصة في مرحلة تسجيله أول مرة .
- كون الموضوع يساهم في التأصيل لفن مقاصد الشريعة الإسلامية.
- الدعوة للقراءة التدرجية لكتاب الله عز وجل ، من أجل تحقيق صلاح الإنسان في الآجل و العاجل .

الدراسات السابقة :

لا يُدعى في مثل هذا المقام سبق في التأسيس لمقاصد السور القرآنية ، فقد كانت محط اهتمام العلماء تأصيلاً وتنزيلاً . بداية مع الرازي ووصولاً إلى المشدالي الجزائري و الشاطبي الأندلسي ، البقاعي وغيرهم .

كما ساهم عدد من الباحثين في خدمته من خلال البحث الأكاديمي :

- قدم الأستاذ رشيد الحمداوي ، بحث: وحدة النسق في السورة القرآنية وهو بحث منشور بمجلة الشاطبي العدد الثالث ، بتاريخ جمادى الآخرة 1428 . حاول الباحث إثبات نسقية السورة من خلال مناقشة مقاصدها و علم المناسبات .

- و نجد بحث الدكتور محمد بن عبد الله الربيعه علم مقاصد السور، نشر سنة 2011 ، حيث أفاض في بيان عناية العلماء بمقاصد السور القرآنية .

- و قدم الباحث سامي بن عبد العزيز عملا متميزا بعنوان الوحدة السياقية للسورة القرآنية في القرنين الثامن و التاسع الهجري دراسة بلاغية . حيث استطاع أن يجمع كما هائلا من نصوص التراث البلاغي و التفسيري المشير لوحد السورة و هذا ما جعله في الكثير من الأحيان يستغرق في مباحث لا أهمية لها في بيان الوحدة السياقية والتي محلها كتب علوم القرآن .

- وفي الجامعة الجزائرية ساهم الدكتور عبد الكريم حامدي في دراسة المقاصد القرآنية تحت عنوان " مقاصد القرآن من تشريع الأحكام " غير أنه ركز على مقاصد القرآن العامة من جهة و من جهة أخرى تناول جانب الأحكام فقط ، كما أخذت الدراسة جانبا و صنفيا لأنواع المقاصد القرآنية ، دون اللجوء إلى دراسة تلك المسالك الخاصة بالكشف عن القصد القرآني مكتفيا بالمسالك العامة التي وقتها العلماء .

من خلال الاطلاع على ما تيسر لي من هاته الدراسات حاولت أن أجعل بحثي هذا لبنة أكمل بها صرح تلك البحوث من ناحية التأصيل الشرعي من خلال الضبط و التقعيد ، فقد تم تحديد مصطلح مقاصد السور القرآنية ، و تحديد أنواع المقاصد القرآنية من خلال تلكم الاعترافات المجتهد في تحصيلها ، كما حصلت مجموعة من المسالك من شأنها أن تساهم في الكشف عن المقاصد الكلية للسورة خاصة .

كما حاولت أن أكشف عن العلاقة التي تجمع المقاصد القرآنية بغيرها من علوم القرآن و كيف يمكن توظيفها في باب القراءة الراشدة للنص لقرآني .

#### مصادر البحث :

تنوعت مصادر هذا البحث بين القديم والحديث ، غير أن اعتمدت في الإحالة كان على تلك المدونات الرائدة في الباب ككتاب الموافقات للشاطبي ، وكتاب نظم الدرر ومصاعد النظر للبقاعي و كذا أمهات التفسير كتفسير الرازي و ابن عاشور ، وغيرهم ، رحمهم الله جميعا .

#### المنهج المعتمد :

تم الاعتماد على المنهج الاستقرائي الاستدلالي في مجمل البحث ، كما اعتمدت على المنهج التاريخي في بعض المباحث ، بالإضافة إلى المنهج الوصفي الذي أستعين به لعرض الفروع المستنبطة .

#### منهج التوثيق :

بالنسبة إلى الجانب التوثيقي ، فقد تم ترك كتابة معلومات الكتاب ، بحيث تذكر في قائمة المصادر والمراجع ، وقد تم تصنيفها وفق الترتيب الألفبائي .



أما بالنسبة لتخريج الأحاديث فقد اكتفي عند الصحة بالإحالة لكتبات الصحاح ، وفي حالة وجود إشكالات متعلقة بدرجة الحديث فإني أحاول ضبط تخريجه من أجل ضبط درجته و بيان حكمه و ذلك خدمة لصحة الاستدلال .

أما الآيات فإني أذكر عزوها في المتن ، و قد تم نسخها من خلال مصحف إلكتروني خاص ببرنامج الوارد برواية حفص عن عاصم .

أما الأعلام فلم يترجم إلا للبعض ، ممن استدعت الضرورة الترجمة لهم تعريفاً بهم للقارئ .  
ذيلت البحث بفهارس خاصة بالآيات و الأحاديث تسهل الرجوع إلى موضعها من البحث .  
و قد عدلت عن وضع فهرس للأعلام ، خاصة أن جل ما ذكرته من أعلام المفسرين واضح محله من البحث في الجزء الخاص بالنشأة .

### صعوبات البحث :

كأي عمل علمي تواجهه الباحث صعوبات كثيرة من بداية البحث إلى نهايته ، غير أنه يجب عليه التأقلم معها من أجل تحقيق أهداف البحث العلمي من تكوين علمي ونفسي- للباحث و لعل أهم الصعوبات طول مدة البحث و تفرق أجزاءه و مظانه.

ومن الصعوبات العلمية تداخل مباحث الفنون ، وصعوبة الفصل بينها خاصة في حقل الدراسات القرآنية .

### عرض خطة البحث :

قسم البحث إلى مدخل وفصلين ، سيق المدخل لبيان ومناقشة بعض الخصائص الإعجازية في الخطاب القرآني و في مقدمتها التسوير و حسن الترتيب . كما تم التعرف على المدارس المقاصدية للنظر في النص من أجل الإشارة للمدرسة الراشدة في هذا الباب .

جاء الفصل الأول، كدراسة نظرية لضبط المفاهيم، و بيان الأنواع، و مناقشة الأدلة المثبتة للمقاصد القرآنية . و قد قدم للفصل بمبحث مهم حصل فيه مناهج العلماء للنظر في كلية السورة، و تبيان مقاصدها، و تم الإشارة للمشاركة الجزائرية في الباب على يد المشدالي البجائي، صاحب قاعدة مراتب الجزء وعلاقته بتحقيق الغرض .

أما الفصل الثاني، فهو عبارة عن دراسة ضابطة لتلك المسالك الكاشفة عن مقاصد السور القرآنية، و التي من شأنها أن تجعل المقاصد القرآنية في مصف القطعيات ، حيث تم التأكيد على المسالك الخاصة بالمقصود الكلي للسورة ، دون غيرها من المسالك الأخرى، التي يتم دراستها ضمن منظومة المسالك الكاشفة عن المقاصد الجزئية كمقاصد الشريعة الإسلامية كما تم دراسة بعض طرق توظيف مقاصد السور في حقل الدراسات القرآنية. و من شأن هذا المبحث أن يظهر شبكة العلاقات الجامعة بين مختلف فنون علوم القرآن، و يختتم الفصل بمبحث تنزيلي لتلك المسالك التي تم توظيفها للدلالة على المقاصد القرآنية الخاصة بسورة مختارة من القرآن ، وهي سورة الفاتحة التي تعد أم القرآن، و مفتاح معانيه لما احتوته من مقاصد .

و ختاماً لا يسعني إلا أن أحمد الله على نعمه و توفيقه لإنجاز هذا البحث العلمي ،

فالحمد لله عليه توكلت و إليه أنيب و هو رب العرش العظيم .

المدخل :

هي مقدمات سيقت للدلالة على تميز الخطاب القرآني بظواهر إعجازية قائمة على نظم بديع اختيرت أجزاءه لخدمة مقصود معين، كما تميز الخطاب بعدم إهمال المتلقي فاعتبرت أحواله و معهوده . و ختمت هاته المقدمات بإشارة مهمة لمراتب النظر في الخطاب و ترشيدها حيث توزعت تلك الأنظار بين اعتبار اللفظ دون غيره ، أو اعتبار المعنى دون الالتفات لظواهر النص .

أولا : بيان لبعض خصائص الخطاب القرآني .

أ - توطئة لضبط مصطلحي المعجزة و الإعجاز .

ب- من خصائص الخطاب القرآني مراعاة أحوال المكلفين .

ج- من خصائص القرآن الإعجاز في تسوير الآي .

د - من مظاهر التسوير تناسب اللفظ لموضعه والجمل لموضعها داخل السورة .

هـ - من خصائص الخطاب القرآني تميز المفردة القرآنية بموضعها .

ثانيا : مراتب النظر إلى النص القرآني :

أولا : المدرسة الباطنية .

ثانيا : المدرسة الظاهرية .

ثالثا : مدرسة ذي الأمرين .



## أولا : بيان لبعض خصائص الخطاب القرآني :

في هذه المقدمات سنبين بعض أوجه الإعجاز ذات الصلة بموضوع المقاصد . و قبل الشروع في بيان المقصود يتوجب علينا التوطئة بتعريف الإعجاز و المعجزة .

### أ - توطئة لضبط مصطلحي المعجزة و الإعجاز :

القرآن الكريم رسالة الله الخالدة ، والمعجزة البينة التي سقطت أمامها حجج الناكرين والمعاندين ، على مر العصور والأزمان . و إعجاز هذه الرسالة دليل قاطع " أن القرآن كلام الله ومن عنده ، و دليل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم .... هذه الحقيقة لا خلاف عليها لدى المؤمنين الموحدين ، و إنما الخلاف في الوجه أو الوجوه التي كان منها الإعجاز " .<sup>1</sup>

فالمعجزة في اللغة اسم فاعل من الإعجاز ، و الإعجاز مصدر للفعل (أعجز).

و العجز و هو التأخر و القصور والضعف <sup>2</sup> . و يقول صاحب اللسان " ومعنى الإعجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ، يقال: أَعْجَزَنِي فلان أي فاتني؛ ومنه قول الأعشى: فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ المَوْتِ رَبَّهُ، ولكن أتاه الموتُ لا يَتَّبَعُ ، وقال الليث: أَعْجَزَنِي فلان إِذَا عَجَزْتُ عن طلبه وإدراكه. " <sup>3</sup> .

إذن هي سبق وقوة وتقدم في مقابل المتأخر و الضعيف الذي لم يستطع الإدراك.

1 عبد السلام اللوح ، حوار مع الرماني في وجوه الإعجاز ، 2

2 الراغب الأصفهاني ، في غريب القرآن ت : محمد سيد كيلاني ، 322

3 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عجز .

ومن ناحية الوضع الشرعي نجد أنه من المصطلحات المحدثه حيث أن القرآن الكريم لم يرد فيه هذا اللفظ بل وردت ألفاظ أخرى مقاربة له كمصطلح الآية والبرهان.

قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَعَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء 59]

وقال تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت 50/51].

و الحقيقة أن هذه الألفاظ ليست مرادفة لمعنى المعجزة أو الإعجاز بل تدل "على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد، وهذا الجزء يقابل كلمة الدليل أو الحجة".

في حين أن أول استعمال للمصطلح " فيما نعلم هو كتاب محمد بن يزيد الواسطي ، ومن الواضح أنه أُلّف في أواخر القرن الثالث من الهجرة أو في مطلع القرن الرابع ، وقد وردت فيه كلمة معجزة ، ثم أخذت كلمات : آية وبرهان وسلطان ، تقل بعد ذلك في الاستعمال وتحل محلها كلمة معجزة في بحث مسألة النبوة وقضية الإعجاز . من أصعب الأمور الآن أن نبين الأطوار والمراحل التي مرت بها كلمتا معجزة وإعجاز " (2) .

1 نعيم الحمصي ، فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصر الحاضر ، 7 .

2 المرجع نفسه ، ص 8 .

عرف مصطلح المعجزة السيوطي فقال : " اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة " <sup>1</sup>.

و هذا التعريف منتقد لأنه يفتقر لذكر الأركان والشروط، حيث أنه لم يبين من هو المختص بالمعجزة، ولم يذكر شرط موافقتها لدعواه حتى يتحقق صدق المدعي للنبوة أو كذبه <sup>2</sup>.

عرفها من المعاصرين فضل عباس قال: " هي أمر خارق للعادة يدل على تصديق الله تعالى للمدعي في الرسالة ، أو هي تأييد الله تعالى مدعي النبوة بما يؤيد دعواه إلى المرسل إليهم " <sup>3</sup>.

و أجمع التعاريف تعريف عبد السلام اللوح <sup>4</sup>.

الذي يقول فيه : "أمر خارق للعادة والمألوف من الفعل أو الترك يجريه الله على يد نبي أو رسول على وفق مراده ؛ ليبرهن على صدقه مقروناً بالتحدي مع عدم المعارضة وذلك في زمن التكليف " <sup>5</sup>.

أما إعجاز القرآن فهناك من عرفه بقوله : "عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن و قصورهم عن الإتيان بمثله ، رغم...قيام الداعي على ذلك و هو استمرار تحديهم و تقرير عجزهم " <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 2 / 238.

<sup>2</sup> عبد السلام اللوح، الإعجاز العلمي في القرآن، 6.

<sup>3</sup> فضل عباس، إتقان البرهان، 1 / 108

<sup>4</sup> باحث فلسطيني، متخصص في علوم القرآن و التفسير، أستاذ مشارك بجامعة غزة الإسلامية، له الكثير من الآثار العلمية المتعلقة بالتفسير الموضوعي وعلوم القرآن، ينظر الترجمة على الموقع الشخصي للشيخ،

[/http://site.iugaza.edu.ps/ahamdan/cv](http://site.iugaza.edu.ps/ahamdan/cv)

<sup>5</sup> عبد السلام اللوح، المرجع السابق، 6.

<sup>6</sup> صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني، 17،

المدخل: إبراز خصائص الخطاب القرآني و مراتب النظر فيه .

فالإعجاز هو مصدر قرن بالقرآن و إضافته إلى القرآن " من إضافة المصدر لفاعله فكأن التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله ، ومعنى ذلك أن هذا القرآن دل بما فيه من بيان على أنه من عند الله ، وثبت عجز الناس عن يأتوا بمثله " <sup>1</sup> .

فاتصاف القرآن بالإعجاز يعني أنه "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة" <sup>2</sup> .

ب- من خصائص الخطاب القرآني مراعاة أحوال المكلفين :

من حكم الباري عز وجل أنه راعى أحوال المخاطبين، فكان يؤيد رسله بمعجزات تناسب وحال أقوامهم ، وتقاربها من حيث الظاهر .

فكانت معجزات الأنبياء الذين عاشوا في بلاد العرب الصحراوية موافقة لبيئتهم فمعجزة صالح كانت الناقة الغريبة بين أهل النوق ....، ولما كان سيدنا موسى ممن عاشر قوما تأثروا بالسحر أيده الله بمعجزة مادية توافق ميولهم .

قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل 12]

قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء 32]. فكانت معجزاته لا تخالف واقعهم القائم على تداول السحر و لكنها ليست بسحر ، و أهل الدراية منهم

1 فضل عباس ، سناء عباس، إعجاز القرآن الكريم ، 28 .

2 نعيم الحمصي ، مرجع سابق ، 7 .



يميزون بين السحر وغيره و بين ما هو بشري و ما هو أكبر من طاقة البشر ، لذا كانوا أول من آمن بموسى عليه السلام .<sup>1</sup>

و بعث سيدنا عيسى و قد انتشر بين بني إسرائيل العلم المادي ، حيث ابتعدوا عن شريعة موسى ، فجاءت معجزة عيسى عليه السلام تقويضا للمادة قال الله تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران 49] ، فسيدنا عيسى كان يعالج المرضى معالجة إعجازية، و قد كان الأطباء يعجزون عن ذلك .<sup>2</sup>

إن المعجزات السابقة للقرآن معجزات مادية تنتهي بوفاة صاحبها ، بل ربما تنتهي في حياته ، أما معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت مخالفة لما سبق ، معجزة عقلية ، غير محددة بزمان ، بل هي باقية بقاء الإنسان على الأرض .<sup>3</sup>

فالقرآن إذن جاء في قوم هم فرسان البيان ، و أهل الفصاحة و البلاغة و اللسان ، و هو كتاب تام الهداية ، لا تقتصر على مجال دون مجال ، أو مكان دون مكان أو شعب دون شعب .<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن ، 35، ينظر فضل عباس ، إعجاز القرآن، 24

<sup>2</sup> صلاح عبد الفتاح الخالدي ، إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني ، 25

<sup>3</sup> فضل عباس ، المرجع السابق، 27.

<sup>4</sup> فضل عباس ، إتقان البرهان ، 1/ 109.

لقد تحداهم في بداية الأمر بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور 34]  
ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور فقال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ  
مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَعْطَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود 13] .

ولما عجزوا عن ذلك تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ، قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ  
قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَعْطَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس 38] .

وفي آخر المراحل طالبهم بأن يأتوا بسورة تشبهه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي  
رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة 23] .

إن القرآن الكريم تحدى العرب " أن يأتوا بسورة من مثله ويشمل هذا التحدي قصار السور كما  
يشمل طولها ، فهو تحداهم بسورة الكوثر و الإخلاص و المعوذتين و النصر و لإيلاف قريش  
أو أية سورة يختارونها ... " <sup>1</sup> .

اختلفت الأنظار في تحديد أوجه إعجاز القرآن ، فمنهم من رأى أنه معجز ببيانه ، و اعتبر أعظم  
وجوه الإعجاز لكونه ينتظم ، ومنهم من رأى أنه معجز من أكثر من وجه ، وهو المختار عند  
العلماء ، فالقرآن " معجز بكل ما تتسع له كلمة الإعجاز ، وبكل ما يشتمل عليه القرآن من  
مجالات متعددة " وقد أوصل بعض العلماء أوجه الإعجاز إلى أكثر من ثلاثين نوع كالسيوطي  
مثلا ، رغم أن الكثير منها مكرر يستحق الدمج <sup>2</sup> .

<sup>1</sup> فاضل السامرائي ، التعبير الفني في القرآن ، 9 .

<sup>2</sup> فضل عباس ، إعجاز القرآن ، 136 .

نحاول فيما يلي بسط القول في بعض أوجه الإعجاز و خصائص التعبير القرآني المتعلقة بمقاصد السور القرآنية .فسنبحث في مسائل متعلقة بنظم السورة ووحدها وبكل ما يخدم ذلك من إعجاز لفظي ومعنوي .

### ج- من خصائص القرآن الإعجاز في تسوير الآي :

لقد جاء القرآن الكريم بتقسيم بديع ،فسور الآيات وجمع بين الموضوعات المختلفة تحت مسمى واحد ، وفي هذا حكم جليلة اختلف العلماء في تحصيلها .وكونه سور متعددة حجة بالغة على أنه معجز ومن عند الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويربي المكلفين ويحقق مصالحهم ، " وهذه الترتيب لا تكون وارفة الظلال ،دانية القطوف ، قريبة الجنى ، كثيرة الثمرات ، لو لم يكن القرآن الكريم سورا متعددة " .<sup>1</sup>

فتسوير السور ينهنها إلى كون أن كل سورة معجزة بذاتها سواء كانت من طوال السور أو من قصاره .

كما أن السورة الواحدة هي فن مستقل لها مزاياها و خصائصها وشخصيتها وموضوعاتها و هي لا تشبه غيرها من السور .

ومن حكم التسوير كذلك جمع النظير إلى النظير وضم المتشابه من المعاني و في ذلك يقول الزمخشري : "إن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال و النظائر و ملائمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحظ المعاني و النظم " .<sup>2</sup>

<sup>1</sup> فضل عباس ، إتقان البرهان في علوم القرآن ، 1/ 447 .

<sup>2</sup> الزمخشري ،الكشاف ، 1/ 98 .

كما أن القارئ ينشط لزيادة القراءة والتدبر من أجل تحصيل معانٍ أوفر وأكثر من خلال السور التالية.<sup>1</sup>

لقد أشار الرازي لأهمية نظم الآيات وترتيبها في السورة الواحدة فقال: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة - أي سورة البقرة - وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما إنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا أنه معجز بسبب نظم أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف ، غير منبهين لهذه الأسرار ، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل : والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في صغر"<sup>2</sup> .

### آثار تسوير الآي القرآني :

من آثار تسوير الآي تجد توزع الأحكام المختلفة عبر جميع السور: فلا تجد مثلا سورة خاصة بالعقيدة و أخرى خاصة بالمعاملات و أخرى خاصة بالعبادات بل أحكام التشريع تمتاز بأحكام الأخلاق و بأحكام العقائد .

و في ذلك مقاصد عالية وهي التذكير دائما بالمقصد الكلي للقرآن ، وهو تحقيق الهداية دائما ، فتجد "حينما يشرح لك أحكاما في العبادات أو المعاملات أو غيرها ، يسلك أيضا المنهج ذاته ، فهو يحاذر أن تستغرق في التأمل بهذه الأحكام من حيث هي علم أو فن برأسه ....."<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> السيوطي ، المصدر السابق ، 1/ 231، ينظر فضل عباس ، المرجع السابق ، نور الدين العتر ، علوم القرآن ، 40،

<sup>2</sup> الرازي ، مفاتيح الغيب ، 7 / 138 .

<sup>3</sup> البوطي ، روائع القرآن ، 122 .

فالقرآن حينما يمزج بين الأحكام في السور المختلفة إنما يهدف بذلك إلى مراعاة مقصدين: الأول قريب و هو جمع المعاني المشتركة التي تكون السورة الواحدة و المقصود الكلي الواحد . و الثاني فيه تذكير بالمقصود الكلي للقرآن و الذي " يدور جميعه على معنى كلي واحد هو دعوة الناس إلى أن يكونوا عبيدا - لله تعالى - ..."<sup>1</sup> .

غير أن هناك من اعتبر أن المنهج القرآني في عرض الأحكام منهج غير منظم ، حيث أنهم حاكموا القرآن لكتبهم و مناهجهم المعاصرة في العرض و التقسيم . فيقول أحد المستشرقين المدعو ويلش : "معظم سور القرآن تبدو و كأنها مكونة من مقاطع أو أجزاء مختلفة ، متنافرة و غير مترابطة و لا يجمعها عنوان واحد و محدد و لا نسق موضوعي بعينه ....."<sup>2</sup>

ويقول آخر : "أما باقي السور الطويلة فهي تتناول مواضيع مختلفة تتحدث عنها مواضع مختلفة من السورة ، و كأن القرآن يعطي للقارئ انطبعا بأنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية ...."<sup>3</sup>

"لقد حاولوا تعليل هذه القضية التي أقنعوا أنفسهم بها ، وهي عدم الترابط بين أجزاء السورة بعلل مختلفة ، فرجعها بعضهم إلى سداجة الأسلوب و ركاكته ، ورجعها بعضهم لغرض مقصود وهو عدم الملالة و السامة ، ورجعها آخرون إلى ركاكة في المعنى ، و آخرون حملوا ذلك الخطأ للصحابة رضوان الله عليهم ، بأنهم لم يحسنوا ترتيب الموضوعات في السورة الواحدة"<sup>4</sup> .

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، 121 .

<sup>2</sup> محمد أبو ليلة ، القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي دراسة نقدية تحليلية ، 193 .

<sup>3</sup> فضل عباس ، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ، نقد مطاعن و رد شبهات ، 74 .

<sup>4</sup> المرجع نفسه ، 87-79 .

في الحقيقة نجد أن هؤلاء قاسوا كتابا مصدره الله بكتب مصدرها الإنسان ، ومن خصائص ربانية التشريع ، الوصول إلى المكلف من خلال مخاطبة عقله ووجدانه و لا يتم ذلك إلا من خلال المزج بين الأحكام المختلفة وبهذا تجد "الأوامر والنواهي لا تساق جافة مجردة عن معاني الترغيب والترهيب ، وإنما تورد مخوفة بأنواع من المعاني ، التي من شأنها أن تخلق في نفوس المخاطبين بها : الهيبة ، والمراقبة و الارتياح و الشعور بالفائدة العاجلة والآجلة ، يدعوهم كل هذا إلى المسارعة إليها ، وامثال الأمر فيها ، نظرا لمقتضى الإيمان ، و بداعية الرهبة و الرغبة . و هذا هو الوازع الديني الذي يسعى للإسلام لغرسه في نفوس المؤمنين ، لينقادوا إلى الحق ..."<sup>1</sup>

فعرض القرآن للأحكام بتلك الطريقة هو تميز و إعجاز و استقلال "عن كل ما هو مألوف و معروف من طرائق البحث و التأليف .... و هناك شيء آخر هو أن من الخطأ في أصل النقد و البحث أن نحاكم القرآن في منهجه و أسلوبه إلى ما تواضع عليه الناس اليوم ..."<sup>2</sup>

ومن آثار التسوير تميز السورة بخصائص معنوية رغم اشتراكها مع غيرها في معاني

و أحكام متكررة أو ألفاظ متشابهة ، و مرد هذا الأمر إلى أغراض أساسية منها إنهاء حقائق الدين و معاني الوعد والوعيد إلى الناس عن طريق تكرارها في صور و أشكال مختلفة من التعبير و الأسلوب مع مراعاة سياق كل السورة ، وما يتلاءم معها و وحدتها الكلية .

ومن أغراضه كذلك التنوع في الأسلوب و التغير في القوالب اللفظية حتى يخرج المعنى في كل مرة بثوب جديد من أجل التأثير في المكلف حتى يتحقق الامتثال لأحكام الشرع و الالتزام

<sup>1</sup> محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة و شريعة ، ، 488

<sup>2</sup> محمد شيخون ، الإعجاز في نظم القرآن ، 76.



بالتشريع ، وكل ذلك في إطار السورة التي تضمه ، لأن كل سورة "سيقت لغرض معين ، وموضوع عام تعالجه بمجموعها ، فتعرض لحكم أو أكثر مما سبق ذكره في سورة متقدمة نظماً ، ولكن تناوله في الموضوع المتأخر هذا كان لغرض غير الذي ذكر من قبل ، فكل منهما تابع للمعنى العام للسورة" <sup>1</sup> .

ومن آثار التسوير تميز السورة بقصص قرآني يتلاءم و مقصودها و وحدتها الكلية ، فتجد مثلاً حديثاً عن بني إسرائيل في سورة البقرة حيث جاء التذكير بالنعمة التي من بها الله عليهم ولم يشكروها ، لذلك جاء الحديث عنهم على شكل مقاطع و فقرات في التذكير بها ، قال تعالى :

﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ

وَإِيَّيَ فَآرْهُبُونَ﴾ [البقرة 40] . و خواتيم الحديث عن النعم جاء تذكير آخر بها ، قال

تعالى : ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة 47] . <sup>2</sup>

جاءت هذه الأحداث من حياة بني إسرائيل لتمتج مع موضوع السورة ، و ما فيها من أحكام وتوجيهات وتشريعات تخص المجتمع المسلم ، و تنظم علاقاته الداخلية و الخارجية أفراداً و جماعات . و من خلال هذه الأحكام و هذه التشريعات تعرض السورة لأحداث و مقتطفات من حياة بني إسرائيل تتناسب و جو هذه الأحكام ، مثلاً تعرض السورة لموضوع الجهاد و

<sup>1</sup> إبراهيم الحامدي ،النظم القرآني و أثره في الأحكام ، 242

<sup>2</sup> لم يتم مراعاة الترتيب التاريخي في ذكر قصص الأنبياء .

الأمر بالقتال في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة

244]، فتأتي السورة قبله بحديث عن بني إسرائيل دعاهم فيه نبيهم إلى القتال ففروا خشية

الموت قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ

فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة 243]

و تأتي بعده -أي بعد الأمر بالقتال -بحديث آخر أيضا عن حياة بني إسرائيل كله

حديث عن القتال و ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ

مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ هُمْ أَبَعَثْنَا لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ

أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة 246] <sup>1</sup>

فعرض مشاهد القصص يكون وفق سياق السورة العام ، و يتلاءم مع الأغراض المرادة من

تلك المشاهد ومن القصة عموما ، وحتى تكرار ذكرها لا يكون إلا خدمة لمقاصد قرآنية

متنوعة . فالأصل في نصوص القرآن تكامل موضوعاتها على مستوى السورة أو على مستوى

<sup>1</sup> سليمان الدقور، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني، 210-211

القرآن ككل فكل نص من النصوص الواردة حول موضوع واحد ، يشتمل على ما يملأ فراغ حبة في عقد الموضوع و في عقد السورة كذلك ، ويمتاز ببيان فكرة ، إذا انضمت مع سائر الأفكار أباتها سائر النصوص في سياق السورة وفي سياق القرآني الكلي ....<sup>1</sup>

#### د - من مظاهر التسيير تناسب اللفظ لموضعه والجمل لموضعها داخل السورة :

تتكون السورة القرآنية من آيات ، جمعت بينها معاني مشتركة ، و تلك الآيات ليست إلا كلمات جاءت لتخدم المعاني كذلك ، لقد بحث العلماء قديما وحديثا مظاهر الإعجاز و قد كان لنظم الكلمات و الجمل حيزا مهما من تلك الدراسات ، و نحاول الآن أن نذكر بعضا من تلك الخصائص التي تخدم مقاصد القرآن عموما ومقاصد السورة خصوصا .

#### هـ - من خصائص الخطاب القرآني تميز المفردة القرآنية بموضعها :

إن الكلمة في جمل القرآن "بمنزلة الفريدة من حب العقد ، فلا يقع مثلها لمخلوق ، ولا يستطيع أحد الإتيان بمثلها ، ولا يكاد يقع ذو ذوق سليم ، وذهن مستقيم على شبهها"<sup>2</sup>. لقد دعانا القرآن إلى الدقة في التعبير ، وحسن اختيار الألفاظ ، فلا يصح أن يقع لفظ مكان آخر ، و بذلك تضل المعاني بين الاحتمالات ، و تتوه الأغراض والمقاصد قي ضلال الشك قال الله

تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا<sup>ط</sup> قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ

الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ<sup>ط</sup> وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا<sup>ج</sup> إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ [الحجرات 14] .

<sup>1</sup> حبنكة الميداني ، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ، ط:2، 70 .

<sup>2</sup> عبد الفتاح لاشين ، من أسرار التعبير القرآني ، 15 .

فقد نبه القرآن إلى ضرورة التعبير بالمصطلح الأدق الموصل لحقيقة الشيء ،فيأمرهم أن يقولوا أسلمنا بدلا من آمننا .

و قد كانت كلمة راعنا من الكلمات التي تقولها اليهود و فيها تهكم و رعونة ،فقال تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا تَحْرِفُونَ أَلَكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِالسِّنْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ<sup>١</sup> وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[النساء 46] ، فأمر القرآن المسلمين بتركها و الابتعاد عنها ، واستبدالها بمرادف لها ، لا يملك السفهاء تغييره أو تحريفه ، قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظُرْنَا وَأَسْمَعُوا<sup>٢</sup> وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة 104]

من آثار دقة الموضوع دقة معانيها ، فتجد الكلمة القرآنية تؤدي وظيفتها الدلالية بتميز بالغ يحير عقول البشر ،فالكلمة القرآنية تمتاز عن سائر مرادفاتنا بتطابق المعنى المراد معها "فمهما استبدلت بها غيرها ، لم يسد مسدها و لم يغن غناءها ، ولم يؤد الصورة التي تؤديها " <sup>٢</sup> .ومن نتائج دقة الوضع حسن اتساق الكلمات داخل الجمل و الجمل ضمن سياق المقطع أو ضمن

<sup>١</sup> المرجع نفسه ،9 .

<sup>٢</sup> البوطي ، روائع القرآن ،145 .

سياق السورة ككل "فالكلمة بما تستوعبه من معنى تتجاوب مع سائر الكلمات داخل العبارة ، فتتداعى المعاني بتسلسل منطقي " <sup>1</sup> .

فالآية هي اللبنة الأساسية المكونة للسورة ، بحيث تبرز صورة واضحة ، عن التماسك و البناء ، فهي بما تحويه من كلمات مترابطة ، إذا انتظمت مع غيرها من الآيات في إطار السورة القرآنية ، تشكل وحدة كاملة المعالم ، فالآيات عبارة عن أجزاء تركيبية ، لا يكتمل مقصد السورة إلا بمراعاتها و اندراجها ضمن النظم القرآني ، مع غيرها من آي الذكر الحكيم ، و هذا لا ينفي كون بعض الآيات قد اجتمعت لتخدم مقاصدا جزئية في إطار السورة العامة. <sup>2</sup>

### ثانيا : مراتب النظر إلى النص القرآني <sup>3</sup> :

لقد جاء القرآن الكريم ليحقق الصالح للناس في جميع الأزمنة والأمكنة ، في بداية التنزيل كان من السهل جدا الوقوف على تلك المعاني و الهدايات المرجوة ، لوجود النبي صلى الله عليه وسلم ووجود أصحابه من بعده ، الذين عرفوا التشريع و مقاماته و منازلهم . و مع بعد الشقة عن جيل التنزيل بدأت تختلف الأنظار إلى الكتاب من أجل ترجمة معانيه و اقتناص مقاصده ، خاصة مع ظهور تلك الاختلافات العقائدية ، التي أدت إلى انتشار التعصب ، الذي يعرف

<sup>1</sup> إبراهيم الحامدي ، مرجع سابق ، 79 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، 93-94

<sup>3</sup> مراتب النظر في الحقيقة هي ليست إلا مدارس تأويل النص حيث أنها تتأثر بمدى القرب من ظاهر النص أو الغوص في أعماق معانيه . ينظر محمد جهلان ، فعالية القراءة و إشكالية تحديد المعنى في النص القرآني ، دار صفحات ، 2008 م .

بأنه: "الاتصار لمذهب معين في أصول العقيدة ، أو فروع الفقه ، أو قضايا السياسة ، مع التجرد عن الإنصاف ، والعراء عن الدليل و الغلو في تقديس الرجال"<sup>1</sup>

ف"لقد اختلفت الأبواب في وجهة تقصيد الخطاب ... وتباينت عباراتهم تباينا اقتضاه التعادل بين مقولة اللفظ ومقولة المعنى على وجه قد يجمع النظر بينهما ، أو قد يحوم حول الوجود البياني معرضا عن وجوده في المعنى النظري ، وقد يتعلق بعكسه معولا على أن السياق سيق لتحصيل المعاني، فهو مقصود قصد الوسائل لا الغايات وهذه وجهة مطردة عند أربابها في جميع موارد التشريع حتى لا يبقى في ظاهرها متمسك يمكن أن يلتمس منه معرف مقاصد الشارع"<sup>2</sup>. وفيما يلي تفصيل لتلك المدارس و تلك النظرات المتباينة للخطاب القرآني .

### أولا : المدرسة الباطنية<sup>3</sup> :

رواد هاته المدرسة هم الإسماعيلية أو الشيعة الفاطمية ، أو الإثناعشر . و من قواعدهم التفسيرية الاعتقاد بأن للقرآن معاني باطنة مخالفة لظواهر النص . و بالتالي تجد أن التأويل

<sup>1</sup> قطب الريسوني ، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر ، 150 .

<sup>2</sup> لخضاري لخضر ، الإمام في مقاصد رب الأنام ، 219 .

<sup>3</sup> نشير هنا إلى نقطة مهمة وهي إشكالية فهم النص بين الظاهر والباطن حيث نجد الانحراف واضح في آليات قراءة النص فالبعض نظر إلى المعاني دون اعتبار للألفاظ فقليل هم الباطنية ، وهناك من توقف عند اللفظ دون الخوض في تلك المعاني الدقيقة التي تحتاج لإمعان النظر فقليل هم الظاهرية ، فالنص القرآني كما ورد في الحديث له ظهر وبطن رغم ما أثير من إشكالات حول هذا الحديث الذي نصه : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ . " رواه صحيح ابن حبان و رواه الطبراني في المعجم الكبير و أقل ما يقال عنه " أنه حسن باجتماع طرق " ينظر عبد الرحمان الدهش ، الأقوال الشاذة في التفسير ، 33 ، حيث قام بدراسة وافية للحديث .

عندهم لا ضابط يحجمه ، و هكذا يجد المسلم نفسه أمام تكاليف و أحكام متجددة بتجدد قراء النص عندهم . بل جعلوا المعاني القرآن طبقات و قالوا بباطن الباطن و أوصلوه إلى سبع بواطن ، و ينسبون القول بذلك إلى الرسول صلى الله عليه و سلم .<sup>1</sup>

و من قواعدهم كذلك تعدد وجوه التأويل ، " وهذا التنوع لا يؤثر على وحدة الحقيقة بل يجعل من الخطاب الإلهي يتجدد بتجدد العصور ، إذ الإمام هو الذي يلائم بين النصوص الدينية و متطلبات العصر " .<sup>2</sup>

و مما يروى في كتبهم أن أحدهم سأل الإمام أبا جعفر قال : " سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني ، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ؟ فقال لي : يا جابر إن للقرآن بطنا ، وللبطن بطن وله ظهر وللظهر ظهر ، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية لتكون أولها في شيء و آخرها في شيء ، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه " .<sup>3</sup>

لقد جعل هؤلاء معاني القرآن رموز و طلاسمة تخدم معتقداتهم الفاسدة ، و عطلوا تلك المعاني المرجوة من النص و التي تستنبطها العقول الراجحة . يقول السيوطي عن التافتازاني : " سميت

<sup>1</sup> علي بن إبراهيم القمي ، تفسير القمي ، 1/ 25

<sup>2</sup> لخضاري خضر ، الإمام في مقاصد رب الأنام ، 229

<sup>3</sup> ناصر بن علي القفاري ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض و نقد ، 1/ 152

الملاحظة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها،<sup>1</sup> بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة<sup>2</sup>

إن منهج الباطنية "يقضي ببطلان الثقة بالألفاظ، ويسقط الانتفاع بكلام الله و كلام رسوله، فإن من يسبق إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضابط له، بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى و بهذا يحاول الباطنية التوصل إلى هدم الشريعة بتأويل ظواهرها، وتنزيلها على رأيهم، ولو كانت تلك التأويلات الباطنية هي معاني القرآن و دلالاته لما تحقق به الإعجاز و لكان من قبيل الألغاز، والعرب كانت تفهم القرآن من خلال معانيه الظاهرة"<sup>3</sup>.

ومن النماذج المنقولة عنهم نذكر تفسيرهم للصراف في سورة الفاتحة قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة 7].

فقال: "وقد تبين من هذا أن الإمام هو الصراط المستقيم و أنه يمشي سويا على الصراط المستقيم و أن معرفته معرفة الصراط المستقيم ومعرفة المشي على الصراط المستقيم، و إن من

<sup>1</sup> الظاهر: " هو المفهوم العربي، والباطن هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه" الشاطبي، الموافقات 210/4. وعرفه ابن العربي هو الظاهر: ما تبادر إلى الأفهام من الألفاظ و الباطن هو: "ما يفتقر إلى نظر" أبو بكر بن العربي، قانون التأويل ت: محمد السليمانى، 191. غير أن الباطن عند الفرق المنحرفة هو المعنى المحصل الموافق لأهوائهم دون اعتبار للفظ، وهو بهذا المعنى مخالف لخطاب التكليف.

<sup>2</sup> السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 2/486.

<sup>3</sup> ناصر بن علي القفاري، مرجع سابق، 154.



عرف الإمام ومشى على صراطه سريعاً أو بطيئاً بقدر نوره و معرفته إياه فاز بدخول الجنة والجنان و النجاة من النار و من لم يعرف الإمام لم يدر ما صنع فزل قدمه وتردى في النار<sup>1</sup> وهم بفهمهم هذا يخرجون عن سياق السورة بل وسياق القرآن ككل ، و جعلوا القرآن خادماً لأهوائهم، لأن تفسيرهم للنص يقوم على أسس عقائدية واضحة ، فهم يهدفون لتثبيت فكرة الإمام المعصوم<sup>2</sup>، كما يرون " أن القرآن إنما نزل متضمناً لكنايات ورموز عن أغراض ، وأصل هؤلاء طائفة من غلاة الشيعة ، عرفوا عند أهل العلم بالباطنية فلقبوهم بالوصف الذي عرفوهم به ، ..... ولما توقعوا أن يحاجهم العلماء بأدلة القرآن والسنة رأوا أن لا محيص لهم من تأويل تلك الحجج التي تقوم في وجه بدعتهم ، وأنهم إن خصوها بالتأويل و صرف اللفظ إلى الباطن اتهمهم الناس بالتعصب والتحكم ؛ فرأوا صرف جميع القرآن عن ظاهره ، وبنوه على أن القرآن رموز لمعان خفية في صورة ألفاظ تفيد معاني ظاهرة ؛ ليشغل بها عامة المسلمين ، وزعموا أن ذلك شأن الحكماء"<sup>3</sup>.

وهنا يجب أن نشير لمنهج التفسير الإشاري الذي يختلف عن منهج الباطنية في اعتبارهم لظاهر النص ، فهو تأويل قائم على إشارات خفية لمعاني دقيقة تنكشف لأرباب السلوك، ويمكن الموافقة بينها وبين الظواهر المرادة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، المكتبة الشيعية، على موقع: <http://shiaonlinelibrary.com>، 36/1

<sup>2</sup> محمد جهلان ، فعالية القراءة و إشكالية تحديد المعنى ، 239.

<sup>3</sup> ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 1/ 33.

<sup>4</sup> محمد جهلان ، المرجع نفسه ، 232.

ومن الأمثلة الواردة للتفسير الإشاري الاستدلال بفهم عمر بن الخطاب في حجة الوداع

لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

دِينًا<sup>٣</sup> [المائدة 3]. يقول الألوسي: "فهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع الآية نعي رسول

الله صلى الله عليه وسلم"<sup>1</sup>.

لقد وضع الشاطبي ضوابط للأخذ بالمعاني الباطنة ، وهي أن تصح على مقتضى الظاهر المقرر في

لسان العرب ، و تجري وفق مقاصدهم ، و أن يكون لها شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر لصحته من

غير معارض<sup>2</sup>.

و هكذا يكون علم الباطن معتبر على خلاف ما ذهب إليه فرق الباطنية المنحرفة ، و كرد عليهم

نشأت مدرسة الظاهرية التي حاولت حماية النص و المعنى من فهم هؤلاء . و فيما يلي نحاول

التعرف على هذه المدرسة وعلاقتها بالمقاصد .

ثانيا :المدرسة الظاهرية<sup>3</sup>:تقوم هذه المدرسة على ضرورة تحصيل المقاصد من ظواهر

النصوص فقط ،فالنص سواء من القرآن أو من السنة قد استغرق كل زمان ومكان ، والخروج

1 الألوسي ، روح المعاني ،6/60.

2 الشاطبي ، الموافقات ،2/208.

3 لا يمكن بحال من الأحوال حصر المدرسة الظاهرية "في الاتجاه الفقهي الذي عرف مع أبي داود وابن حزم ، ولكنها تتسع

لتشمل عنده كل ما ينظر إلى النصوص القرآنية نظرة تتم بالسطح اللغوي لا غير ، لذلك تجده -أي الشاطبي -يضم لهذا الاتجاه

الخوارج الذين أسرعوا استخلاص الأحكام من دون مراعاة مقاصد القرآن ...." يحيى رمضان، القراءة في الخطاب الأصولي ،

،189.

عنه هو خروج عن التشريع ، واحتكام للهوى . بل هو تقول على الله ، و استظهار على مقام العبودية .<sup>1</sup>

وهم بذلك لا يتأولون شيئاً من القرآن . يقول ابن حزم : " فإذا كان النبي لا يتأول شيئاً من القرآن إلا بوحي فيخرجه عن ظاهره التأويل ، فمن فعل خلاف ذلك فقد خالف الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد نهى تعالى وحرم أن يقال عليه ما لم يعلمه القائل ، وإذا كنا لا نعلم إلا ما علمنا ، فترك الظاهر الذي علمناه وتعديه إلى تأويل لم يأت به ظاهر آخر حرام وفسق ومعصية لله تعالى ، وقد أنذر الله تعالى وأعذر فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ."<sup>2</sup>

فقد استدل ابن حزم بفعل النبي صلى الله عليه وسلم لتحريم الخروج عن الظاهر كما استدل بظواهر النصوص القرآنية كقوله تعالى : ﴿ أَتَّبِعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ <sup>ط</sup> لَا إِلَهَ إِلَّا <sup>ط</sup> هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام 108]. فالله أمر بإتباع الوحي النازل و هو المسموع

الظاهر ، فيكون الأخذ بالظاهر واجبا و لا يعدل عنه إلى سواه .<sup>3</sup>

مناقشة ما سبق :

لقد ذكر الشاطبي مدارس المقاصد من أجل أن يبين لنا المدرسة الراجحة ، التي يعتمد على أصولها وقواعدها للنظر في النص القرآني و استنباط مقاصده ، فمتدبر القرآن لا يستطيع أن

<sup>1</sup> لخضاري ، مرجع سابق ، 223 .

<sup>2</sup> ابن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام ، 44/3 .

<sup>3</sup> المصدر نفسه 305/3 .

المدخل: إبراز خصائص الخطاب القرآني و مراتب النظر فيه .

---

يلغي ظاهر النص فيقفز إلى تلك البواطن البعيدة ، ولا يستطيع في الوقت ذاته أن يقف عند حروف النص دون أن يستنطق مقاصده ومراميه ، من أجل هذا أسس للمدرسة الجامعة .

ثالثا :مدرسة ذي الأمرين :

من قواعد هذه المدرسة التوسط و الاعتدال ، على " وجه لا يخل فيه المعنى بالنص ، ولا الألفاظ بالمعاني لتجري الأحكام على نظام لا تعادل فيه ولا تناقض و هو الأولى بالاعتبار و الحمل على المراد و هو الذي عليه أكثر السلف المتقدمين و عليه الاعتقاد في بيان مسمى المقاصد و طرق الكشف عنها ..... فالذين أخذوا القصد على التفريط قصروا في فهم اللسان الذي جاء به و هو العربية ، و الذين أخذوه على الإفراط في اللفظ أيضا قصروا في فهم معانيه من جهة أخرى " <sup>1</sup> ، وهكذا تؤخذ المقاصد من ظواهر النصوص ، كما تؤخذ من معانيها مع ضرورة الالتزام بقواعد الفن و عدم مخالفة التشريع.

---

<sup>1</sup> لخضاري ، مرجع سابق ، 235.

# الفصل الأول

لقد جاء هذا الفصل للتأصيل للمقاصد القرآنية و ذلك من خلال ضبط المفاهيم ،  
وتحصيل المناهج والقواعد ، وكذا الاستدلال عليها من خلال ما ورد إلينا في مدونات  
الفحول من النظر .

### **المبحث الأول : نشأة مقاصد السور القرآنية :**

المطلب الأول : الإعتناء بالمقاصد القرآنية العامة و الخاصة دون تععيد .

المطلب الثاني : مرحلة التأصيل والتوظيف لفن مقاصد السور القرآنية .

المطلب الثالث : المرحلة التجديدية المعاصرة .

### **المبحث الثاني : حقيقة مقاصد السور القرآنية .**

المطلب الأول : تعريف مقاصد السور القرآنية .

المبحث الثاني : المقاصد القرآنية بين العلمية و المنهج .

### **المبحث الثالث : أدلة اعتبار مقاصد السور القرآنية :**

المطلب الأول : أدلة مستنبطة القرآن .

المطلب الثاني : أدلة مستنبطة من السنة النبوية .

المطلب الثالث : ورود أقوال عن الصحابة والتابعين تدل على مقاصد السور .

المطلب الرابع : أدلة من المقعول .

### **المبحث الثالث : أنواع المقاصد القرآنية .**

المطلب الأول : التعرف على أهم تقسيمات المقاصد القرآنية .

المطلب الثاني : المقاصد باعتبار العموم و الخصوص .

### المبحث الأول : نشأة مقاصد السور القرآنية :

من رام تحصيل غايات التدوين ، وأراد الوصول إلى الأهداف في أحسن الأحوال، يستلزم عليه في البدء أن يضبط المفاهيم وأن يرسم الحدود و أن يفرق بين المتشابهات ، ولما كان للنشأة أثر عظيم في الرسم قرنت به هنا .

بداية هذا العلم والإشارة إليه كانت في العصر النبوي فهو مقترن بالتنزيل و علومه نشأة و تطورا . فالقرآن الكريم مبني على مراعاة مقاصد المخاطبين في كل زمان ومكان ، و مراعاة أحوالهم المختلفة . ومن هنا برزت الضرورة للبحث عن تلك المقاصد من أجل تحقيق حياة أفضل .

ولا يخفى على اللبيب تلك الإشارات المستنبطة من العلم بتسوير الآيات و طرق ترتيبها حيث أن القرآن الكريم نزل مفردا خلال بضع وعشرين سنة و كان النبي في كل مرة يوضح لكتاب الوحي منهج نظم تلك الآيات داخل السورة الواحدة كما نجد أن الكثير من الأحاديث النبوية قد دلت على تفاضل بعض السور على بعض ، كسورة الفاتحة مثلا وذلك لتضمنها لمقاصد جليلة إمتازت بها على غيرها<sup>1</sup> . ثم نجد أن الصحابة و من تبعهم<sup>2</sup> رضي الله عنهم قد تلبسوا بذلك المنهج النبوي فعرفوا مقاصد التسوير ، و عنونة السور وهم في ذلك يؤسسون لعلم مقاصد السور القرآنية .

---

1 ينظر مبحث أدلة مقاصد السور القرآنية .

2 ينظر في بحث الدكتور محمد بن الربيعه ، قام بجمع الآثار الواردة عن السلف للدلالة على تعلقهم بمقاصد السور القرآنية ، 13 .

فكثير منهم فقه هدايات السورة القرآنية فإختصرها في كلمات تمثل أهدافها أو تشير لمقاصدها .

أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال : "قلت لابن عباس سورة التوبة ؟ قال : التوبة هي الفاضحة ما زالت تنزل : ومنهم ومنهم ، حتى ظنوا أنها لم تبق أحدا منهم إلا ذكر فيها . قال : قلت : سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر . قال : قلت سورة الحشر ؟ قال : نزلت في بني النضير ."<sup>1</sup>

كما نقل السيوطي : " أن رجلا قال لابن عمر : سورة التوبة . فقال : وأيتها سورة التوبة . فقال : براءة ، فقال : وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي ؟ ما كنا ندعوها إلا المقشقة ، أي : المبرئة من النفاق ."<sup>2</sup>

عن ابن عطية أن سورة النحل كانت تسمى بسورة النعم لما عدد فيها من النعم<sup>3</sup> . وينسب تسمية السورة بما قيل لكل من قتادة ، وعلي بن زيد<sup>4</sup> .

1 رواه البخاري ، كتاب التفسير (سورة الحشر ) ، باب : الجلاء الإخراج من أرض إلى أرض ، ر : 4882 .

2 السيوطي ، 1 الإتيان في علوم القرآن ، / 199 .

3 ينظر ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، 3 / 377 . ينظر ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، 16 / 93 . ينظر محمد ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، 4 / 426

4 هو ابن جدعان أبو الحسن التيمي ، المكفوف روى عن أنس و سعيد بن المسيب ، وروى عنه السفينان و شعبة و غيره ، مات سنة تسع و عشرين و مائة . ينظر ، جلال الدين السيوطي ، طبقات الحفاظ ، 65



**المطلب الأول : الإعتناء بالمقاصد القرآنية العامة و الخاصة دون تععيد .**

هاته المرحلة تمتد زمانيا من نزول التشريع إلى وقتنا ، لأنها ببساطة تقوم على الاعتناء بالمقاصد الجزئية لكل سورة قرآنية أو بالمقاصد الخاصة بكل سورة أو بتلك المقاصد الكلية للقرآن الكريم .

و الملاحظ على هاته المرحلة عدم الاعتناء بالتععيد ، عدم الاهتمام باستمرارية المنهج الواحد و اضطراده في التزليل ، فتارة يذكر المفسر مقاصد السورة ، وتارة يتركها .

من أوائل المفسرين الذين اهتموا بوحدة المعاني في السورة القرآنية نجد القشيري صاحب لطائف الإشارات فنجد أنه فقه أن لكل سورة في القرآن سياقها الخاص وفي ذلك يقول محقق الكتاب إبراهيم بسيوني : " سار القشيري في «اللطائف» على خطة واضحة محددة التزم بها من أول الكتاب إلى آخره، فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة، وأحيانا حرفا حرفا، والبسملة تتكرر بلفظها في مفتتح كل سورة، ومع ذلك فإننا نجده يلجأ إلى تفسير كل بسملة على نحو ملفت للنظر إذ هي تختلف وتتوعد ولا تكاد تتشابه، ويزداد إعجابنا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسملة يتمشى مع السياق العام للسورة كلها، فالله والرحمن والرحيم لها دلالات خاصة في سورة القارعة، ولها دلالات أخرى في سورة النساء ولها دلالات خاصة في الأنفال وهكذا...." 1

فالقشيري عرف أن للسورة القرآنية وحدة وجعلها خادمة له لاقتناص

حكما ومعاني للبسملة توافق جل سور القرآن الكريم خاصة إذ ما علمنا أن

اللطائف من التفاسير الإشارية و أن فن المقاصد في مجمله استفاد من التفسير الإشاري كما أن التفسير استفاد من فن المقاصد لكونه ميزان تمحيص للمعاني ومنهجاً قوياً لاقتناص المعاني والحكم ورفعها إلى رتبة الغايات عن طريق استعمال منهج التواتر المعنوي.<sup>1</sup>

ومن المفسرين الذين اعتنوا بالمقاصد العامة للقرآن نجد الغزالي رحمه الله عليه حيث أنه ألف كتاباً خاصاً لبيان تلك المقاصد وهو جواهر القرآن ، فقد عقد الفصل الثاني من كتابه لحصر تلك المقاصد و أرجعها إلى ستة أقسام ثلاثة منها أصول مهمة و ثلاثة توابع متممة .

تعريف المدعو إليه وهو شرح معرفة الله تعالى ، في تعريف طريق السلوك إليه ، في تعريف الحال عند المعاد، في بيان أحوال السالكين و الناكبين في محاجة الكفار و مجادلتهم في أصول العقائد من توحيد بعث ونبوات. وهي بيان الحلال والحرام وحدود الله. " 2

وعلى نفس المنهج سار كل من ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فقد اعتنى ابن تيمية بالنظرة الكلية في القرآن الكريم وفي السورة خاصة فكثيراً ما كان يحاول أن يساعد المتدبر للسورة بإعطائه نظرة شمولية عنها أو عن بعض آياتها يقول في المائة : "سورة المائة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل و التحريم

---

1 منهج التظافر استفيد من شيخنا الدكتور لخضاري .

2 أبو حامد الغزالي ، جواهر القرآن ، 5 .

،والأمر والنهي، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : هي آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها و حرموا حرامها .1

لقد جاءت جهود ابن القيم مشابهة لتلك الصادرة عن شيخه حيث أنه اهتم بالنظرة الكلية في القرآن ففي بعض المواضع التفسيرية كان يحاول أن يبرز كلية السورة القائمة على بيان موضوعاتها الجزئية في بعض السور و أحيانا تكون قائمة على بيان بعض معانيها .

يقول عن سورة الفاتحة "إعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال و تضمنتها أكمل تضمن فإشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى ....وتضمنت إثبات المعاد وجزاء العباد بأعمالهم حسنا وسيئا....وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة ...." .2

ومن المفسرين الذين ساهموا في الإعتناء بالمقاصد الكلية للقرآن الكريم نجد ابن جزى الغرناطي الأندلسي حيث أنه أشار لأنواع المقاصد القرآنية الكلية المكية والمدنية وذلك من خلال مقدمة تفسيره النفيسة .<sup>3</sup>

وعلى نفس الدرب القائم على بيان المقاصد الكبرى للقرآن أو المقاصد الخاصة بالسورة نجد الطوفي قد ساهم في ذلك من خلال مؤلفه إيضاح البيان عن معنى

1 ابن تيمية .، الفتاوى الكبرى، 14 /498

تخريج الحديث : رواه الحاكم في المستدرک ، كتاب التفسير ، تفسير سورة المائدة ، رقم الحديث : 3270 .

2 ابن القيم . بدائع التفسير الجامع لما فسرہ الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه يسري السيد محمد و صالح احمد الشامي، 1/ 35-36 .

3 ابن جزى ، التسهيل لعلوم التنزيل ، تحقيق : محمد سالم هاشم ، 1 / 8 وما بعدها .

أم القرآن ، حيث أنه أكد أن الفاتحة مجملة لمقاصد القرآن الكريم عموماً فقال :  
"فالفاتحة التي هي أم القرآن مشتملة على مقاصده الكلية من حيث الإجمال، ثم باقي القرآن يبين ذلك في رتبة ثانية من البيان ...." 1.

ثم حاول بعد ذلك أن يذكر أوجهها مختلفة لمقاصد السورة والتي هي بدورها ليست إلا مقاصدا كلية للقرآن، فبين أنها اشتملت على مقاصد الإيمان كما أنها اشتملت من جهة أخرى على بيان الوعد، الوعيد، أحكام الحلال والحرام وذكر قصص الأولين . وقد استطاع أن يصنف تلك المقاصد إلى قسمين : مقاصد تكميلية كذكر الأخبار والقصص في مقابل المقاصد الأخرى والتي يمكن تسميتها بالمقاصد الأصلية بالأصلية.<sup>2</sup>

كما أنه استطاع بمهارة مميزة أن يوظف مقاصد السور في تفسير بعض الأحاديث التي ميزت بعض سور القرآن بخصائص معينة فقراءة سورة الزلزلة تعدل نصف القرآن وقراءة سورة الصمد تعدل ثلث القرآن وقراءة سورة الكافرون تعدل ربع القرآن .

فقال: "...أما توجيه أن الزلزلة تعدل نصف القرآن فلاإن القرآن لا يخرج عن تقرير أمر المعاش الناس ومعادهم وهذه السورة إختصت بذكر أمر المعاد من زلزلة الأرض وإخراج أثقالها وهم الموتى ،إشارة إلى البعث.... فلما إختصت بجنس نصف القرآن جاز أن يقال أنها تعدل نصف القرآن....

1 سليمان الطوفي، إيضاح البيان في معنى أم القرآن، 16.

2 المصدر نفسه، 17-18.

وأما توجيه أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن فلاإن القرآن باعتبار قسمة أخرى لا يخرج عن تقرير التوحيد و النبوة و أحكام اليوم الآخر وهذه السورة اختصت بالتوحيد، وذكره..... بهذا الاعتبار تعدل ثلث القرآن....." <sup>1</sup>.

ومن غير مخالفة لمن سبق نجد الإمام السيوطي قد إعتنى بالمقاصد القرآنية خاصة و أنه ممن اهتم بالمناسبات بين الأجزاء القرآنية و لا يخفى على الناظر تلك العلاقة الموجودة بين العلمين . ولو تركنا السيوطي يتحدث عن خدمته لتلك الفنون لقال : " إن الله سبحانه من علي بالنظر في مواقع نجومه وفتح لي أبواب النظر فيه إلى استخراج ما أودع فيه من علومه، فلا أزال أسرح النظر في بساطينه من نوع إلى نوع وأستسبح<sup>2</sup> الخاطر في ميادينه فيبلغ الغرض ويرجع وهو يقول لا رَوْع، فتقت عن أنواع علومه ولقبتها وأودعت ما أوعيت منها في دواوين وأعيتها . ونقت عن معادن معانيه وأبرزتها وأوقدت عليها نار القريحة وميزتها، وألفت في ذلك جامعا ومفردا ومطنبا ومقصدا ومن خلق لشيء فيلإ تيسره ومن أحب شيئا أكثر من ذكره .

وإن مما ألفت في تعلقات القرآن كتاب أسرار التنزيل الباحث عن أساليبه، المبرز أعاجيبه الميين لفصاحة ألفاظه وبلاغة تراكيبه الكاشف عن وجه إعجازه الداخل إلى حقيقته من مجازه، المطلع على أفانيه المبدع في تقرير حججه وبراهينه فإنه اشتمل على بضع عشرة نوعا .

الأول: بيان مناسبات ترتيب سورته وحكمة وضع كل سورة منها

<sup>1</sup> المصدر نفسه، 22-23

<sup>2</sup> أستسبح خاطري: أستفحصه؛ أي: أتأمل به متفحصا.

الثاني: بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها

الثالث: وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التي قبلها

الرابع: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له وذلك براعة الإستهلال

الخامس: مناسبة أوائل السور لأواخرها

السادس: مناسبات ترتيب آياته واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها

السابع: بيان أساليبه في البلاغة وتنويع خطابه وسياقاته

الثامن: بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها كالإستعارة

والكناية والتعريض والإلتفات والتورية والاستخدام واللف والنشر والطباق و

المقابلة وغير ذلك والمجاز بأنواعه وأنواع الإيجاز والاطناب

التاسع: بيان فواصل الآي ومناسبتها للآي التي ختمت بها

العاشر: مناسبة أسماء السور لها

الحادي عشر: بيان وجه اختيار مرادفاته دون سائر المرادفات .....

الثاني عشر: بيان القراءات المختلفة مشهورها وشاذها وما تضمنته من المعاني

والعلوم فأن ذلك من جملة وجوه إعجازه

الثالث عشر: بيان وجه تفاوت الآيات المتشابهات في القصص وغيرها بالزيادة

والنقص والتقديم والتأخير وابدال لفظة مكان أخرى ونحو ذلك .<sup>1</sup>

الملاحظ أن السيوطي رحمه الله قد ذكر في هذا النص مسالك تحليل النصوص

التناسبية والتي هي أهم خادم للمقصود القرآني .

---

<sup>1</sup> السيوطي، أسرار ترتيب سور القرآن الكريم ، تحقيق عبد القادر عطا. 65-66.

فترتيب أجزاء السورة يدل على مقصود كلي ، كما أن اختيار الألفاظ يكون وفق مقصود محدد سواء كانت على مستوى الفواصل أو غيره آيات أحكام أو قصص .  
كم أن اسم السورة و مطلعها و خاتمها مرشدة لتناسبها ومقصودها .  
كما نجد أن السيوطي رحمه الله كثيرا ما استفاد من العلماء السابقين فجمع قواعدهم و استفاد من مناهجهم ، فهاهو يذكر قاعدة المشدالي لبيان المقصود.

### المطلب الثاني: مرحلة التأصيل والتوظيف لفن مقاصد السور القرآنية :

تقوم هذه المرحلة على التععيد لفن المقاصد القرآنية خاصة على يد الشاطبي والبقاعي بالإضافة إلى استثماره في مجالات متنوعة من الدراسات القرآنية كتوجيه المتشابه وتعليل الترتيب القرآني .

### الفرع الأول :اعتناء الشاطبي بمقاصد السور القرآنية :

لقد استطاع الشاطبي أن يؤسس لنا قواعد مهمة للمقاصد القرآنية انطلاقا من تكوينه الأصولي القائم على القراءة المتميزة العادلة الوسطية للنص الشرعي ، ولا يمكن بحال من الأحوال تجاهل جهوده الفذة في هذا الباب .

### أولا: الاهتمام بالنظرة الكلية وبوحدة السورة :

---

1 محمد الشربجي، الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن ، 73 ، لقد حاول الباحث أن ينصف السيوطي رحمه الله من تلك الأقوال التي تحط من مكانته العلمية التي جعلته عالية على غيره، فأكد على منهجه القائم على الاستفادة من غيره مع نسبة الأقوال لأصحابها ثم يبين ما تفرد به .و أفضل مثال يساق في الباب ما ذكره عن مقاصد سورة الفاتحة حيث ذكر أقوال من سبق من بينهم ،الحسن البصري ، فخر الرازي ، البيضاوي ، الطيبي ، الغزالي .وينظر أسرار ترتيب سور القرآن.

لقد اهتم بالنظرة الكلية في القرآن الكريم سواء تعلق الأمر بالقرآن كله أو تعلق الأمر بالسورة القرآنية فعن وحدة القرآن يقول : "فإن كلام الله في نفسه كلام واحد لا تعدد فيه بوجه ولا باعتبار ،حسبها تبين في علم الكلام ، وإنما مورد البحث هنا باعتبار خطاب العباد تنزلا لما هو من معهودهم فيه ،هذا محمل احتمال وتفصيل فيصبح في الاعتبار أن يكون واحدا بالمعنى المتقدم ، وأي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما ، وذلك أنه يبين بعضه بعضا ، حتى إن كثيرا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى .....فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار " 1.

ثم نجده بعد ذلك يرجح كون أن القرآن في الحقيقة هو سور، كل سور لها مميزاتها الخاصة و التي تجعل القرآن ليس واحدا بهذا الاعتبار فيقول : "و يصح ألا يكون كلاما واحدا ،وهو المعنى الأظهر فيه ، فإنه أنزل سورا مفصولا بينها معنى و ابتداء ،فقد كانوا يعرفون انقضاء السورة و ابتداء أخرى بيسم الله الرحمن الرحيم في أول الكلام .." 2.

فالشاطبي إذن يقرر أن للسورة وحدة خاصة كما أن للقرآن وحدة كذلك كما قد يكون للآية الوحدة كذلك وتختلف أهمية كل وحدة باختلاف مقاصد القراءة الخاصة بالنص ، فإن كنا أمام قراءة تبحث في النظم والمناسبات والمعاني الكلية فلا يمكن تجاهل وحدة القرآن ، وإن كنا أمام قراءة تبحث مقاصد السورة فلا يمكن تجاهل وحدة السورة ، وإن كنا أمام قراءة أصولية وحتى مقاصدية تبحث في

1 الشاطبي ، الموافقات، 4 / 274

2 المصدر نفسه ، 4 / 274-275



معاني الآيات لاقتناص حكم معين فلا بد من النظر في الآية الكاملة أو في مجموع الآيات ذات القضية الواحدة . وفي ذلك يقول الشاطبي : "فإن كلام الله في نفسه كلام واحد لا تعدد فيه بوجه و لا باعتبار ، حسبما تبين في علم الكلام ، وإنما مورد البحث هنا باعتبار وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام و آخره بحسب تلك الاعتبارات فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر ، فالإقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود ، كما أن الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها" 1 .

كما نجد أنه رحمة الله عليه يقسم السور القرآنية باعتبار النظرة الكلية المقاصدية إلى سور أحادية القضية و أخرى متعددة القضايا وفي ذلك يقول : "فالكلام المنظور فيه تارة يكون واحدا بكل اعتبار ، بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت وعليه أكثر سور المفصل ، وتارة يكون متعدددا في الاعتبار ، بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة ، كسورة البقرة و آل عمران ، والنساء و اقرأ باسم ربك و أشباهها ، و لا علينا أنزلت السورة بكما لها دفعة واحدة أم نزلت شيئاً بعد شيء" .

2

"المساقات تختلف باختلاف الأحوال و الأوقات و النوازل وهذا معلوم في علم المعاني و البيان ، فالذي يكون على بال من المستمع و المتفهم الالتفات إلى أول الكلام و آخره ، بحسب القضية و ما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر إلى أول الكلام و آخره ، بحسب القضية و ما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر إلى أولها دون آخرها ،

1 . المصدر نفسه ، 250 / 3

2 المصدر نفسه ، 375 / 3

ولا في آخرها دون أولها ، فإن القضية و إن اشتملت على جمل فبعضها متعلق  
بالبعض ، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد ، فلا محيص للمتنفهم عن رد آخر  
الكلام على أوله ، وأوله على آخره ، و إذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم  
المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده "1.  
فالشاطبي إذن يجذر من القراءة التبعية للنص القرآني القائمة على تشطيره  
فبالنظر إلى أول السورة دون آخرها أو إلى آخرها دون أولها .إلا في موضع واحد  
جاء النظر إلى الجزء دون اعتبار الكل وهي القراءة اللغوية التي تبحث في المعنى  
الظاهري دون البحث عن مراد الله عز وجل .إلى جانب ما سبق سابقا حول  
احتفاء الشاطبي بالنظرة الكلية في القرآن الكريم وباهتمامه بالسورة وبوحدتها  
النظمية والمعنوية القائمة سواء كانت بسيطة في قضية واحدة تصب في معنى واحد  
أو قضايا متعددة قد يجد المتأمل بينها قدر مشترك يحقق معنى واحد بينها . فقد  
تصلح بعض القضايا في السورة الواحدة أن تكون مقدمات وتمهيدات للمقصود  
، كما تصلح قضايا أخرى أن تكون تأكيدات وخواتم للمعنى المقصود .وفي ذلك  
يقول الشاطبي في مثال ساقه عن سورة البقرة باعتبارها سورة متعددة القضايا  
:" واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما يثبت فيها ، منها ما هو كالمقدمات و  
التمهيدات بين يدي الأمر المطلوب ، ومنها ما هو كالمؤكد و المتمم ، ومنها ما هو  
المقصود في الإنزال و ذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب ، ومنها  
الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد و التثبيت و ما أشبه ذلك "2.

---

1 المصدر نفسه ، 3 / 375

2 المصدر نفسه، 3 / 376

ثانيا : التأسيس لضوابط تفسيرية تحقق مراد الباري عز وجل :

لقد استطاع الشاطبي أن يرشدنا لضوابط القراءة الراشدة و التي من غاياتها الكشف عن المقصود دون شطط الباطنية ودون جمود الظاهرية ، فقد أشاد بالمقام بكونه منظومة قائمة بذاتها تتكون من قسمين : قسم يخدم النص داخليا و قسم يخدم النص خارجيا . ويمكن أن نطلق على الأول السياق الداخلي أو البنيوي ، و على الثاني السياق الخارجي .

يقول الشاطبي في أسباب النزول هي من ضمن سياق الحال : "معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن و الدليل على ذلك أمران : أحدهما : أن علم المعاني و البيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال ..... و معرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهى من المهمات في فهم الكتاب بلا بد ، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال و ينشأ عن هذا الوجه الوجه الثاني : وهو أن الجهل بأسباب النزول موقع في الشُّبه و الإشكالات .....<sup>1</sup>

كما نجده رحمة الله عليه قد اعتنى بظروف التنزيل فبين تلك الفوارق الناتجة من تمايز القرآن المكى والمدنى بسبب تباين الأمكنة والأزمنة . يقول في تفسيره لسورة المؤمنون : "سورة المؤمنون نازلة في قضية واحدة ، وإن اشتملت على معان كثيرة فإنها من المكيات ، وغالب المكى أنه مقرر لثلاثة معان أصلها معنى واحد ، وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى أحدها تقرير الوجدانية لله تعالى الواحد الحق : غير أنه يأتي على وجوه ... و الثاني : تقرير النبوة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم و أنه

رسول الله إليهم جميعا صادق فيما جاء به من عند الله ، إلا أنه وارد على وجوه أيضا.... والثالث : إثبات أمر البعث و الدار الآخرة.... فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن في مكة في عامة الأمر...." 1 .

### ثالثا : الإشادة بقاعدة بناء المدني على المكي :

"المدني من السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي وكذلك المكي بعضه مع بعض ، والمدني بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في التنزيل ، وإلا لم يصح ، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي ، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على مقدمه ، دل على ذلك الاستقراء و ذلك إنما يكون ببيان مجمل أو تخصيص عموم أو تقييد مطلق أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله و أول شاهد على هذا أصل الشريعة ، فإنها جاءت متممة لمكارم الأخلاق ومصلحة لما أفسد قبل من ملة إبراهيم ن و يليه تنزيل سورة الأنعام فإنها نزلت مبينة لقواعد العقائد ، وأصول الدين.... ثم لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام ، فإنها بينت من أقسام أفعال المكلفين جملتها كالعبادات التي هي قواعد الإسلام ، والعبادات من أصول المأكول و المشروب وغيرهما ، والمعاملات من البيوع و الأنكحة ، وما دار بها ، والجنايات من أحكام الدماء ، و ما يليها " 2 .

1 المصدر نفسه ، 3/ 269 .

2 المصدر نفسه ، 2/ 244 .

### ثالثا : الاعتناء ببعض عادات القرآن :

من العادات القرآنية الخادمة لمقاصد السور القرآنية نجد ما ذكره الشاطبي من إيراد القصص النبوي بما يحقق مقاصد السورة خاصة ، يقول الشاطبي : " و بالجملة فحيث ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام ، كنوح وهود ، و لوط و شعيب و موسى و هارون فإنما ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم و تثبيت لفؤاده لما كان يلقي من عناد الكفار ، و تكذيبهم له على أنواع مختلفة ، فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله ، و بذلك اختلف مساق القصة الواحدة بحسب اختلاف الأحوال و الجميع حق واقع لا إشكال في صحته " 1.

و من العادات كذلك إيراد الترغيب و الترهيب بما يوافق مقصود السورة و قد يغلب جانب على جانب على وفق ما يقتضيه الحال قال الشاطبي : " و قد يُغلب أحد الطرفين بحسب المواطن ، مقتضيات الأحوال ، فيرد التخويف ، و يتسع مجاله ، لكنه لا يخلو من الترجية ، كما في سورة الأنعام فإنها جاءت مقررة للحق و منكرة على من كفر بالله ، ..... و هذا المعنى يقتضي التخويف و إطالة التأنيب و التعنيف ، فكثرت مقدماته و لواحقه " 2.

إن الشاطبي عموما استطاع أن ينقل المقاصد القرآنية من قراءة المفسرين إلى قراءة تععيدية تأصيلية قائمة على ضبط شروط استنباط المعاني القرآنية من خلال الدعوة إلى النظرة الكلية في السورة ، وكذا الاهتمام بأسباب النزول و المكّي والمدني ، دون إهمال عادات القرآن الكريم الخادمة لمقاصد السورة كما أنه قام بتنزيل تلك

1 المصدر نفسه ، 4 / 274.

2 المصدر نفسه ، 4 / 170

القواعد واستثمرها في بيان معاني السور القرآنية كسورة المؤمنون التي دعا الناظر لأن يسير على منهجه في بيان مقاصد السور .

### الفرع الثاني :يعد ابن الزبير الغرناطي :

من أوائل من استعمل المصطلح القرآني مقصد سواء تعلق بالسورة أو بمقصد أو بالآية ومن أبرز من استثمر المقاصد القرآنية في تعليل الترتيب بين السور ،نجده يقول مثلا في تعليل التناسب بين النور والفرقان : "ثم تناسج الكلام والتحم جليل المقصود من ذلك النظام ."<sup>1</sup>

ونجده يقول في موضع آخر من سور الأحزاب "وختم السورة بذكر التوبة والمغفرة أوضح شاهد لما تمهد من دليل قصدها وبيانها على ما وضح والحمد لله ولما كان حاصلها رحمة ولطفا ونعمة لا يقدر عظيم قدرها، وينقطع العالم دون الوفاء بشكرها أعقب بما ينبغي من الحمد -أول سبأ-"<sup>2</sup>.

كما أننا نجده يعبر عن المقصود باستعمالات كثيرة أدت إلى التنوع المصطلحي كقوله بناء السورة ، التناسق و التناسج وغيره .....يقول مثلا في سورة الطلاق : "...الأوامر التي دارت عليها هذه السورة وبنيت عليها ثلاثة ، الأول :الأمر بالمحافظة على إيقاع الطلاق إذ ضمت إليه الضرورة في وقته لاستقبال العدة حتى لا يقع إضرار بالمطلقة بتطويل عدتها والثاني :الأمر بإحصاء العدة والمحافظة عليها ....والثالث:إنفاذ ما يقع الاعتماد عليه في إمساك أو مفارقة من حسن

1 ابن الزبير ، البرهان في ترتيب سور القرآن ، 261

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، 283

الصحبة وجميل العشرة إن اعتمد الإمساك.... أو بالإمتاع والتلطف... إن عول على المفارقة فعلى هذه القضايا الثلاث بناء هذه السورة<sup>1</sup>

المستقرء لكتابي ملاك التأويل وكتاب البرهان في ترتيب سور القرآن يجد ابن الزبير قد اعتمد منهجا واضح القواعد، حيث أنه في البرهان سعى لتعليل ترتيب السور القرآنية يقول: "فاقتصرت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على توجيه ترتيب السور" وفي تعليقه للترتيب كثيرا ما كان يعتمد على مقاصد السور القرآنية وعلى ما يسمى بالتناسب المعنوي بين السور لا التناسب اللفظي فينطلق من بيان أغراض السورة الأولى ليصل لأغراض السورة الثانية ثم يثبت التناسب بينها، قال مثلا: "ولما كان الوارد من هذا الغرض في سورة الممتحنة قد جاء عن طريق الوصية وسبيل النصح والإشفاق، أتبع في سورة الصف بصريح العتب في ذلك والإنكار ليكون ذكره بعد ما تمهد في السورة قبل أوقع في الزجر".<sup>2</sup>

وكثيرا ما يكون التناسب على أساس المقصود فكم من سورة أثبت أنها متحدة المقصود مع سور أخرى: "لا خفاء بشدة اتصال هذه السورة -التحريم- بسورة الطلاق لإتحاد مرماه وتقارب معناهما...." ثم يواصل توجيهه لترتيب السورتين ليصل في الأخير لربط السورتين بسورة الأنفال على أساس التحام مقاصدها فيقول: "هذه السورة وسورة الطلاق أقرب شيء و أنسبه لسورة الأنفال لتقارب المعاني و التحام المقاصد"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن الزبير ، ملاك التأويل . 477 .

<sup>2</sup> ابن الزبير ، البرهان في ترتيب سور القرآن ، 335 .

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، 340 .

الفرع الثاني: مساهمة أبو الفضل المشدالي البجائي الجزائري في التقعيد للتقصيد  
القرآني :

المشدالي عالم من علماء الجزائر ولد ببجاية لأسرة علمية جاب البلاد فإرتحل إلى تلمسان وهناك إلتقى عددا من المشايخ و العلماء في مقدمتهم ابن مرزوق الحفيد<sup>1</sup> الذي قال عنه : " قال ما عرفت العلم حتى قدم علي هذا الشاب، فقليل كيف؟ قال لأنني كنت أقول فيسلم كلامي فلما جاء ذا شرع ينازعني فشرعت أتحرز وانفتحت لي أبواب من المعارف أو نحو هذا"<sup>2</sup>

ثم عاد إلى الشرق الجزائري فدرس بعنابة و قسنطينة و دخل تونس وتصدر المجالس هناك ، من تونس ركب البحر ليصل إلى قبرص ثم بلاد الشام و القدس ، ليحج سنة 849 هـ و من ثم ذهب إلى القاهرة ، حيث جلس لتدريس الفقه المالكي، كان بارعا في علم المنطق و الفقه و التفسير و الأصول و غيرها من العلوم . مات سنة 846 هـ في الأربعينات من عمره ببلاد عنتاب . لم يترك الشيخ

---

1 هو الحافظ المحدث المسند المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، عرف بالحفيد، برع في العلوم العقلية والتقليدية ، ولد سنة 766 هـ، ومات سنة 842 هـ بتلمسان، قال عنه تلميذه ولي الله الثعلبي: " أجمع الناس من المغرب إلى الديار المصرية على فضله لا أعلم نظيره في وقته" ، ينظر أحمد بابا التبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، ص: عبد الحميد الهرامة ، ص: 503، وينظر ابن مريم ، البستان في الأولياء و العلماء بتلمسان ، 201، وما بعدها .

<sup>2</sup> السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، 9/182، لقد نقل السخاوي بعض العيوب في شيخنا ، غير أن الشوكاني يرد بقوله : " و قد رام السخاوي رحمه الله مناقضة البقاعي فيما وصف به صاحب الترجمة و لعل الحامل له على ذلك ما بينه و بين البقاعي من العداوة " ينظر الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، 2/249



مدونات كثيرة و لعل ذلك يعود لموته في سن العطاء العلمي و لكثرة تجواله و رحلاته ، من التأليف نجد شرحه على جمل الخونجي ، وقد أبدع في شرحه إنطلاقاً من المنهج الذي رسمه القائم على النظر " في شروحها لابن واصل الحموي ، و الشريف التلمساني ، وسعيد العقباني ، وابن الخطيب القشنبلي و ابن مرزوق ، فما أجمعوا عليه ساق معناه و كذا ما زاده أحدهم و ما اختلفوا فيه ذكر ما رأى أنه الحق كل ذلك بعبارة يبتكرها ثم تم ذلك بما وقع للمتقدمين من علماء المسلمين فمن قبلهم في تلك المسئلة مما يرى أنه محتاج إليه من التحقيقات"1.

لقد كان لأبي الفضل المشدالي مشاركة مهمة في علم مقاصد السور القرآنية من خلال تقييده لمنهج النظر في السورة القائم على ضبط العلائق بين مقدمات السورة و بين غرضها المنشود .

ويصرح البقاعي بمشاركة شيخه في هذا الفن المبتكر فيقول : " قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان سقى الله عهده سحائب الرضوان وأسكنه أعلى الجنان : الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقته له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء

العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية و آية في كل سورة سورة والله الهادي "1 . هاته القاعدة لم تصلنا إلا عن طريق البقاعي فقد نقلها في كتابه نظم الدرر ، و قد صرح بتفرده بسماعها عنه فقال " : القاعدة التي افتتحت بها كتابي عن الشيخ أبي الفضل المغربي رحمه الله لم يسمعها منه غيري " 2، و نجد أن القاعدة نقلها السخاوي حينما ترجم لأبي الفضل البجائي ، و كذا الشوكاني حينما ترجم للبقاعي . كما يذكرها السيوطي رحمه الله دون أن ينسبها لصاحبها .3 حتى نجد أن الكثير من الباحثين ينسبون القاعدة للسيوطي نفسه .

### تفكيك عبارة المشدالي :

لو حاولنا تفكيك العبارة لوجدنا أنها تحدد عناصر استكشاف مقصود السورة وهي كما يلي :

أنك تنظر الغرض الذي سيقته له السورة .

وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات .

وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب .

---

1 البقاعي ، نظم الدرر، 1/ 17-18 .

2 البقاعي ، مصاعد النظر، 1/ 137 .

3 السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن، 2/ 217 .

وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة اشفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها.

هاته العبارة تشير لثلاث أسس مهمة وهي بناء النص القرآني على وحدة كلية و مقصود جامع يستنبط من خلال تقسيم السورة إلى أجزاء يحكمها ذلك المقصود بحيث تحدد المقدمات حتى و إن طالت و ضبط بقية الأجزاء الخادمة للمقصود من حيث التأكيد و كل هذا يحكمه

و من جهة ثانية نجد أن الشيخ لم يهمل المتلقي أو القارئ الذي يستنبط تلك المقاصد و الأغراض والذي يجب أن يكون على كفاءة تعينه على تحصيل المطلوب وهي قراءة "ليست في مكنة الجميع وإنما هي في مكنة طائفة منحت العقول النيرة و عملت على تنميتها بالقراءة والبحث " <sup>2</sup>. و التدبر في كتاب الله عز وجل حيث أرشدنا الشرع لضرورة الإلتفات لتلك الأغراض الماثورة في كتاب الله.

#### الفرع الرابع : مساهمة البقاعي في فن مقاصد السور :

لقد نقلنا البقاعي من مرحلة كون أن مقاصد السور القرآنية الكشف عنها غرض ثانوي إلى مرحلة جديدة جعلت مقاصد السور القرآنية غرضاً أساسياً للمؤلفين .

---

1 البلاغة هي :مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .ينظر الخطيب القريني ،الإيضاح في علوم البلاغة ،1/41 .

<sup>2</sup> إدريس حمادي ،الخطاب الشرعي و طرق إستثماره ،174

فيعد رحمة الله عليه من أهم المفسرين الذين اعتنوا بعلم مقاصد السور القرآنية فقد استفاد من تجربته العظيمة في ميدان علم المناسبة القرآنية ، حيث أنه استطاع أن يقعد لنا قواعد خاصة متعلقة بعلم مقاصد السور انطلاقاً من فن التناسب ترك لنا مصادر مهمة في هذا المجال أهمها نظم الدرر ومساعد النظر للإشراف على مقاصد السور .

لقد استطاع أن يؤسس لعلم مقاصد السور القرآنية وذلك من خلال التدليل عليه أولاً ومن خلال إرسائه لمجموعة من المسالك التي من شأنها أن تكشف عن مقصود السورة القرآنية فيما يلي نحاول تفصيل ما أجمل .

لقد عرف البقاعي علم مقاصد السور فقال : "علم يعرف منه مقاصد السور ، و موضوعه آيات سور ، كل سورة على حالها، وغايته معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة ، ومنفعته التبحر في علم التفسير فإنه يثمر التسهيل له و التيسير ، ونوعه التفسير ، ورتبته أوله، فيشتغل به قبل الشروع فيه فإنه كمقدمة له من حيث إنه كالتعريف ، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً <sup>1</sup> .

أقسامه: السور ، وطريقة السلوك في تحصيله جمع جميع فنون العلوم ، و أقل ما يكفي من علمه مقدمة تعرف باصطلاح أهله وما لا بد من مقاصده ولا سيما علم السنة . " 2.

من خلال إستقراء كتب البقاعي خاصة نظم الدرر و مساعد النظر نجد أن مقاصد السور القرآنية تظهر على مستويات فهي مرة تخدم وحدة السورة القرآنية

---

<sup>1</sup> البقاعي ، نظم الدرر ، المقدمة .

2 البقاعي ، نظم الدرر ، المقدمة .

، أو توجيه التناسب بين الآيات داخل السورة الواحدة. كما أنها تخدم من جهة أخرى وحدة القرآن الكريم من خلال توجه ترتيب السور القرآنية على أساس بنائها على بعضها البعض . سنحاول بيان ذلك من خلال العناصر التالية:

### أولاً : كيف يكشف البقاعي عن مقصود السورة :

قبل الحديث عن مسلك الكشف عن المقاصد القرآنية عند البقاعي لا بد من التمهيد للمقصود بما يلي :

البقاعي يثبت في تنايا كتبه أن لكل سورة مقصود فيقول : "كَلَّ سورة لها مقصد واحدٌ يدار عليه أولها وآخرها ، ويستدلُّ عليها فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهجٍ وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل استدلال عليه ، وهكذا في دليل الدليل ، وهلمَّ جرًّا ، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتداء ، ثم انعطف الكلام إليه ، وعاد النظر عليه، على نهج بديع ومرقى غير الأول منيع ، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيقة الحالِية المزيّنة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرِّ وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلّ دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها ، وشعبة ملتحمة بما بعدها ، وآخر السورة قد واصل أولها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها ، وعانق ابتداؤها ما قبلها ، فصارت كلّ سورة كدائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغرّ البديعة النظم العجيبة الضمّ بلين تعاطفِ أفنانها وحسن تواصل ثمارها وأغصانها" 1

1 البقاعي ، مصاعد النظر ، 1 / 149 .

فلكل سورة مقصد تحققة آياتها المختلفة وهذا المقصود يدل على تلك المقدمات التي تساق في أول السور وتلك الخواتم التي تختتم بها السورة بالإضافة إلى إنجرار الكلام .

لقد استطاع البقاعي أن يصل إلى ما وصل إليه عن طريق إستعمال قاعدة مهمة علمه إياها شيخه أبو الفضل المشدالي يقول البقاعي .

ثانيا : مسالك الكشف عن مقاصد السور :

للبقاعي مسالك عديدة للكشف عن مقصود السورة القرآنية تظهر للمتأمل بمجرد الإطلاع على تفسيره لبعض السور في نظم الدرر ولو تتبع الناظر باقي السور لوجده لا يحيد عن ذلك المنهج المنتخب للدلالة على مقصود السورة نجمله فيما يلي :

تحقيق مقصود السورة من خلال إسمها:

لقد ساهم البقاعي في إرساء قاعدة مهمة للدلالة عن مقصود السورة فقد ظهر له في السنة العاشرة من تأليف كتابه نظم الدرر أن إسم كل سورة في القرآن هو مترجم عن مقصودها وفي ذلك قال :

"أن إسم كل سورة مترجم عن مقصودها ؛ لأن إسم كل شيء يظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه ، وذلك هو الذي أنبأ به "آدم" عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام "1 .

فسورة النحل مثلا "مقصودها الأعظم : التدليل بنعم الله على وحدانيته وكمال علمه وقدرته واختياره وتنزهه عن شوائب النقص: وأدّل ما فيها على هذا المعنى

أمر النَّحْلَ لما ذكر من أمرها من دقة الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها وجعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة والضّارة وغير ذلك من الأمور . ووسمها بالنعم واضح في ذلك والله أعلم

1."

وفي حالة تعدد أسماء السورة الواحدة فإنك تجده يحصيها ثم يبرز القدر المشترك بينها والذي بدوره يكون دالا على مقصود السورة .

#### الاسترشاد بآيات من السورة:

يعتمد البقاعي هنا على مسلك ظواهر النصوص للدلالة على مقصود السورة سواء كانت تلك الآيات من مطالع السورة أو من أواسطها وهذه بعض النماذج لذلك .

يقول البقاعي في مطلع سورة الفتح : " مقصودها مدلول اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما ، وما وقع تصديق الخبر به من غلب الروم على أهل فارس وما تفرع من فتح مكة المشرفة من إسلام أهل جزيرة العرب وقتال أهل الردة وفتوح جميع البلاد الذي يجمعه كله إظهار الدين على الدين كله ، وهذا كله في غاية الظهور بما نطق ابتداءها و أثنائها في مواضع . "2

#### الاسترشاد بمطالع السور وخواتمها:

1 البقاعي ، المصدر السابق /1 /111 .

2 البقاعي ، المصدر السابق، 7 /183

استطاع البقاعي أن يوظف العلائق الموجودة بين الآيات القرآنية خاصة ترتيب أوائل السور على خواتم ما قبلها و أواخر السورة على أولها في بيان مقصود السورة القرآنية .

"مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذي هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه في الذاريات ..... لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد ،أفتحت هذه -أي الطور -بإثبات العذاب الذي هو روح الوعيد"1

الاعتناء بمقاصد السور على مستوى أكثر من سورة :

لقد أثبت البقاعي أن للقرآن الكريم مقصود أعظم تصب فيه جميع مقاصد السور القرآنية ومنه تتناسل و عليه تنبني "ينظر الإمام البقاعي و منهاجه في التأويل " .  
لقد استطاع البقاعي أن يحرر هذا المقصود في بداية نظم الدرر وهو يفسر سورة الفاتحة التي تعد عند الكثير من العلماء أصل لجميع مقاصد السور القرآنية ف" ما من شيء من مقاصده إلا وهو تابع لها فهي له أصل"2.

قال البقاعي: " المقصود من إرسال الرسل ، وإنزال الكتب نصب الشرائع ، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق ، والمقصود من جمعهم تعريفهم الملك وبإراضيه ، وهو مقصود القرآن ، الذي انتظمته " الفاتحة " بالقصد الأول ، ولن يكون ذلك إلا بما ذكر علمًا وعملاً"3

---

1 المصدر نفسه ، 291 /7

2البقاعي ، مصاعد النظر 1 /473

3 البقاعي ،نظم الدرر ، 21 /1



بعدما أثبت البقاعي أن سورة الفاتحة قد إشتملت على المقصود الأعظم نجده بعد ذلك يثبت في كل بداية تفسير أي سورة مقصودها ويربطه بما سبق . يقول مثلاً في سورة آل عمران : " المقاصد التي سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله وإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما أثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ، ولا في الآخرة ، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الإقبال عليه والمسارعة إليه وفي وصف المتقين بالإيمان والدعاء والصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار ما يتعطف عليه كثير من أفانين أساليب هذه السورة ، هذا ما كان ظهر لي أولاً .

وأحسن منه أن نخصّ القصد الأول وهو التوحيد بالقصد فيها ، فإن الأمرين الأخيرين يرجعان إليه ، وذلك لأن الوصف بالقيومية يقتضي القيام بالاستقامة ، فالقيام يكون على كل نفس ، والاستقامة العدل ، وهذا الوجه أوفق للترتيب ، لأن الفاتحة لما كانت جامعةً للدين إجمالاً جاء ما به التفصيل محاذياً لذلك ، فابتدئ بسورة الكتاب - البقرة - المحيط بأمر الدين ، ثم بسورة التوحيد - آل عمران - الذي هو سرُّ حرف " الحمد " ، وأول حروف الفاتحة ، لأن التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناءً إلا عليه ، ولما صحَّ الطريق ، وثبت الأساس جاءت التي بعدها - النساء - داعيةً إلى الاجتماع على ذلك . " 1 .

ثالثاً استثمار البقاعي لمقاصد السور القرآنية : من خلال مقاصد السور

القرآنية استطاع البقاعي أن يؤسس لنظريته في التناسب القرآني كما أنه

إستطاع أن

يضع بعض أسس نظرية الوحدة القرآنية في السورة أو في القرآن الكريم ككل.

هذا على مستوى الكلي أما على المستوى الجزئي نجد أنه استطاع أن يوظف هذا العلم في العملية التأويلية فبه وجه المتشابه اللفظي وبه تم كذلك توجيه اختلاف القصص القرآني ، حتى أن البسملة استطاع أن يفسرها في أول كل سورة وفق مقصود تلك السورة.

#### رابعا : نظرات حول منهج البقاعي :

البقاعي رحمة الله عليه حاول أن يطبق قاعدة أو منهج شيخه في الكشف عن المقصود غير أنه إكتفى بتطبيق شكلي لها يقوم على إستخراج مقصود السورة من خلال إسمها و من ثم ينتقل إلى تفسير بسملة السورة وفق ذلك المقصود ثم يبرز براعة إستهلال السورة من خلال الإشارة إلى ذلك المقصود المكتشف ، الذي كان يجب أن يكشف عنه من خلال النظر الكلي في السورة من خلال تتبع أجزائها و إلتماس مراتب تلك الجزء من أجل تحصيل مرتبة المقصود ومرتبة المقدمات وباقي المرتبات التي قد تحقق التأكيد ، أو الختم أو غيره .

#### المطلب الثالث : المرحلة التجديدية المعاصرة :

من رواد هاته المرحلة نجد كلا من الفراهي<sup>1</sup> وعبد الله دراز ، وسيد قطب و الطاهر

---

1 الفراهي هو العالم المفسر الهندي نشأة ومولدا كان مولده سنة 1864 م ، أفنى عمره في تدبر كاب الله عزو جل ومدارسته ، ترك عددا من المصنفات ، من بينها نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان دلائل النظام، مفردات القرآن، توفي سنة 1930م ، ينظر الترجمة كاملة مقدمة كتاب ، مفردات القرآن "نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية ، عبد الحميد الفراهي ، ت: محمد أجمل الإصلاحي ، 5 وما بعدها .

بن عاشور وغيرهم ، فكل واحد منهم كانت له مشاركة تجديدية في ميدان مقاصد السور القرآنية فالفراهي أبدع نظرية النظام و عبد الله دراز استطاع أن يقدم نموذجا تطبيقيا لوحدة سورة من سور القرآن وهي سورة البقرة أما سيد قطب حاول أن يؤكد في كل مرة الوحدة السياقية للسورة القرآنية . 1

### الفرع الأول : مساهمة الفراهي في علم مقاصد السور القرآنية :

إن علم النظام الذي ابتكره الفراهي هو في نظره علم جامع ليس كعلم المناسبة الذي يقتصر على ذكر المناسبات بين الآيات والآيات أو بين السور والسور فيقول في ذلك: " قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور ، وأما الكلام في نظام القرآن ، فلم أطلع عليه ، والفرق بينهما : أن التناسب إنما هو جزء من النظام ، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه ، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما ، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً ، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها ، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بُعدٍ منها...." 2.

ولمعرفة نظام السورة القرآنية يعمد الفراهي إلى استخراج عمودها والذي عرفه بقوله: "هو جماع مطالب الخطاب والمقصود منه. فليس من أجزائه الترتيبية ولكنه يسري فيه كالروح..... فلا يطلع عليه إلا بعد اسيفاء الكلام والتدبر فيه" 3.

1 الفراهي ، دلائل النظام ، 75

2 المرجع نفسه ، 76

3 المرجع نفسه ، 73.

التأمل إذن في كتاب دلائل النظام يجد أن الفراهي قد أشار إلى مجموعة من القواعد تصلح لأن تكون ضوابط معينة للكشف عن عمود السورة ، الذي هو في الحقيقة المقصود الكلي للسورة القرينية الذي يجمع مطالبها المختلفة و لتحصيله لا بد من إمعان النظر ، و كثرة التدبر ، وقد صرح الفراهي بصعوبة تحصيله فقال : "اعلم أن تعيين عمود السورة ، هو إقليد لمعرفة نظامها ولكنه أصعب المعارف ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة ، حتى يلوح العمود كفلق الصبح فيضيء به السورة كلها ويتبين نظامها وتأخذ كل آية محلها الخاص " 1.

ومرد صعوبة تعيين العمود هو طبيعة القرآن الكريم بحيث أنه نزل "متشابهة مثاني فترى سورا متشابهة المطالب مع اختلاف عمدتها ومتحدة العمد مع إختلاف المطالب " كما أنه نزل بالحكمة التي لا يمكن أن تحصل إلا بإعمال الفكر والعقل. 2.

#### الفرع الثاني : مساهمة عبد الله دراز في خدمة المقاصد القرآنية :

لقد استطاع عبد الله دراز أن يأتي بالجديد في مجال مقاصد السور القرآنية ، كيف لا وقد نهل من معين الشاطبي رحمة الله عليه حين حقق الموافقات ، فكثيرا ما يؤكد على ضرورة النظر الكلي في السورة القرآنية فيقول : "تقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا ، وأوزاعا من المباني جمعت عفوا فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس و أصول ،

1 المرجع نفسه ، 77.

2 المرجع نفسه ، 78-79.

و أقيم على كل أصل منها شعب و فصول ، و امتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول : فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات و أفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة ، بل إن السورة لتلتحم معانيها التحام الأعضاء في جسم الإنسان ، فمن وراء معانيها كلها يسري في جملة السورة اتجاه معين ، و تؤدي بمجموعها غرضاً واحداً ، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ، و يتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية ...." 1.

و يقول في موضع آخر : " أن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن تعرض السورة عرضاً واحداً يرسم به خط سيرها إلى غايتها ، و يبرز به وحدة نظامها المعنوي في جملتها ، لكي ترى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كل حلقة في موقعها من تلك العظمى ..." 2.

### الفرع الثالث : مساهمة ابن عاشور في المقاصد القرآنية :

من مشاركات الطاهر بن عاشور في علم مقاصد السور القرآنية نجد تأكيداً للمقصد الكلي للقرآن الكريم و كذا ما يتفرع عنه من مقاصد عامة له ، يقول ابن عاشور : " إن القرآن أنزله الله تعالى كتاباً لصالح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ

1 عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، 155 .

2 المرجع نفسه ، 158 .

أَنْفُسِهِمْ<sup>ط</sup> وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَدُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [ النحل 89 ] .1

ثم نجده بعد ذلك يفصل ذلك المقصود فيقول " كان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية ، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد، لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة وهي العبادات الظاهرة كالصلاة والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر. أما الصلاح الاجتماعي فيحصل أولاً من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه..... أما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي ضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع " .2

ثم نجده قد قسم المقاصد القرآنية إلى عدة أنواع ذكرها في المقدمة الرابعة من تفسيره التحرير والتنوير بعنوان : "المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبينها " إصلاح الاعتقاد ، تهذيب الأخلاق ، التشريع ، صلاح الأمة وحفظ نظامها ، القصص وأخبار الأمم ،

١ الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير، 1/ 40

2 المرجع نفسه، 1/ 38

التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين ، المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير

، الإعجاز بالقرآن .1

و من إبداعات الطاهر بن عاشور الإعتناء بالسورة كوحدة قرآنية فقد أجاد حين عرفها فقال : "السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران ، مسماة باسم مخصوص ، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة ، ناشئ عن أسباب النزول ، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة ."

إن هذا التعريف الذي تفرد به الطاهر بن عاشور في بعض جزئياته خاصة تلك المتعلقة بمقاصد الشريعة الإسلامية حيث أنه أكد على اجتماع أي السورة على معاني مشتركة تدل عليها مسالك مقامية بعضها داخلي كالمناسبات والترتيبات وبعضها خارجي كأسباب النزول .

لقد صرح ابن عاشور أنه سيعتني ببيان أغراض كل سورة في مطلعها وفي ذلك يقول : " ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله " 2.

**الفرع الرابع : جهود السيد قطب :**

سيد قطب رحمة الله عليه قدم لنا نماذج تفسيرية قائمة على اعتبار وحدة السورة القرآنية ، فكل سورة إذن لها خصائصها ومميزاتها التي تجعلها تختلف عن غيرها و

1 المرجع نفسه ، 1 / 175 وما بعدها

2 المرجع نفسه ، 8 / 1

تكون وحدة بذاتها .يقول في مطلع تفسيره لسورة الأنعام فهي : "نموذج كامل للقرآن المكي الذي تحدثنا عن طبيعته و خصائصه و منهجه في الصفحات السابقة ،وهي تمثل طبيعة هذا القرآن ، وخصائصه و منهجه ن في موضوعها الأساسي ،و في منهج تناول و في طريقة العرض سواء .ذلك مع احتفاظها بشخصيتها الخاصة وفق الظاهرة الملحوظة في كل سور القرآن ، والتي لا تخطئها الملاحظة البصيرة في أي سورة ، فلكل سورة شخصيتها و ملامحها و محورها ، وطريقة عرضها لموضوعها الرئيسي ، والمؤثرات الموحية المصاحبة للعرض و الصور والظلال و الجو الذي يظللها ، والعبارات الخاصة التي تتكرر فيها و تكون أشبه باللوازم المطردة فيها .....".<sup>1</sup>

فسيد قطب يقرر أن لكل سورة من سور القرآن شخصية مميزة لهاها "موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص ... هذا طابع عام في سور القرآن جميعا ..."<sup>2</sup>

يصعب على الباحث تقرير منهج سيد قطب في بيان وحدة السورة لأنه لم يؤسس لها بيان قواعدها بل تجده يقدم نماذج تفسيرية متنوعة قائمة على بيان الوحدة ،فتجده يحسن توظيف أسباب النزول والعلم بظروف التنزيل في التفسير .بالإضافة إلى الاستعانة بما ساه الجو العام للسورة ، و نجده في الأجزاء الثلاثة الأخيرة ينتقل من وحدة السورة إلى وحدة الجزء فتصير السورة كأنها مقطع من الكل و هذا ما يجعلنا نحكم عليه بأن: "منهج التفسير -لديه- ليس مفروضا

1 السيد قطب ، في ضلال القرآن ، 6 / 403 .

2 المرجع نفسه ، 1 / 27-28 .



بصورة تعسفية على كل سور القرآن الكريم ، فهو يتشكل و يتنوع ويتعدد حسب شخصية و طبيعة كل سورة و الهدف من ذلك هو الترجمة عن حقيقة القرآن ... ليجعل المسلم المعاصر يعيش في أجواء القرآن الكريم .<sup>1</sup>

### الفرع الخامس : جهود محمد الغزالي :

تعد جهود الشيخ محمد الغزالي رائدة في هذا الباب حيث أنه استفاد ممن سبقه من العلماء خاصة الشاطبي ، و عبد الله دراز ، و استطاع أن يوظف تلك النظرة الكلية للسورة القرآني في مجال التفسير الشفاهي من خلال الدروس التي ألقاها إما في المساجد ، على طلبته في الجامعة .<sup>2</sup>

ثم نجده بعد ذلك قد إنتقل إلى مرحلة جديدة قائمة على التدوين المستقل حيث ألف كتابه المتميز " نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم " . يقول مثلاً: " في سورة الحجرات جملة من الآداب التي تزين الأمة و تصون كيانها ، أولها أدب المسلمين مع رسولهم ، ثم آداب المسلمين بعضهم مع بعض ، ثم علاقة الأمة كلها بسائر الأمم " .<sup>3</sup>

يتسم منهجه في الغزالي في دراسة وحدة السورة بعدم الإطار فقد تجده يذكر مقصود السورة أحياناً في البداية و قد يؤخر ذكره مثلما فعل في سورة الإسراء .

1 أحمد البزوي ، نسقية السورة القرآنية دراسة في تفسير سيد قطب ، 1 ، 13

2 محمد دراجي ، تجديد مناهج التفسير ضرورة ملحة ، مقال بمجلة الصراط ، 114 . و ينظر أحمد

رحماني ، مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي ، 3 .

3 محمد الغزالي ، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، 404 .

كما نجد أنه ينكر تلك العلاقة القائمة بين إسم السورة و يرفض "اعتماد أسماء السور في استجلاء و حدثها ذلك أن أسماء السور شيء غير موضوعاتها ، فالموضوعات غالبا متشعبة مستفيضة ، أما الأسماء فذات دلالات جزئية لذا تجده مثلا يسمي سورة البقرة بسورة الأتقياء لما لاحظته أن السورة تدور حول حقيقة التقوى"<sup>1</sup>.

توظيف المتشابه من القصص القرآني لبيان المقصود . مثلما فعل فس سورة هود و الأعراف .

الإكتفاء ببعض الآيات التي يختارها و التي تمثل أسس الوحدة في السورة و في ذلك يقول : " أنني أختار من الآيات ما يبرز ملامح الصور و أترك غيرها للقارئ يضمها للسياق المشابه أوذلك حتى لا يطول العرض ويتشتت الإيجاز مقصود لدي....."<sup>2</sup>

الوعي بالمقاصد الكلية للقرآن من خلال تتبع المعاني المشتركة بين السور وقد قدم نماذج في كتابه الخاص "المحاور الخمسة للقرآن الكريم"<sup>3</sup>.  
إن " ما قدمه الشيخ محمد الغزالي - في حقل التفسير - يمتاز بالإستقلالية فيه ، نتيجة لتأملاته و معاشته للقرآن ، واستخدامه للعقل في النظر و التأمل و التحليل و المقارنة و الترجيح ، و منهجه قائم على الواقعية الهادفة ، داعيا إلى تغيير الواقع ، وهذا ما يميزه عن كثير ممن كتب في هذا المجال ."<sup>4</sup>

1 سامر شواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، دار المنتقى ، 324.

2 محمد الغزالي ، مرجع سابق ، 6.

3 المرجع نفسه ، 6.

### المبحث الثاني : مقاصد السور القرآنية .

من أجل ضبط مصطلح مقاصد السور القرآنية ، لزم أن ضبط ما يلي : المقاصد و القرآن والسورة ، و كذا الإجابة عن إشكالية مهمة تضبط مكانة المقاصد القرآنية ضمن حقل الدراسات القرآنية .

### المطلب الأول : مقاصد السور القرآنية :

يعد مصطلح المقاصد من أكثر المصطلحات التي أثارت جدلا بين العلماء في العصر الحديث ، خاصة و أن ضبطه قد غاب في أهم المدونات المقاصدية وهو كتاب الموافقات .

### الفرع الأول : تعريف المقاصد :

أولا : لغة : أصل المقاصد في اللغة هو الفعل قصد، يقصد قصدا، وتطلق على عدة

معاني من بينها الاستقامة: فيقال طريق مستقيم، قال تعالى في سورة النحل: ﴿

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿

[النحل 9] . و تطلق على الاعتدال قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ

وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿ [لقمان 19].

و يؤكد المعنى السابق ما ورد في السنة النبوية : "القصد القصد تبلغوا" وعن جابر

<sup>1</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ

عَمَلُهُ " ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدَّدُوا ، وَقَارِبُوا

وَاعْدُوا ، وَرَوْحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّجَّةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا " رواه البخاري، الصحيح، كتاب

الرفاق ، باب : كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . رقم الحديث : 6463 .

بن سمرة يصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ " : كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا ، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا . " 1  
وتطلق على الأم قال النابغة الذبياني :

" وَقَائِلَةٌ : مَنْ أُمَّهَا وَاهْتَدَى لَهَا زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو أُمَّهَا وَاهْتَدَى لَهَا "

وتطلق على إتيان الشيء قال ابن جني : " أصل قصد ومواقعها في كلام العرب  
الاعتزام ، التوجه و النهود ، والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان أو جور هذا  
أصله في الحقيقة .... " 2

كما تطلق على إصابة الشيء فترديه قتيلًا أو تسبب كسره كالسهام مثلا ، يقول  
الأعشى :

فأقصدها [سهمي] وقد كان قبلها لأمثالها من نسوة الحي قانصا .  
ويقول أبو حية النميري :

رمين فأقصدن القلوب ولم تجد دما مائرا إلا جوى في الحيازم  
وتطلق على الاكتناز في الشيء .

وتطلق على القرب فيقال سفر قاصد أي قريب .<sup>3</sup>

ورد لفظ ق ص د في القرآن الكريم في ستة مواضع وتفيد في مجملها التوسط  
والاعتدال و عدم الإفراط<sup>4</sup> ، إلى جانب ما قيل فنجد :

1. رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة ، رقم الحديث : 1887 .

2 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قصد ، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة 5 / 95

<sup>3</sup> الزمخشري ، أساس البلاغة ، ت : محمد عيون السود ، 2 / 80-81

<sup>4</sup> ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 6 / 255 . إلى جانب ماسبق أضاف بأن اتباع القصد هو تحقيق  
للطاعة .

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة 42].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا سَجَّحِدُ بِأَيْتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان 32].

وقوله أيضا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر 32].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة 66].

وفي الحقيقة لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي بل يؤكد، فمقاصد القرآن اعتدال ضد جور الحرفية والباطنية وهي تقريب للبواعث التشريعية ونهوض لها. فمن حازها سهل عليه إصابة المعاني الحقيقية .

ثانيا : اصطلاحا :

مصطلح المقاصد من المصطلحات القديمة قدم التشريع والتنزيل ، رغم هذا القدم ورغم الغنى الدلالي للمصطلح يجد الباحث نفسه أمام غياب تعريف حدي لها عند العلماء القدماء و على رأسهم شيخ المقاصد و واضع قواعد هذا الفن . وقد أرجع بعض المعاصرين ذلك لأسباب عديدة من بينها :  
" طبيعة العمل الفقهي الأصولي في عصور التشريع الأولى ، والتي كانت لا تحتاج كثيراً إلى التدوين والتأليف والتنظير ، وإنما كانت تتأسس على سرعة الاستحضار الذهني وعلى السليقة العلمية والملكة الاجتهادية الذاتية التي كان يتمتع بها الأعلام المجتهدون .

- طبيعة المادة المقاصدية المتسمة بالاتساع والضخامة والتشعب والتجذر في كثير من المباحث والفنون الشرعية .

- طبيعة البحث العلمي القائمة على أساس الجهود التكاملية والأدوار المشتركة في صياغة علم أو فن أو نظرية ، ذلك أن البحث العلمي في موضوع المقاصد هو نفسه لم يشذ عن هذا الأساس وإنما ظل اكتمال بنيانه متوفقاً على جهود السابقين واللاحقين تأسيساً ونقداً وموازنة وإثراء وتطويراً .<sup>1</sup>

وفي ذلك يقول الدكتور جغيم<sup>2</sup> معللاً : " لم يرد تعريف اصطلاحى مضبوط

<sup>1</sup> الخازمي مقاصد التشريع ، مقال منشور بمجلة العدل السعودية العدد

<sup>2</sup> باحث أكاديمي جزائري ، من مواليد 1966 ، متحصل على شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة البنجاب و الدكتوراه 2001 ، من الجامعة الإسلامية باليزيا الموسومة ب طرق الكشف عن مقاصد الشارع . ينظر موقع جامعة المدينة العالمية .

للمقاصد عند المتقدمين من الأصوليين ،ومع أن الشاطبي يعد أول من أفرد المقاصد الشرعية بالتأليف وتوسع فيها بما لم يفعله أحد قبله إلا أنه لم يورد تعريفا اصطلاحيا لها وربما كان ذلك راجعا إلى نفور الإمام الشاطبي من التقييد بالحدود في المباحث الأصولية التي تحدث عنها ،ويؤيد ذلك انتقاده لنظرية الحد عند المنطقة " 1 .

الملاحظ أن هذه التعليقات غير كافية فالكتابة عند العلماء لا تعني الإختصار وترك الحدود بل هي مدعاة للتفصيل و التدقيق حتى في بناء الحدود، كما أن الدكتور الخادمي<sup>2</sup> قام بوصف حركية البحث العلمي القائمة على التكمال ، ولكن هل الشاطبي ترك التعريف لأنه يعلم بأن سيجعل لكتابه قبولا و سيأتي من بعده ليستدرك؟ فهذا التعليق مردود من هذا الوجه .

ومن الأفضل أن يعلل أن ترك الشاطبي لتعريف المقاصد كان بسبب "...أنه علم لم تكتمل مباحثه تدوينا ،وهو علم مبتكر و لا تسعفه الحدود في الابتداء ،ودليل ذلك أن الشافعي لم يعرف الأصول في الرسالة وهذا شأن كل علم مبتكر"<sup>3</sup>. رغم هذا سنحاول فيما يلي بيان دلالة المقاصد عند عدد من الأصوليين والمفسرين . فتعاريف الأصوليين جعلت المقاصد تدور مع الصلاح ووجودا وعدمها .4

1 . ينظر نعمان جعيم ، طرق الكشف عن مقاصد الشارع ،25 .

2 باحث و أكاديمي تونسي من مواليد 1963 ،متحصب عبي شهادة الدكتوراه من الزيتونة تخصص أصول الفقه و مقاصد الشريعة .زاول التدريس في عدد من الجامعات الإسلامية وله أكثر من ثلاثين مؤلف .ينظر الترجمة بقلم الشيخ على موقع :الجمعية التنوير للعلوم الشرعية .

3 الأخضر الأخضر، الإمام في مقاصد رب الأنام ،61

4 ينظر الغزالي، المستصفى 1/ 174، الأمدى، الإحكام في أصول الحكم ، 2/ 271 .

أما المعاصرين فقد إتجهو مباشرة لضبط المصطلح خاصة مع الدعوات الصريحة لفتح أبواب التجديد في الفنون الشرعية خاصة فني الأصول والمقاصد .

يعد الطاهر بن عاشور من بين الأوائل الذين عرفوا المقاصد وذلك في معرض تقسيمه لها فقال المقاصد العامة : "وهي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها" 1

أما المقاصد الخاصة : " هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس، مثل قصد التوثق في عقد الرهن، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة النكاح " 2.

علال الفاسي فقد عرفها بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها" 3 قاصداً بالغاية منها مقاصدها العامة، وبأسرار المقاصد الخاصة لكل حكم من أحكامها الجزئية.

أحمد الريسوني بقوله : "إن مقاصد الشريعة: هي الغايات التي وضعت الشريعة

<sup>1</sup> الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة ص: 51

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، 146

<sup>3</sup> علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ، 3



## لأجل تحقيقها لمصلحة العباد "2

عرفها الخادمي بقوله المقاصد: " هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمرتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين "3

وحاصل ما سبق أن تلك التعريفات فيها: "إبدال ألفاظ مكان ألفاظ هي أخفى أو مساوية في الجهالة. فمن جلب لمعاني القصد الحكم و الغايات فقد أبدل مبنى بمبنى قد يكون مساويا للمقصد في الجهالة أو أخفى منه ، وذلك باعتبار المعاني لا باعتبار كونه من التعريفات الجائزة بعد تعذر الحدود والرسوم ، لأن جلب الماهيات أمر عسير ، وقد تعقل الحقائق و لا تنظم عندها العبارة ..... تنتقد تعريفات المقاصد من حيث إنها تؤدي إلى الدور الممنوع، لأن الجاهل بحقيقة المقاصد إذا قيل له :إنها المعاني أو الحكم أو الغاية أو السر التبس عليه الأمر إذا كان جاهلا بحقائقها . "4

فتلك الألفاظ التي أوردتها العلماء لتوضيح مصطلح المقاصد في تعريفاتهم كثير منها معيب فلفظ المعاني يجعل الناظر يظن أن المقاصد لا تقتنص إلا من بواطن

---

<sup>1</sup> و أحمد الريسوني ولد سنة 1953م بناحية مدينة القصر الكبير بشمال المغرب، دكتوراة في الشريعة نال شهادة الماجستير عن رسالته نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،. انظر ترجمته مقدمة كتابه نظرية المقاصد، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

<sup>2</sup> أحمد الريسوني ، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، 7

<sup>3</sup> نور الدين مختار الخادمي ،مقاصد التشريع الإسلامي : مفهومها ، ضرورتها، ضوابطها، 4

<sup>4</sup> لخضاري لخضر ،الإمام في مقاصد رب الأنام 61-62.

النصوص ، ولفظ الأسرار " فإنها تعكس فقها توسميا لا يسعفه منهج التواتر و الغاية مقصد من باب التجوز لأن حقيقة المقاصد الوصول إلى الغاية والفرق

بينهما . " 1

و التعريف المختار ما ذكره صاحب كتاب الإمام و مفاده أن المقاصد الشرعية هي : " البواعث على تشريع الأحكام " . 2 سواء كانت مقاصد أحكام الفقه أو حتى مقاصد أحكام العقائد .

الفرع الثاني : تعريف القرآن الكريم

أولا : لغة :

القرآن من الألفاظ التي اختلف فيها من حيث الاشتقاق وعدمه والهمز وعدمه ، فمنهم من قال أنه مهموز على وزن فعلان كالزجاج أو الغفران كاللحياني ، وذهب الفراء والأشعري و الشافعي إلى أنه غير مهموز فينطق قرآن . وذهب جل العلماء إلى اعتبار أن القرآن مشتق فمن قال بأنه مهموز عده مشتق من قرأ .

وهو الجمع ومنه قولنا قرئت الماء في الحوض إذ جمعته

قال أبو عبيد : " سمي القرآن قرآنا لأنه جمع السور بعضها إلى بعض وقيل لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة وقيل كذلك لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعانٍ " . 3

---

1 المرجع نفسه ، 62

2 المرجع نفسه ، 62

3 ينظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قرأ .

ومنهم من قال أنه من قرأ أي تلا وهو قول اللحياني . وهذا القول رجحه الزرقاني في كتابه مناهل العرفان حيث قال : " القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى : "إنا علينا جمعه وقرآنه..... ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله وذلك ما نختاره " 1.

ومن عده غير مهموز قال أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء فالحروف قرنت بالحروف والآيات والآيات والسور بالسور ذهب إلى هذا المعنى الأشعري رحمة الله عليه .

وقال القرطبي بأن القرآن من غير همز مؤخود من القرائن لأن الآيات يصدق بعضها بعضا وتشابه بعضها بعضا . 2

في حين نجد أن هناك من قال بأن القرآن غير مشتق و من هؤلاء الشافعي و الذي يذهب إلى أن القرآن لم يؤخذ من قرأت ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآنا ولكنه اسم للقرآن كالإنجيل والتوراة . 3

بعد هذا التجاول لضبط الدلالة اللغوية لمصطلح القرآن نستطيع أن نقول أن ما سبق سابقا من أقوال لا تعارض بينها مآلا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنها مع اختلافها إبتداءا تؤكد لنا بعض خصائص القرآن وكل قول قد قيل يولد معنى

---

1 ينظر عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان 1 / 16 .

2 السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن 1 / 188 .

3 ينظر صبحي صالح ، مباحث في علوم القرآن ص: 18، الإتيقان ، مصدر سابق 1 / 188 .

جديد يؤكد بأن القرآن كتاب ضم مقاصد وفيرة و معاني جليلة وحكما بليغة و جب علي المكلف أن يسعى لتحصيلها حتى يحصل الراحة في الدنيا والآخرة .  
ومن كونه كتاب جمع الأوامر والنواهي والوعد والوعيد ولسيت إلا مسالكا من أخذ بها حصل المقصود .

ومن كونه كذلك كتاب تشابهت آياته ، وصدقت بعضها بعضا ، فجاءت الحروف و الآيات والسور متناسقة المعاني مترابطة المباني تكشف عن نظام مقصود وترتيب مرغوب ، تلفت الناظر إلى ضرورة الاعتناء بمنظومة التقصيد في القرآن الكريم .

#### ثانيا : اصطلاحا :

القرآن أصل الحقائق الثابتة ومرجع العلماء لذا نجد كل واحد يؤخذ منه بقدر حاجته ومتطلباته ، و بقدر تخصصه كذلك فالأصولي يسعى لتحصيل الأحكام واللغوي يبحث في مجال الإعجاز ودقة البيان و أهل العقيدة يحصلون أحكام العقائد ، لذا تجد تعاريف تختلف باختلاف مشارب هؤلاء وتعلقاتهم ، وهاهنا في هذا البحث الذي يدرس مسألة مقاصد السور فإننا نختار التعريف التالي :

القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته المعجز بلفظه و معانيه .<sup>1</sup>

فالقرآن الكريم معجز بلفظه ومعانيه: " القرآن معجز بجملته ، كما أنه معجز بأبي سورة منه ، و لو كانت أقصر سورة من سوره "2، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِّينِ

<sup>1</sup> نور الدين عتر، علوم القرآن ، 12

<sup>2</sup> المرجع نفسه .

أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ  
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ [الإسراء 88] .  
وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ  
مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ  
لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ  
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ [البقرة 24] .

فالقرآن الكريم معجز بتلك الألفاظ التي أرساها وبتلك المعاني التي قصدها،  
معجز بأحكامه و مقاصده معجز بكل ما فيه .

### الفرع الثالث: تعريف السورة :

أولاً : لغة : السورة في لغة العرب تعني المنزلة الرفيعة، قال صاحب اللسان :  
السُّورَةُ: المنزلة، والجمع سُورٌ وَسُورٌ، الأخيرة عن كراع، والسُّورَةُ من البناء: ما  
حَسَنَ وطال. الجوهري: والسُّورُ جمع سُورَةٍ مثل بُسْرَةٍ وَبُسْرٍ، وهي كل منزلة من  
البناء؛ ومنه سُورَةُ الْقُرْآنِ لأنها منزلةٌ بعد منزلة مقطوعةٌ عن الأخرى..... وأما أبو  
عبيدة فإنه زعم أنه مشتق من سُور البناء .. والسُّور عند العرب حائط المدينة،  
وهو أشرف الحيطان....." 1.

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة: سور .

فالسورة إذن تحقق لقارئها المنزلة العالية ، ، كم أنها تحقق الإحاطة لكونها تحيط  
بآيتها وتجمعها لما بينها من معاني مشتركة ، وفي كلا الحالتين الواو في سورة أصلية،  
و قد قيل في رأي آخر أن السورة واوها ليس أصلي بل أصله همزة فهي من السور  
وهو البقية "

وعلى هذا التوجيه سميت السورة كذلك لأنها قطعة من القرآن الكريم " 1

### ثانيا : اصطلاحا

عرفها علماء القرآن بتعاريف لم تخرج عن تلك التعاريف اللغوية ونختار في هذا  
الباب تعريف الشيخ الطاهر بن عاشور الذي أفاد و أجاد في ضبط تعريف  
مقاصدي للسورة .<sup>2</sup>

فقال بأن : "السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران ، مسماة باسم  
مخصوص ، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات  
تلك السورة ، ناشئ عن أسباب النزول ، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من  
المعاني المناسبة . " 3

فالطاهر بن عاشور ضبط حد السورة بكونها قطعة من القرآن انطلاقا من المعنى  
اللغوي لها ثم نجد أنه يذكر بعض خصائصها ، كتميزها باسم مخصوص ، و أن  
آياتها تشترك في معاني و أغراض مخصوصة ، يستدل عليها بالسياق عموما ، سياق  
حال و الذي تترجمه أسباب النزول و ظروف التنزيل كالعلم بالمكي والمدني و

1 فضل عباس ، إتقان البرهان ، 443 .

2 من التعاريف المتميزة تعريف الحرالي : "السورة تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام بمنزلة

إحاطة السور بالمدينة . " البقاعي ، نظم الدرر / 1 / 62 .

3 الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير . 1 / 85 .

معرفة عوائد العرب عموما ، بالإضافة إلى سياق النظم وتعليقاته وتلك الروابط الجامعة بين أجزاء السورة بله أجزاء القرآن ككل .  
المقاصد القرآنية هي بواعث تشريع الخطاب بإعتبار الجزء و بواعث ترتيبه .  
و هكذا تدل العبارة على اشتغال مقاصد السور القرآنية للمقاصد الجزئية و الخاصة و المقاصد الكلية .

### المبحث الثاني : المقاصد القرآنية بين العلمية و المنهج :

تختلف الأنظار إلى المقاصد القرآنية فمنهم من يرى بأنها من مقدمات التفسير فيفتح تفسيره للسورة القرآنية بإبراز أغراضها الكلية و الجزئية ، وهناك من يرى بأنها علم قائم بذاته ، و على رأس هؤلاء الإمام البقاعي رحمة الله عليه . والكثير من المفسرين استعمل المقاصد القرآنية كأداة من أدوات التفسير أو منهج خادم له في تفسيره . وهكذا نجد أن المقاصد القرآنية تدور في مجملها من كونها منهج قائم على قواعد و مسالك و من كونها علم مستقل .

قبل مناقشة ما سبق سابقا لا بد من وقفة لبيان مصطلحي العلم و المنهج .

### الفرع الأول : ضبط المصطلحات :

من أجل تحقيق مناقشة جادة لما سبق و جب ضبط مصطلحي العلم و المنهج و التفريق بينهما .

### أولا : تعريف العلم لغة واصطلاحا :

لقد اختلفت أنظار العلماء في تعريف العلم و تحديدها كما يلي :

## العلم لغة:

يطلق على عدة معاني من بينها الإتقان أو الشعور بالشيء ، والمعرفة وهو نقيض الجهل.1 ذكر له صاحب تاج العروس تعاريف عدة من بينها أنه صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض، و قيل هو إدراك الشيء بتفكر وتدبر.2

## العلم اصطلاحا:

لقد اختلفت الأنظار في تعريف العلم اختلافا كثيرا .3 فذهب البعض إلى ترك حده كأبي الحسن البصري والرازي4 بحجة أنه العلم ضروري فيتعذر حده . وذهبت جماعة إلى حده بالتقسيم والمثال بدل الحد الحقيقي كالإمام الغزالي والقشيري، وإمام الحرمين .5 غير أن الآمدي اعترض عليهم في ذلك وقال بأن القسمة إن لم تكن مميزة له عما سواه فليست معرفة ، وان كانت مميزة له عما سواه فلا معنى للتحديد بالرسم سوى هذا .6 هذا وقد ذهب جمهور الأصوليين إلى تعريف العلم بالحد الحقيقي . فعرفه

---

1 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة علم ، الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، 4 / 155 أبو الحسن ، معجم مقاييس اللغة ، 8 / 104 .

2 محمد مرتضى ، مرجع سابق ، 8 / 405

3 الشوكاني ، إرشاد الفحول ، 1 / 19 .

4 الزركشي ، البحر المحيط ، 1 / 52 .

5 الغزالي ، المستصفى ، 1 / 68 ، ينظر القرافي ، المصدر نفسه ، 1 / 64

6 الآمدي ، الأحكام في أصول الأحكام 1 / 14 . الزركشي ، البحر المحيط ، 1 / 35 .



1. الشرازي والقاضي في العدة بقوله : " العلم هو معرفة المعلوم على ما هو به " .
2. وبتعريف مقارب له عرفه ابن السمعاني مضيفاً له الإدراك .
- اعتراض على هذه التعاريف بأنها لم ينتظمها الشاهد والغائب والله سبحانه يتعالى على أن يوصف بأنه مبين أو مدرك ، لما في تلك الكلمات من معنى العثور على الشيء بعد فقدان أو بعد الخفاء . 3. بالإضافة إلى أنها عرفت الشيء بنفسه وبما لا يعرف إلا بعد معرفته وهو باطل . 4.
- و المعتزلة عرفت العلم بتعريف معيب فقالوا: " هو اعتقاد الشيء على ما هو به . وزاد بعضهم مع سكون النفس إلى معتقده " . 5.
- اعتراض على تعريفهم بالقول أن: الاعتقادات التي تعتقدها العامة من الجهالات ليست علوم وما تسكن إليه النفس ليس علم . كما أن قولهم اعتقاد الشيء فإنه يخرج المعدوم ، والعلم يتعلق بالمعدوم والموجود معا . 6
- كما ذهب بعض الأصوليين إلى تعريف العلم بكونه " صفة توجب تميزاً لا يحتمل النقيض . " 7 اعتراض عليه بالقول أن العلوم المستندة إلى العادة تحتمل النقيض

1 الشرازي ، اللمع ، 29 ، ينظر الطوفي ، شرح مختصر الروضة ، 1/168 .

2 الزركشي ، مصدر سابق ، 1/154 .

3 الشوكاني ، مصدر سابق ، 1/18 .

4 الزركشي ، مصدر سابق ، 1/54 ، الشوكاني ، المصدر نفسه ، .

5 الشرازي ، المصدر السابق ، 29 . الطوفي ، المصدر السابق ، 1/168 .

6 ابن عقيل ، الواضح في أصول الفقه ، 1/13 ، ينظر الطوفي ، المصدر السابق ، 1/168 .

7. السبكي ، الإبهاج شرح المنهاج ، 1/28 . الأمدى ، مصدر سابق ، 1/15 ، ينظر الطوفي ،

المصدر السابق ، 1/170 .

لإمكان خرق العادة بالقدرة الإلهية. 1 على الرغم من هذا يبقى هذا التعريف بالمقارنة مع غيره الأصح فقولهُ صفة هي صفة جنس للحد ولغيره من الصفات أيضا كالحياة والقدرة والإرادة لذا قيل توجب تمييزا لإخراج جميع تلك الصفات 2. ثم قيد الحد باحتراز آخر وهو عدم احتمال النقيض حتى يخرج الظن والوهم والشك 3 ، ليبقى الحد مستقلا بصفة العلم 4.

### ثانيا : تعريف المنهج :

لقد اختلفت أنظار العلماء في تعريف المنهج وتحديدتها كما يلي  
المنهج لغة :يقول صاحب اللسان المنهج هو : "الطريق البين الواضح ، ويطلق على الطريق المستقيم.....وأنهج الطريق وضح و استبان " 5.  
فالمنهج في باب البحث العلمي يسهل الوصول إلى الحقائق المبسوٲ عنها بأقل الجهود و أفضل الظروف .

1 أبي زكريا الرهوني ، تحفة المسؤول في شرح منتهى السؤل ، 1/ 182 .

2 المصدر السابق ، 1/ 182 ، ينظر الطوفي ، مصدر سابق ، 1/ 182.الأمدي ،مصدر سابق 1/ 15 .

3 الظن : هو " ترجيح أحد الإحتمالين في النفس على الآخر من غير قطع " الأمدي ، مصدر سابق 1/ 15 ، الشك : هو تردد في أمرين أو أكثر من غير ترجيح لوقوع أحدهما على الآخر في النفس ، الزركشي ، البحر المحيط ، 1/ 87 أما الوهم فهو : " الطرف المرجوح " الزركشي، المصدر السابق 1/ 80 .

4 الطوفي ، المصدر السابق ، 1/ 182 .

5 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة :نهج .

### المنهج إصطلاحاً :

هو من المصطلحات التي ورد أصلها في القرآن والسنة النبوية ولم تختلف في معناه عما ورد في الإصطلاح اللغوي ، فنجد قوله تعالى : ﴿... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۗ﴾ [المائدة 48].

يقول ابن كثير في تفسير الآية : " جعلناه يعني القرآن شرعة منهاجا أي سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة وسنة أي طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً" وقال الرسول صلى الله عنه وسلم : "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة " 1 نجد أن الدكتور أحمد رحمان عرفه بقوله : "هو مجموعة من القواعد المتسقة و المنظمة التي يعتمدها الباحث في تحليله و تفسيره أو بحثه في إطار العلاقات المتعلقة بموضوع معين ومن أهمها الملاحظة و الاستقراء و الفروض و البراهين و التحليل و التركيب . " 2

1 تخريج الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج : 4 ، 273 رقم الحديث ك18430 ، و حسنه أحمد شاكر .

2 أحمد رحمان ، مناهج التفسير الموضوعي و علاقتها بالتفسير الشفاهي ، 7

و نستطيع أن نقول بأن المنهج هو سلوك أيسر الطرق للوصول للمعلومة المقصودة ، ويكون ذلك بالاستغلال الجدي للوسائل والتي تختلف من مجال لآخر<sup>1</sup>.

و في بحثنا هذا قد يكون من قواعد المنهج الاعتناء بمسالك الكشف و التوظيف.

### الفرع الثاني : اعتبار المقاصد القرآنية من المناهج التفسيرية :

من شأن العلم بمقاصد السور القرآنية ضبط عملية التفسير و ذلك من خلال ما يمكن أن يوفره العلم بها من معرفة قائمة على الترجيح أو التوجيه ، أو الكشف و البيان . بمعنى أن التفسير الراشد الباحث عن المراد لا يستقيم إلا بمعرفة المقام اللفظي القريب أو البعيد و هذا ما يوفره العلم بمقاصد السورة القرآنية أو الجزء القرآني .

وفي ذلك يقول محمد دارز في كتابه النبأ العظيم : " لماذا نقول إن المعاني تتسق في السورة كما تتسق الحجرات في البنيان ؟ لا . بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان ، فيين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما ، كما يلتقي العظام عند المفصل ، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كذب ، كما يشتبك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب ، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين ، وتؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً ،

1 هذا التعريف مستنبط من تعريف الباحث محمد بدوي، المنهجية في البحوث والدراسات

كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد ، مع اختلاف وظائفه العضوية .<sup>1</sup>

فالناظر في السورة الباحث عن معاني بعض آيها يستلزم عليه أن يضبط تلك المعاني وفق مقامها الكلي ، فلا يستقيم تفسير الجزء إلا بضبط علائق الكل .

### الفرع الثالث : المقاصد القرآنية علم خاص :

لقد صرح البقاعي بأن المقاصد القرآنية علم خاص و في ذلك قال : "إذا تقرر ذلك ، فتعريف هذا العلم ، اسم هذا الكتاب المصنف فيه -مساعد النظر في مقاصد السور - .

فهو علم يعرف منه مقاصد السور و موضوعه آيات السور كل سورة على حالها و غايته : معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة ، و منفعته : التبصر في علم التفسير ، فإنه يثمر التسهيل له والتيسير و نوعه التفسير ورتبته : أوله . فيشتغل به قبل الشروع فيه فإنه كالمقدمة له ، من حيث أنه كالتعريف ، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً .

و أقسامه السور .

و طريقة السلوك في تحصيله : جمع جميع فنون العلم .

لقد جنح البقاعي لإثبات علمية مقاصد السور القرآنية إلى ذكر مبادئ العلوم والتي أجملها العلماء في عشر مبادئ ، ونظمها البعض فقيلاً :

<sup>1</sup> عبد الله دراز ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، 155 .

"إن مبادي كل فن عشرة الحُدُّ والموضوعُ ثم الثمرة  
ونسبةٌ وفضلُهُ والواضعُ والاسمُ لاستمدادِ حكمِ الشارعِ  
مسائلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفى ومن درى الجميعَ حازَ الشرفا"<sup>1</sup>  
ويقول المقرئ التلمساني :

"من رام فنا فليقدم أولا علما بحده ثم موضوع تلا  
وواضعٍ ونسبةٍ وما استمد منه وفضلِهِ وحُكم يُعتمد  
واسمٍ وما أفادَ والمسائلُ فتلك عشر للمنى وسائل  
وبعضهم منها على البعض اقتصر ومن يكن يدري جميعها انتصر"<sup>2</sup>

رغم أن البقاعي صرح بعلمية مقاصد السور القرآنية فإنه صرح قبل ذلك بعلمية  
المناسبات القرآنية، يو هو بذلك يصطلح على مباحث علوم القرآن بالعلوم .  
ولكن السؤال المطروح ما العلاقة التي تجمع مقاصد السور القرآنية بمقاصد  
الشريعة الإسلامية .

**الفرع الرابع :علاقة مقاصد السور القرآنية بمقاصد الشريعة الإسلامية :**

مقاصد السور القرآنية هي أجزاء مقاصد القرآن الكلية ، التي يجمعها جلب  
الصلاح و دفع الفساد في جميع أبواب الشريعة الإسلامية المشار إليها في القرآن  
الكريم، في حين نجد أن مقاصد الشريعة الإسلامية هي مقاصد خاصة بالأحكام  
العملية و تشمل جميع الأدلة الشرعية العقلية و النقلية .فمقاصد القرآن قد تكون

<sup>1</sup> محمد بن علي الصبان ، حاشية على شرح السلم للملوي ، 35 .

<sup>2</sup> أحمد المقرئ ،إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة ،مراجعة :عبد الله الغماري ، 10

تكون أوسع من مقاصد الشريعة من جهة فتكون حاوية لها ، وقد تكون مقاصد الشريعة أوسع من جهة ارتباطها بباقي الأدلة الشرعية كالسنة مثلا .  
ومن جهة أخرى نجد أن المقاصد القرآنية كمنهج لفهم النص<sup>1</sup> يجب أن تضبط بضوابط فن مقاصد الشريعة الإسلامية ، وهنا نستعير عبارة ابن عاشور رحمه الله "إذا أردنا أن ندون أصولا قطعية للتفقه في الدين حق علينا أن نعمل إلى مسائل أصول الفقه المتعارفة و أن نعيد ذوبها في بوتقة التدوين و نعيدها بمعيار النظر و النقد فننفي عنها الأجزاء الغربية التي غلثت بها ، ونضع فيها أشرف معادن مدارك الفقه والنظر ثم نعيد صوغ ذلك العلم و نسميه مقاصد الشريعة الإسلامية ..."<sup>2</sup>.

فمقاصد الشريعة بهذا الاعتبار هي فن جامع لأصول الفقه و التفسير ، و منهج متكامل لاعتبار الكلي و الجزئي دون شطط أحدهما على الآخر ، و لا قيام لفن المقاصد دون منظومات ثلاث : منظومة اللسان و منظومة التعليل و منظومة السياق . وهكذا نلمس انتهاء مقاصد السور القرآنية للفن الجامع من خلال استمداده لتلك المنظومات الثلاث .

### الفرع الخامس :علاقة التفسير الموضوعي بمقاصد السور القرآنية :

<sup>1</sup> لقد حاول الطاهر بن عاشور مراجعة طريقة التعامل مع النص الشرعي على ضوء فقه المقاصد من أجل تحقيق الفاعلية المنشودة وهو تحقيق الصلاح .ومواكبة أحوال الناس .ينظر عبد الرحمن العضاوي ،محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح و التجديد في الفكر الإسلامي رؤية معرفية ،أسئلة الإصلاح و أجوبة المقاصد ، 137 ،

<sup>2</sup> الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، 8

لقد عرف العلماء التفسير الموضوعي بتعاريف تشترك في جعل هذا النوع من التفسير منهج قائم على النظر في معاني القرآن ، حيث يتوزع على قسمين : البحث في جميع السور لخدمة قضية واحدة أو معنى واحد ، أو النظر في السورة الواحدة من أجل إبراز وحدتها القائمة على خدمة غائية السورة .

ف نجد مثلا الدكتور :

منهج التفسير الموضوعي في الحقيقة ليس إلا تفعيل للمسالك المقاصدية . سواء على مستوى السورة القرآنية أو على مستوى القرآن ككل . و الشاطبي من أقدم من قدم النماذج التطبيقية للمنهج .

**المبحث الثالث : أدلة إعتبار مقاصد السور القرآنية :**

أدلة اعتبار مقاصد السور القرآنية متنوعة منها ما يرجع إلى القرآن ومنها ما يرجع إلى السنة النبوية ، ومن الأدلة ما ورد عن الصحابة والتابعين بحكم قريهم من موارد التشريع .

**المطلب الأول : أدلة القرآن .**

لا نقصد بأدلة القرآن تلك النصوص الجزئية الواردة فيه بل قصدنا تلك الكليات المتعلقة بجمعه و ترتيبه .

**الدليل الأول : تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة :**

لقد جاء القرآن الكريم مقسما إلى سور تحتوي آيات يختلف عددها من سورة إلى أخرى ، وهذا التفصيل والتقسيم يرمي لتحقيق أهداف شتى ، و من أهمها إلحاق النظر بالنظير وضم المتلازمات تحت مسمى واحد تجمع معانيه السورة ، قال



الزمخشري : " فإن قلت : ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً؟ قلت : ليست الفائدة في ذلك واحدة ... ومنها : أن التفصيل بحسب تلاحق الأشكال والنظائر ، وملائمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحق المعاني والنظم"<sup>1</sup>

لقد جعلت السورة للإحاطة بالآيات كإحاطة السور بالمدينة الواحدة والتي تتقاسم بيوتاتها أشياء مشتركة ، نفس الشيء ينطبق على السورة القرآنية التي عرفها العلماء بكونها: " قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران ، مسماة بإسم مخصوص ، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة ، ناشئ عن أسباب النزول ، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة . " 2

فالسورة إذن جاءت لتجمع آيات مختلفة أقلها ثلاث تحت مسمى واحد وتهدف لتحقيق أغراض معينة وهي ما يسمى بمقاصد السورة القرآنية.

**الدليل الثاني: ترتيب الآيات داخل السورة الواحدة رغم نزولها في فترات متباعدة:**

كثير من آي القرآن الكريم نزل في أزمنة مختلفة ، ورغم ذلك تجد أن الآيات بعد ذلك قد رتبت وفق معايير أخرى لا مجال فيها لإعتبار زمن نزولها بل الإعتبار كله لمعان وأسرار بل لغايات و أغراض تجمع بين تلك الآيات .

يقول الرازي: "إن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه و شرف معانيه ، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا أنه معجز بسبب نظم

<sup>1</sup> ينظر الزركشي ، البرهان في علوم القرآن 363 / 1 .

2 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، 85 / 1 .

أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منبهين لهذه الأسرار. 1

والجدير بالإشارة ، التذكير باتفاق العلماء على القول بأن ترتيب آي سور القرآن صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فالإجماع منقول عن غير واحد منهم ، والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي ، و لا شبهة في ذلك . 2  
والنصوص الدالة على تسوير السور كثيرة ، و الداعية لترتيب آيها عديدة منها :

ما أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ 3 ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ ، حَتَّى طَعَنَ بِإِضْبَعِهِ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصِّيفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ؟ " وَإِنِّي إِنْ أَعِشَ أَقْضِي فِيهَا بِقَضِيَّتِي ، يَقْضِي بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَمَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ . 4

ما أخرجه الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ شَخَّصَ بَبَصْرِهِ ، ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالْأَرْضِ ، قَالَ : ثُمَّ شَخَّصَ بَبَصْرِهِ فَقَالَ : " أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ

<sup>1</sup> الرازي ، مفاتيح الغيب ، ص 4 / 64 .

<sup>2</sup> ينظر الزركشي في البرهان 1 / 343 ، و أبو جعفر بن الزبير في برهانه، 182 .

<sup>3</sup> تعريف الكلاله : أن يموت المرء ، وليس له والد ، أو ولد يرثه . بل يرثه قرابته ينظر سعدي أبو جيب ، القاموس الفقهي ، لغة و اصطلاحا ، 223 .

<sup>4</sup> ما أخرجه مسلم في كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلاله ، رقم الحديث ، 1617 .

مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ سورة النحل آية 90 .<sup>1</sup>

عن أبي الدرداء ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ  
أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ " <sup>2</sup> . فهذا الحديث يدل على أن "للسور القرآنية  
أوائلا من الآي ، وهي مضبوطة معدودة ، وما كان كذلك فنظمه محكم غاية  
الإحكام " <sup>3</sup> رغم تفاوت أزمة النزول .

الدليل الثالث : كراهة القراءة على وجه مخالف لما أُلّف عليه القرآن كأن تتخير آيات  
دون آيات .

وهي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا بلال رض الله عنه حيث أخرج أبو  
عبيد ، عن سعيد بن المسيب : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر ببلال  
وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ، فقال : يا بلال ، مررت بك وأنت  
تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة .

قال : أخلط الطيب بالطيب .

فقال : اقرأ السورة على نحوها .<sup>4</sup> وفي رواية "فأنفذها"<sup>1</sup> .

1 الإمام أحمد في مسند الشاميين ، حديث عثمان بن أبي العاص ، رقم الحديث 17459 .

2 رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف و آية الكرسي ، رقم  
الحديث : 1348 .

3 إبراهيم رحمانى ، النظم القرآني و أثره في أحكام التشريع ، 102 .

4 عبد الرزاق ، المصنف ، كتاب الصلاة ، باب قراءة الليل ، رقم الحديث : 4209 . وراه ابن أبي شيبة  
في مصنفه ، كتاب الصلاة ، أبواب مسائل شتى من الصلاة ، الرَّجُلُ يَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ وَمِنْ هَذِهِ ،  
8902 .

حيث نجد القارئ يتخير الآيات فيقرأ من موضع و ينتقل لآخر و كأنه يؤلف بين الآي<sup>2</sup>، يقول البيهقي : "وأحسن ما يحتج به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخذه عن جبريل ، فالأولى للقارئ أن يقرأه على التأليف المنقول ، وقد قال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم"<sup>3</sup> . فتأليف الشارع قائم على اعتبار المعاني الجامعة بين الآيات ومبني على مقاصد قد تخفى أو تظهر .

وهو عند أبي داود موصول عن أبي هريرة بدون آخره<sup>4</sup> .  
كما روي أن خالدًا صلى بأصحابه في الحيرة "فقرأ من سور شتى ، ثم التفت إلينا حين انصرف ، فقال شغلني الجهاد عن تعلم القرآن"<sup>5</sup> .  
و عن ابن سيرين أنه سئل عن الرجل يقرأ من آيتين ثم يدعها و يأخذ في غيرها فقال : "ليتق أحدكم أن يأثم إثما كبيرا و هو لا يشعر"<sup>6</sup> .

---

1 من وجه آخر ، عن عمر مولى غفرة أخرجه أبو عبيد ، فضائل القرآن و معالمة و آدابه ، ت : أحمد الخياطي ، منشورات وزارة الأوقاف المغرب ، رقم الحديث : 299 ، 360 / 1

3 الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 2 / 101 .

4 أبو داود السنن ، كتاب الصلاة ، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل . رقم الحديث 1330 .  
قال الألباني حديث حسن .

5 رواه ابن أبي شيبة ، كتاب الصلاة ، أبواب مسائل شتى من الصلاة ، الرَّجُلُ يَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ وَمِنْ هَذِهِ رَقْمُ الْحَدِيثِ 8905 .

6 أبو عبيد ، فضائل القرآن ، 1 / 361 .

و عن أبي عبيد قال: "الأمر عندنا على الكراهة في قراءة هذه الآيات المختلفة ، كما أنكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال وكما اعتذر خالد من فعله .... من ابتداء القراءة و هو يريد التنقل من آية إلى آية و ترك التأليف لآي القرآن فليس هذا عندنا من فعل أهل العلم و إنما يفعلها الأحداث و من لا علم له ، لأن الله جل ثناؤه لو شاء لأنزله على ذلك أو لفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ."<sup>1</sup>

فالحكمة المرجوة من قراءة السورة كاملة هو الوقوف على معانيها الكلية ، والنهي عن اقتناص الآيات من سور مختلفة وقراءتها على وجه من شأنه أن يخرج القارئ والمتدبر من مجال النظرة الكلية إلى مجال ضيق ، تضعيع فيه تلك المعاني والسياقات التي وردت فيها الآيات .

و مما انتشر في بعض المجالس ما نقله الشيخ الحصري من اختيار للآيات دون بعض فقال : "مما يؤسف له أن قراء القرآن الكريم في هذا العصر -إلا النذر اليسير- قد ابتدعوا في قراءاتهم بدعة سيئة وطريقة مقبحة .... أن القارئ يخالف الترتيب الذي أنزل الله القرآن عليه ، لذلك يبدأ قراءته بسورة معينة أو جزء مخصوص من القرآن الكريم ولكنه لا يصل الآيات بعضها ببعض ، بل ينتقي آيات معينة على مزاجه الخاص ، ويترك في البين آيات أخرى لا توافق مزاجه ، ولا تلائم هواه ، وقد يعتمد في قراءته إلى الاختصار على آيات الوعد والبشارة ، دون آيات الوعيد والندارة . وقد صرح البعض -غفر الله له- بأنه إنما ترك آيات الزجر والإنذار رعاية لشعور السامعين وإحساسهم ."<sup>2</sup>

1 أبو عبيد ، مصدر سابق ، 362 / 1 .

2 الحصري ، مع القرآن ، 48 . نسخة pdf .

الدليل الربع : تقدم الفاتحة على باقي سور القرآن وجعلها أما له واشتمالها على مقاصده باتفاق المفسرين :

لقد تقدمت الفاتحة على باقي سور القرآن لأنها دياجة ومقدمة له ، تلخص مقاصده بجميع أنواعها التشريعية و العقائدية و قد أشارت أحاديث كثيرة لذلك منها :  
عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ " .<sup>1</sup>

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لَدَغَ سَيْدٌ أَوْلَيْكَ ، فَقَالُوا : هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ ، فَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُؤُوا وَلَا نَفَعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا ، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأَمِّ الْقُرْآنِ ، وَيَجْمَعُ بَزَاقَهُ ، وَيَتَنَفَّلُ ، فَبَرَأَ فَأَتُوا بِالشَّاءِ ، فَقَالُوا : لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ ، وَقَالَ : وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ خُذُوهَا وَاصْرِبُوا لِي بِسْمِهِمْ " .<sup>2</sup>

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ ، فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ " .<sup>3</sup>

1 رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث رقم : 394 .

<sup>2</sup> أخرجه البخاري ، كتاب الطب ، باب الرقى بفاتحة الكتاب ، رقم الحديث 5736 .

3 رواه مسلم ، ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث رقم : 395 .

لقد سميت الفاتحة بأم القرآن لأنها أصله جمعت معانيه ومقاصده ، قال البيضاوي : " وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحة ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساساً ، أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والإطلاق على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء " 1 . ويؤكد ما قيل كلام الطوفي عن الفاتحة في كتابه هي : " أم القرآن مشتملة على مقاصده الكلية من حيث الإجمال ، ثم باقي القرآن بين ذلك في مرتبة ثانية من البيان ، ثم السنة بينته في رتبة ثالثة من البيان ، لأنها بيان القرآن . " 2

#### المطلب الثاني : أدلة مستنبطة من السنة النبوية

ورود أحاديث نبوية تشير إلى مقاصد القرآن :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يَرُدُّهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدُلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ . 4

وروى مسلم عن أبي الدرداء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَيْعَجُزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟ قَالُوا : وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟ . قَالَ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدُلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " . 1

1 البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2 / 1 .

2 الطوفي ، البيان في معاني أم القرآن ، 16 .

3 يراها قليلة .

4 البخاري ، كتاب الفضائل ، باب فضل قل هو الله أحد . رقم الحديث : 5013 .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَحْسِدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَحَشِدَ مَنْ حَشَدَ ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثُمَّ دَخَلَ ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : إِنِّي أُرَى هَذَا خَبْرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ . 2

فسورة الصمد تعدل ثلث القرآن لكونها أشارت إلى التوحيد الذي يعد مقصدا عاما للقرآن إلى جانب مقاصد أخرى كإثبات النبوات و الميعاد .

يقول المازني في ذلك : "القرآن على ثلاثة أنحاء قصص و أحكام و أوصاف لله جلّت قدرته ، و قل هو الله أحد تشتمل على ذكر الصفات فكانت ثلثا من جهة ، وربما أسعد هذا التأويل ظاهر الحديث الذي ذكر فيه " أن الله جزأ القرآن <sup>3</sup> "... " <sup>4</sup> و يبقى الإشارة إلى أن العلماء قد اختلفوا في ضبط المقاصد العامة للقرآن الكريم ولكن إختلافهم هذا غير مؤثر ، لأن تلك المقاصد مكررة عند بعضهم وقد تستوعب بعضها بعضا .

كما نضيف إلى ما سبق أن بعضا من الأحاديث أشارت إلى سور تحقق تناسب آخر ، فمنها ما يعدل نصف القرآن كسورة الزلزلة ومنها ما يعدل ربع القرآن

<sup>1</sup> مسلم ، كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة قل هو الله أحد ، حديث رقم : 811 .

<sup>2</sup> أخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة قل هو الله أحد ، حديث رقم 812 .

<sup>3</sup> رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة قل هو الله أحد ، رقم الحديث

: 811 .

<sup>4</sup> المازري ، المعلم بفوائد مسلم ، 1 / 461 .



### كسورة الكافرون .<sup>1</sup>

و بذلك نجد أن هذه السور تحقق تناسبا قرآنيا قائما على إرتباطها بكليات القرآن من ذكر للتوحيد أو النبوات أو أحكام تشريعية أو أحكام المعاد، على إختلاف التقسيم بين العلماء.

ومن الأصول الدالة على مقاصد السور القرآنية و وحدتها ، وقوع التحدي بالسورة الواحدة:

لقد تكررت آيات التحدي في القرآن ، وتعددت مواضعها كما تباين قدر التحدي في كل مرة ، ففي البداية تحداهم القرآن بأن يأتوا بمثله قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا

بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ۗ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور 34].

---

1 "إذا زلزلت تعدل نصف القرآن و قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن و قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ". أخرجه الترمذي، في كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في إذا زلزلت ، رقم الحديث : 2899 ، قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من بيان بن المغيرة . يقول الحافظ ابن حجر : و الحديث إسناده ضعيف لأجل بيان بن المغيرة " ابن حجر ، تقريب التهذيب ، 610 . و أخرجه البهقي في الشعب ، باب تعظيم لقرآن فصل في فضائل السور و الآيات ، رقم الحديث 2284 . و الحاكم في مستدركه ، كتب فضائل القرآن ، ذكر فضائل سور وآي متفرقة ، رقم الحديث : 2130 . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . في حين أن الذهبي قد تعقبه .

ثم تغير قدر التحدي ، وأرعى لهم القرآن العنان وسألهم المواجهة بعشر سور قال تعالى : ﴿ أَيَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود 13]. وتكرر

التحدي مرة أخرى بأقل قدر معجز وهو الإتيان بسورة مثله ، كما في قوله

تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ

مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة 23

. 1 [

وهكذا كانت السورة أقل قدر في طلب التحدي فهي نظام قائم بذاته تشتمل على آيات متحددة الأغراض متنوعة الأساليب ، و قد وقع التحدي بها لما اشتملت عليه من معاني خاصة ، و مباني متسقة يعجز الإنسان أن يجمع بين مقاصدها و أن يرتب مثل ترتيبها ، و أن يحسن استهلاكها كما يحسن ختمها ، و أن يبدع مقدمات لأغراضها و يضع خواتم تلائم ما سيق من فيها من أغراض .

وهنا لابد أن نشير بأن القول بأن القدر الذي وقع به التحدي هو سورة من القرآن أنه ينفي الإعجاز عن أقل من ذلك من آيات أو جمل قرآنية .

المطلب الثالث : ورود أقوال عن الصحابة والتابعين تدل على مقاصد السور :

قبل ان نذكر منهج الصحابة في التعامل مع وحدة السورة القرآنية ، يجب أن نقدم لذلك بما يلي :

<sup>1</sup> ينظر فضل عباس ، إعجاز القرآن ، 35 .

أن الصحابة هم الأعلم ببيئة و لغة الخطاب ، و كانوا الأفقه بمعانيه لذا فأقوالهم حجة على غيرهم ، " و قالوا في مواطن التحدي : نحن أعلم بالآيات فيمن نزلت ، ومتى نزلت ، وأين نزلت " 1

و قد جاء عن عبد الله بن مسعود قوله : " والذي لا إله غيره ما في كتاب الله سورة إلا و أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيم نزلت ، ولو أعلم أحدا هو

أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه " 2.

وعنه أيضا قال : " إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا ، فليسأله عن ما قبلها " 3

و ما جاء عن علي بن أبي طالب أنه قال : " سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية إلا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، في سهل أم في جبل " 4

و عن نافع ، قال : كان ابن عمر إذا قرأ لم يتكلم حتى يفرغ مما يريد أن يقرأه ، قال : فدخلت يوما ، فقال " : أمسك علي سورة البقرة فأمسكتها عليه ، فلما أتى علي مكان منها ، قال : أتدري فيم أنزلت ؟ ، قلت : لا ، قال : في كذا وكذا ، ثم مضى في قراءته " 5 .

---

1 لخضاري لخضر ، الإمام في مقاصد رب الأنام ، 274 .

2 مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رقم الحديث 1463 : ، 4 / 1913 .

3 الطبراني ، المعجم الكبير ، رقم الحديث 8693 . و نفس المعنى نقله مسلم يسار :

4 ابن سعد ، الطبقات الكبرى 2 / 101

5 البخاري ، كتاب التفسير ، رقم 4526

فالصحابة إذن " أقعد في فهم القرائن الحالية ، و أعرف بأسباب النزول ،  
ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك ، و الشاهد يرى ما لا يرى الغائب " 1  
كما أنهم حجة في اللغة لكونهم كما قال الشاطبي : " عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم  
، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم ، فهم أعرف في فهم الكتاب و السنة " 2  
ورد عن الصحابة تسمية بعض السور انطلاقاً من أغراضها و موضوعاتها  
فسميت سورة التوبة بالفاضحة، 3 لأنها فضحت أمر المنافقين، وكشفت  
مؤامراتهم ودسائسهم. فعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة التوبة؟  
قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبقى  
أحداً منهم إلا ذكر فيها. قال: قلت سورة الأنفال؟ قال نزلت في بدر قال: قلت  
سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير. 4  
وعن عكرمة رضي الله عنه ، قال عمر رضي الله عنهم : " ما فرغ من تنزيل براءة  
حتى ظننا أنه لم يبق منا أحد إلا سينزل فيه ، وكانت تسمى الفاضحة " 5  
وهناك من سمى سورة التوبة بسورة العذاب ، عن حذيفة رضي الله عنه قال  
: " التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب ، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه  
، و لا تقرءون منها مما كنا نقرأ إلا ربعها " 1.

1 الشاطبي ، الموافقات ، 3 / 300 .

2 المصدر نفسه ، 3 / 300

3 ذكر هذا الإسم كل من الزمخشري ، ابن عطية ، ابن الجوزي ، الرازي ، القرطبي ، النسفي ،  
البيضاوي .....

4 أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الحشر ، الحديث رقم 4882 ، 6 / 364

5 السيوطي ، الدر المنثور ، 4 / 121 .

وعن قتادة رضي الله عنه أنه قال : " كانت هذه السورة تسمى الفاضحة ، فاضحة المنافقين .... "2.

سموها كذلك لأنها أظهرت المنافقين و فضحتهم قال ابن عاشور : " وأحسب أن ما تحكيه من أحوال المنافقين يعرف به المتصفون بها أنهم المراد ، فعرف المؤمنون كثيرا من أولئك مثل قوله - تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أُنذِنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة

[49] ، فقد قالها بعضهم وسمعت منهم ، وقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ۗ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة 61] ، نقلت مقالتهم بين المسلمين . "3

كما ورد عن قتادة أنه سمى سورة النحل بسورة النعم، ذكر ذلك السيوطي في الإتيان، وذلك لكثرة تعداد نعم الله على عباده في السورة. 4  
ومما يستدل به في هذا الباب ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه حينما فسر سورة النصر بأنها تدل على قرب أجل النبي صلى الله عليه وسلم . عن ابن عباس : قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه، فقال لم تدخل هذا

1 أخرجه الحاكم في المستدرک ، كتاب التفسير ، تفسير سورة التوبة حديث رقم : 3274 ، 361 / 2

2 السيوطي ، الإتيان في علوم القرآن ، 1 / 173

3 الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، 10 / 96

4 ابن عطية ، المحرر الوجيز ، 3 / 377

معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر إنه من قد علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما  
رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريمهم . قال ما تقولون في قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ  
نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ . فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح  
علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا . فقال لي أكذاك تقول يا ابن عباس فقلت لا  
قال : فما تقول ، قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال إذا  
جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان  
توابا فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول .<sup>1</sup>

#### المطلب الخامس : أدلة من المقعول :

القرآن نزل بلغة العرب وافق لسانهم و من ذلك أن العرب كانت : "تبتدئ  
.. الشيء من كلامها ، يبين أول لفظها عن آخره ، و تبتدئ الشيء يبين آخر لفظها  
منه عن أوله " 2.

و نفس المعنى يؤكد ابن الأنباري فيقول : "أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا  
و يرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه و استكمال جميع  
حروفه " 3.

و من هنا نجد أن العرب اعتنت بالسياق لضرورته في إيفاء المعنى ، والأمر نفسه  
بالنسبة للقرآن فقد جاء وفق قوانينهم .

1 رواه البخاري في صحيحه ، في كتاب التفسير ، باب سورة إذا جاء نصر الله والفتح ، رقم الحديث  
: 4970 .

2 الشافعي ، الرسالة ، 52 .

3 محمد ابن القاسم الأنباري ، كتاب الأضداد ، ت : محمد أبو الفضل ، 2

### المبحث الثالث :أنواع المقاصد القرآنية .

تتنوع المقاصد القرآنية باختلاف اعتبارات التقسيم المعتمدة ، كما أنها تكمل بعضها البعض باعتبار وحدة مصدرها ، وفيما يلي نتعرف على أهم أنواع المقاصد .  
من خلال المطلب الأول :التعرف على أهم تقسيمات المقاصد .أما المطلب الثاني فيكون لتفصيل تقسيم المقاصد باعتبار العموم والخصوص لكون هذا التقسيم أدل على مقاصد السور القرآنية .

### المطلب الأول : تقسيمات المقاصد القرآنية .

للمقاصد القرآنية تقسيمات عديدة و ذلك حسب اعتبارات مختلفة ، فهي باعتبار العموم والخصوص عامة تشمل جميع سور القرآن ، و خاصة بميزة لكل سورة ، ومقاصد جزئية واردة حسب مقاطع و آيات السورة ، و قد نقسمها باعتبار نزول السورة إلى مقاصد مكية وأخرى مدنية . و قد نقسمها باعتبار الصلاح و مجاله ، كما يمكن أن تقسم إلى مقاصد أصلية و أخرى تبعية ، ومقاصد خاصة بالأمة المحمدية و أخرى مشتركة بين الملل .

### الفرع الأول : المقاصد المكية و المدنية

المقاصد المكية هي ما أستنبط من القرآن المكي و المدنية ما أستنبط من القرآن المدني ، و معلوم أن بينهما اختلاف و ذلك لتباين أزمته التشريعي و مراعاة بيئة المكلف . قال ابن جزري : " اعلم أن السور المكية أكثرها في إثبات العقائد ، و الرد على المشركين ، و في قصص الأنبياء ، و أن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية ، و في الرد على اليهود و النصارى ، و ذكر المنافقين ، و الفتوى في المسائل ، و ذكر غزوات النبي ... "1

ويقول ابن القيم : " الاعتناء في السور المكية إنما هو بأصول الدين ، من تقرير التوحيد و المعاد و النبوة ، أما تقرير الأحكام و الشرائع فمظنة السور المدنية "2 . فمن مقاصد القرآن المكي عموماً : تقرير أصول الإيمان بالدعوة إلى التوحيد ، و الإيمان باليوم الآخر و تقرير رسالة النبي صلى الله عليه وسلم و الإيمان بالملائكة و نقض الشرك و أصوله ، و تحدث عن العادات العربية المنتشرة في الجاهلية . كما ذكر أصول الأخلاق ، و قواعد الاجتماع من الدعوة للصدق ، و البر و الصلة ، و بر الوالدين .

فسورة البلد مثلاً " حوت من الأغراض التنويه بمكة ، و بمقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بها ، و بركته فيها و على أهلها ، و التنويه بأسلاف النبي - صلى الله عليه وسلم - من سكانها الذين كانوا من الأنبياء ، مثل : إبراهيم و إسماعيل ، أو

1 ابن جزري ، التسهيل لعلوم التنزيل ، 1/ 8 .

2 ابن القيم ، التبيان في أقسام القرآن ، 204 ،



من أتباع الحنيفية مثل : عدنان ومضر كما سيأتي . والتخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك وإنكارهم البعث ، وما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه ، وما أهملوه من شكر النعمة على الحواس ، ونعمة النطق ، ونعمة الفكر ، ونعمة الإرشاد ، فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير ، وما فرطوا فيه من خصال الإيمان وأخلاقه . ووعيد الكافرين وبشارة الموقنين "1 .

كما أن من مقاصد القرآن المكي إيراد قصص الأنبياء و الأمم الغابرة من أجل تثبيت قلب النبي صلى الله عليه و سلم، ومواساتهم فيما كان يصيبهم و إثارة العبرة والعظة بقصص من سبقهم 2.

ثم جاءت المرحلة المدنية بعد أن رسخت العقيدة السليمة في قلوب المسلمين و طرح تلك العادات السيئة و صقلت النفوس ، فاحتاج هؤلاء لما ينظم حياتهم و علاقاتهم في مناحي الحياة عامة ، فتكفل القسم المدني من القرآن بتنظيمه، لذا جاءت سوره تفضح المنافقين وتناقش أهل الكتاب بحكم مجاورتهم للمسلمين في المدينة 3، وتفصيل أحكام الجهاد ومقاصده ، خاصة وأن من أوصاف هذا الدين تحرير الإنسان من عبوديته لغير الله ، و مراعاة الفطرة .

## الفرع الثاني :مقاصد القرآن باعتبار تحقيق الصلاح .

---

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 346 / 15 .

2 نور الدين العتر، علوم القرآن، 63 .

3 فضل عباس ، إتقان البرهان في علوم القرآن ، 376-377

تتنوع المقاصد القرآنية على مستوى السور باعتبار مجال تحقيق الصلاح إلى مقاصد تحقق الصلاح الفردي و أخرى تحقق الصلاح العمراني على مستوى المجتمع المسلم أو على المستوى العالمي .

فالقرآن بني في مجمله على جلب الصلاح للإنسان في العاجل أو الآجل للمكلفين أفراداً وجماعات ، و فيما يلي تفصيل لتلك المقاصد:

#### المسألة الأولى: تحقيق الصلاح الفردي.

" إن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح و درء الفساد و ذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان و دفع فسادة ، فإنه لما كان هو المهيمن على هذا العالم ، كان صلاحه صلاحاً للعالم و أحواله ، ولذلك نرى الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراد الذين هم أجزاء نوعه ، وبصلاح مجموعته وهو نوعه كله "1 و صلاح الفرد لا يتحقق إلا بصلاح تفكيره و معتقده ، ثم صلاح نفسه و جسده كذلك.

و نلاحظ أن هاته المقاصد متكررة في السور المكية التي من خصائصها صلاح معتقدات المكلفين و تعديل سلوكياتهم المنافية للفطرة و تهذيب أخلاقهم .

إن المقاصد الداعية لإصلاح الاعتقاد عادة ما تأتي متضمنة لضرورة النظر في الآفاق

---

1 ابن عاشور ، مقاصد الشريعة ، 64

و الأنفس ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾﴾ [ المؤمنون 12-16]. فالآيات تعرض لنا

دلائل التوحيد و الإيمان من خلال دفع الإنسان للتفكر في ذاته و في أطوار وجوده و نموه مبتدأ بأصل النشأة منتهي بحقيقة البعث و النشور ، فتجد الآيات مقررة

لمقاصد التوحيد تفصل الحديث عن الدلائل 1.

من صلاح الفرد صلاح عمله و هو من نتائج صلاح الاعتقاد لأن " أعمال العاملين تجري على حسب معتقداتهم و أفكارهم ، فجدير بمن صلحت عقائده و أفكاره أن تصدر عنه الأعمال الصالحة و النهي عن أضراده أن يبتدىء باصلاح العقيدة " 2.

فالله سبحانه و تعالى خلق الإنسان على الفطرة قابلاً للتمييز بين الصلاح و الفساد ثم عزز ذلك بأن أرسل إليه رُسلًا مبينين لما قد يخفى أمره من الأفعال أو يشتهه على الناس فساده بصلاحه و منبهين الناس لما قد يغفلون عنه من سابق ما علموه فأصلحو معتقداتهم و أصلحو أعمالهم 3.

١ الأساليب القرآنية في عرض العقيدة ، صالح خليل الطائي ، 82

2 ابن عاشور ، أصول النظام الإجتماعي في الإسلام ، 63 .

3 ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 388 / 15 .

نجد أن مقاصد إصلاح الأفراد تأتي عادة مقترنة بمقاصد صلاح الجماعة لأن صلاح الجزء مكون لصلاح الكل ، فلو نظرنا إلى سورة النور مثلا نجد أن مقصودها هو تربية الأفراد على الأخلاق الفردية والجماعية .

### المسألة الثانية : تحقيق الصلاح الإجتماعي :

و يكون بتحقيق صلاح الأسرة و أفرادها وتحقيق صلاح الجماعة المسلمة و تحقيق صلاح الجنس اللإنساني ككل .

فالله خلق الإنسان محبا للعيش في الجماعة ومن أثار ذلك تدافع الحقوق ووقوع النزاعات والخصومات و تراحم المصالح ، لذا نجد القرآن قد اعتنى بالجماعة المسلمة فنظم حياة أفرادها من خلال تنظيم الأسرة و تنظيم السياسة ، و الدعوة إلى الأخوة و حمايتها من كل ما يفسدها ، و قد اعتنى القرآن بالعلاقة مع غير المسلمين و في هذا الباب نذكر قوله تعالى : ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۗ﴾ [الحجرات 13] .

### المطلب الثاني : المقاصد باعتبار العموم و الخصوص .

يقوم هذا التقسيم على النظر في سياق ورود المقصود فإن دل عليه عموم السور القرآنية كان المقصد عاما و إن دل عليه عموم السورة كان المقصد خاصا ، و إن دل على المقصد عموم الآية أو المقطع كان المقصد جزئيا . وهكذا نجد أن مقاصد القرآن بهذا الاعتبار مقاصد عامة و خاصة و جزئية .

الفرع الأول : المقاصد العامة :

لقد إهتم العلماء بالمقاصد العامة في القديم والحاضر، ما أنتج تنوعاً في تقسيماتها و سنحاول عرض تلك التقسيمات ثم نقوم بمناقشتها .

1- تقسيم الرازي :

يعد الرازي من أوائل من أشار لمعاني القرآن الكريم و مقاصده الكلية وذلك أثناء تفسيره لمطلع سورة هود فقال : "معاني هذا الكتاب هي التوحيد ، والعدل ، والنبوة والمعاد" <sup>1</sup> و الملاحظ إهتمامه بمقاصد الاعتقاد ، وربما لأنها محل الأحكام وعدم النسخ . نفس تلك المقاصد العقائدية ذكرها الشوكاني و إعتبرها قدر مشترك بين الشرائع السماوية كلها وفي ذلك يقول : " أما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها، ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله فهي ثلاثة مقاصد؛ المقصد الأول: إثبات التوحيد. المقصد الثاني: إثبات المعاد. المقصد الثالث: إثبات النبوات... ولا ريب أن من آمن بالله، وبما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، فإن إيمانه بهذه الثلاثة المقاصد هو أهم ما يجب الإيمان به، وأقدم ما يتحتم عليه اعتقاده، لأن الكتب قد نطقت بها، والرسل قد اتفقت عليها اتفاقاً يقطع كل ريب، وينفي كل شبهة، ويذهب كل شك" <sup>2</sup>.

وفما ذكره الشوكاني ليس إلا شطر من المقاصد القرآنية وهي مقاصد الاعتقاد لأنها محل الأحكام و الإشتراك بين الشرائع أما الفروع فهي محل إختلاف رغم أن

<sup>1</sup> الرازي ، مفاتيح الغيب ، ، 17/ 184-185

<sup>2</sup> الشوكاني ، إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد و المعاد و النبوات . محمد بن علي

الشوكاني ، ، 3-4

مقاصدها الكلية قد تكون محل إتفاق كذلك بين الشرائع ما دامت تهدف لرفع الغبن و الظلم و تحقيق المساواة .

## 2-تقسيم الغزالي :

في حين أن الغزالي من أوائل من قسم مقاصد القرآن تقسيماً مقبولاً دون إخلال بأي قسم ، وقد جعلها في ثلاث أصول مهمة فقال : "انحصرت مقاصد القرآن في ستة أنواع :ثلاثة منها هي السوابق و الأصول المهمة ، وثلاثة هي الروادف و التوابع المغنية المتممة "1

1- تعريف المدعو إليه : وهو شرح معرفة الله تعالى وتشتمل هذه المعرفة على - معرفة ذات الحق تبارك وتعالى - ومعرفة الصفات ، ومعرفة الأفعال.هذه المعارف ليست على درجة واحدة بل هي متفاوتة أعلاها فمعرفة الذات الإلهية وهي من أنفس المعارف والغايات لذا تجرد مجالها ضيق لذلك لا يشتمل القرآن منها إلا على تليويحات يرجع ذكرها إلى تقديس الباري عز و وجل و تعظيمه المطلق. والمعرفة الثانية متعلقة بالصفات ومجالها أوسع من الأولى لذلك كثرت الآيات المشتملة على العلم و القدرة و الحياة والحكمة والسمع والبصر وغيرها.

وأما الأفعال فهي المجال الواسع فليس في الوجود إلا الله وأفعاله تعالى و القرآن يشتمل على الجلي منها الواقع في عالم الشهادة.

2-في تعريف طريق السلوك إليه :

1 أبو حامد الغزالي ، جواهر القرآن ،29 وما بعدها .

وذلك من خلال الملازمة و المخالفة الملازمة لذكر الله من خلال العباد و التبتل و المخالفة عن ما يشغل العبد عن الله تعالى .

3- في تعريف الحال عند المعاد .

4- في بيان أحوال السالكين و الناكين : فالسالكين هم الأنبياء و الأولياء و أهل الصلاح .

5- في محاجة الكفار و مجادلتهم في أصول العقائد من توحيد بعث ونبوات .

6- وهي بيان الحلال و الحرام و حدود الله .<sup>1</sup>

رغم أن الدكتور عبد الكريم الحامدي قد أغفل ذكره عند حديثه للعلماء الذين قسموا مقاصد السور القرآنية ، فقال : "أما تقسيم مقاصد القرآن لم يوجد من قسمها من القدماء و هذا ظاهر من خلال كتب التفسير"<sup>2</sup>.

كما نجد أن الطوفي قد إعتنى بتقسيم مقاصد القرآن و لكن يلحظ أن تقسيماته غير منضبطة لأنه كان يستعملها في تفسير بعض الأحاديث النبوية المشيرة لفضائل السورة كالفاتحة ، والإخلاص و الزلزلة و الكافرون.<sup>3</sup> و من المعاصرين نجد تقسيمات كل من محمد رشيد رضا ، محمود شلتوت ، الطاهر بن عاشور .

3- تقسيم رشيد رضا لمقاصد القرآن العامة :

1 المصدر نفسه .

<sup>2</sup> عبد الكريم الحامدي ، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام ، ص : 35 .

3 الطوفي ، إيضاح البيان عن معنى أم القرآن ، ص : 22 .

وها هو ذا محمد رشيد رضا رائد المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير<sup>1</sup> يهتم بمقاصد القرآن الكريم فيذكرها في تفسيره المنار ويؤكد عليها في كتابه الوحي المحمدي ، فقد قام رحمة الله عليه بتقسيم تلك المقاصد على عشرة أنواع وهي كما يلي :

الأول : بيان أركان الدين : التوحيد والبعث والجزاء والعمل الصالح

الثاني : بيان شؤون النبوة والرسالة ووظائف الرسل .

الثالث: بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل والفكر والعلم والحكمة والفقهاء والبرهان والحجة والضمير والوجدان والحرية والاستقلال .

الرابع :بيان الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني بالوحدات الثمان : وحدة الأمة ، وحدة الجنس البشري ، وحدة الدين ، وحدة التشريع بالمساواة في العدل ، وحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد ، وحدة الجنسية السياسية الدولية ، وحدة القضاء و وحدة اللغة .

الخامس : بيان مزايا الإسلام العامة في التكاليف الواجبة والمحظورة .

السادس : بيان حكم الإسلام السياسي الدولي نوعه وأساسه وأصوله العامة . وهي ملخصة في عشر مبادئ :

1- كونه وسطا جامعاً بين حقوق الجسد والروح .

2- كونه غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة .

3- كونه غايته تحقيق التعارف والتآلف بين البشر .

4- كونه يسر لا حرج فيه .

<sup>1</sup> فهد الرومي ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ، 777 .



- 5- منع الغلو في الدين.
  - 6- قلة تكاليفه وسهولة فهمها.
  - 7- انقسام تكاليفه إلى رخص وعزائم.
  - 8- نصوصه تراعي اختلاف مدارك الناس وهمهم.
  - 9- معاملة الناس بطواهرهم.
  - 10- مدار العبادات على الإتيان المحض
- السابع : بيان الإصلاح المالي .
- الثامن : إصلاح نظام الحرب و دفع مفسدها وفلسفتها .
- التاسع : إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية .
- العاشر : بيان هداية الإسلام في تحرير الرق ..1
- 4- تقسيم ابن عاشور لمقاصد القرآن الكريم :
- أولاً- إصلاح الاعتقاد : وهذا يعني التحرر من الشرك و التخلص من الخضوع لغير الله لأن سواه ليس قادرا على فعل شيء .
- ثانيا - تهذيب الأخلاق .
- ثالثا- التشريع : وهو الأحكام الخاصة والعامة المنظمة .
- رابعا- سياسة الأمة و حفظ نظامها : كالإرشاد لتكوين الجامعة .
- خامسا- القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم .

---

<sup>1</sup>محمد رشيد رضا،الوحي المحمدي ، 1 / 175 .

سادسا- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين :وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار .

سابعا- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير وهذا متمثل في جميع آيات الوعد والوعيد والمحااجة والمجادلة .

ثامنا- الإعجاز بالقرآن: ليكون دليلا على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بإدعائه النبوة والرسالة وتحدي العرب.1

تقسيم الشيخ شلتوت لمقاصد القرآن العامة :

5- تقسيم الشيخ محمود شلتوت مقاصد القرآن إلى ثلاث أنواع : مقاصد العقيدة

، مقاصد الأخلاق ، ومقاصد الأحكام.2

بعد هذه الجولة مع تقسييمات العلماء لمقاصد القرآن العامة لابد من الإشارة إلى أمور وهي :

-تركيز بعض العلماء على مقاصد دون أخرى ،وهذا ما وقع مع الرازي و الشوكاني .

-تفصيل بعض المقاصد وتكرارها ،وهذا ما وقع مع ابن عاشور و رشيد رضا .  
جعل بعض المقاصد التبعية الخادمة للمقاصد الأصلية كمقاصد أصلية و خاصة ، كتلك التي ذكرها ابن عاشور كالتقصص القرآني و الوعد والوعيد ، و المحاجة.

---

1 المرجع نفسه ، 1/ 175 وما بعدها .

2 محمود شلتوت ، إلى القرآن ، ص:6

-بالإمكان دمج ما ذكر من المقاصد تحت مقصدين أساسيين وهما مقاصد الإعتقاد و مقاصد التشريع . لأن ما تبقى من المقاصد تهوي إليها .

#### الفرع الثاني : المقاصد الخاصة :

وهي تلك المقاصد التي تميزت بها كل سورة من القرآن الكريم ، بحيث تجعلها ذات تفرد بالمقارنة مع غيرها حتى وإن إشتكت معها في بعض المعاني ، التي تقررها وحدة القرآن الكريم .

هاته المقاصد في الحقيقة هي الهادية للغايات الكلية للقرآن الكريم كما أن تلك المقاصد العامة تدل على المقاصد الخاصة من جهة أخرى .

إن المقاصد الخاصة متنوعة باختلاف مجالات الإصلاح في القرآن ، فقد تأتي لإصلاح الإعتقاد كسورة الأنعام أو لإصلاح أحوال الأفراد كسورة الحجرات مثلا .

#### الفرع الثالث : المقاصد الجزئية:

هي تلك المعاني الملحوظة في أجزاء السورة القرآنية سواء تعلق الأمر بالمقطع أو الآية القرآنية أو حتى الجزء منها .<sup>1</sup>

---

1 لقد فرق الشاطبي يفرق بين غاية الفقيه ، وما يلزمها من مجال حركة التدبر ، وغاية البياني ، وما يلزمها من مجال حركة التدبر ، غاية الفقيه تحصيل المعنى الشرعي المتمثل في الحلال ودرجاته ، والحرام ودرجاته ، وهذه الغاية تتحقق بحركة تدبرية مجالها قد يكون آية أو آيتين أو عدة آيات . وغاية البياني المعنى القرآني في كماله وامتداده .توفيق سعد ، العزف على أنوار الذكر ،معالم الطريق إلى فقع المعنى القرآني في سياق السورة . ،66.

هاته المعاني بتظاferها تكون لنا المقصود الكلي للسورة القرآنية فمنها ما هو في مرتبة المقدمات أو الخواتيم ، ومنها ما يحقق المقصود في السورة و محورها الأساسي .  
و في ذلك يقول الشاطبي في معرض حديثه عن سورة البقرة : " كلام واحد باعتبار النظم ، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها ، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب ، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم ، ومنها ما هو المقصود في الإنزال وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب ، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك." <sup>1</sup>

الفصل الثاني :

مقاصد السور القرآنية :

مسالك الكشف ومسالك التوظيف

المبحث الأول :مسالك توظيف المقاصد القرآنية .

المطلب الأول : توجيه المتشابه اللفظي .

المطلب الثاني: توجيه المتشابه في القصص القرآني

المطلب الثالث مسلك للترجيح بين المكي والمدني.

المطلب الرابع : الاسترشاد بالعلم بمقصود السورة في تفسير آياتها.

المبحث الثاني : مسالك الكشف عن مقاصد السور :

المطلب الأول : المسالك التعليلية القائمة على التناسب.

المطلب الثاني : المسالك المتعلقة بحال السورة .

المبحث الثالث :سورة الفاتحة دراسة لمقاصدها الكلية والجزئية .

المطلب الأول :أسماء السورة و دلالتها على مقصودها :

المطلب الثاني : المناسبات الخارجية لسورة الفاتحة و دلالتها على مقصودها .

المطلب الثالث : تقسيم السورة إلى مقاصد جزئية .

المطلب الرابع : المقصود الكلي لسورة الفاتحة.

## تمهيد :

جاء هذا الفصل كمقاربة لمسالك الكشف عن مقاصد السور و مسالك توظيفها في حقل الدراسات القرآنية . فأفضل العلوم ما كان منضبطا بقوانين وقواعد تبعده عن الانحراف ، كما تبرز تلك العلاقات التكاملية الواقعة في العلوم الشرعية و التي تجعل من الفنون خادمة لبعضها البعض . ويأتي فن المقاصد في طليعة هذه الفنون التي انعقدت لها الإمامة في ميدان العلوم الشرعية عامة وفي ميدان علوم القرآن خاصة ، كيف لا وقد نالت فضل تحقيق مراد الباري عز وجل .

### المبحث الأول: مسالك توظيف المقاصد القرآنية.

لا يماري أحد في أهمية المقاصد القرآنية في القراءة الراشدة للقرآن الكريم بعيدا عن كل تعصب وجمود، فهي من شأنها أن ترجح بين الآراء فترفع الخلاف الواقع في التفسير أو في الحكم على المكي والمدني عند تعارض الأدلة السمعية، كما أنها تصلح لأن تكون منهجا لتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، كما من شأنها الترجيح عند الاختلاف في التفسير.

### المطلب الأول: توجيه المتشابه اللفظي:

القرآن الكريم كتاب جاء بناؤه اللفظي محكما، لا يمكن لأي كان أن يغير في جملة ولا في كلماته، وإن ظن بأن المرادف قد يفني بالعرض إلا أن الأمر ليس كذلك، فالقرآن يراعي في اختياراته اللفظية والمعنوية وحتى الصوتية مناسبات الآيات لسوابقها ولواحقها، بحيث تجئ الكلمة أو العبارة فيها متمكنة في موقعها، ملائمة لسياقها لا يسد غيرها مسدها. 1 وقد تنبه عدد من علمائنا إلى هذا الأمر في توجيه الآي المتشابه أمثال ابن الزبير الغرناطي 2 الذي جعل لعلم المناسبة مكانة خاصة وقد وظفها أفضل توظيف لتوجيه المتشابه اللفظي، ومن أمثلة ذلك توجيه التشابه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات 34] وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ [عبس 33] على الرغم من أن المراد منهما هو القيامة، فوجهها بقوله: " الطامة و الصاخة وإن أريد بهما في

1 أحمد أبو زيد، التناسب البياني، 182-184.

2 رشيد الحمداوي، المتشابه اللفظي ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي، 102.



السورتين شيء واحد فإن اسم الطامة أَرهَب و أنبأ بأهوال يوم القيامة ، لأنها من قولهم طم السيل إذا علا وغلب . أما الصاخة فالصيحة الشديدة ، من قولهم صخ بأذنيه مثل أصاخ ، فاستعيرت من أسماء القيامة مجازاً لأن الناس يصيخون لها ، فلما كانت الطامة أبلغ في الإشارة إلى أهوالها خص بها أبلغ الصورتين في التخويف والإنذار وعلى ذلك بنيت سورة النازعات ... ووصف الطامة بالكبرى ..... ، فكلها تخويف وترهيب ، فناسبها أشد العبارتين موقعا وأرهبهما ، و أما سورة عَبَسَ وَتَوَلَّى فلم تبني على ذلك الغرض ، وإنما بنيت على قصة عبد الله بن أم مكتوم ..1

### المطلب الثاني: توجيه المشابهة في القصص القرآني :

لقد استطاع الكثير من المفسرين توجيه تشابه القصص القرآني و في مقدمتهم الإمام البقاعي الذي ساق لنا تأصيلات و تنزيلات مهمة في الباب ، و في ذلك قال : "و به - أي مقصود السورة - يتبين لك أسرار القصص المكررات ، و أن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدمى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقته به في السورة السابقة ، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض ، وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم و الإيجاز و التطويل ، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة "2 . و نجده رحمة الله عليه يقدم مثالا لما قال في مقدمة مصاعد النظر : " و لأجل اختلاف مقاصد السور ، تتغير نظوم القصص و ألفاظها ، بحسب الأسلوب المفيد

1 ابن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل 1135-1336 / 2 .

2 البقاعي ، نظم الدرر في تناسب السور ، 1 / 14

للدلالة على ذلك المقصود. مثال : مقصود سورة آل عمران : التوحيد ، ومقصود سورة مريم عليها السلام : شمول الرحمة .  
فبدئت آل عمران بالتوحيد ، وختمت بها بني عليه من الصبر ، وما معه مما أعظمه التقوى ، وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات ، الجامع لجميع الصفات ، فيها تكرير الم يكرر في مريم 1.

فقال في قصة زكريا عليه السلام : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾  
[آل عمران 40]<sup>2</sup> وقال في مريم : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم 9].

و قال في آل عمران 3 في قصة مريم عليها السلام : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

1 في سورة مريم كثر 7 مرات ، وفي سورة آل عمران 203 مرة.

2 الآية كاملة قال تعالى : " قَالَ : رَبِّ أَنْيْ يَكُونُ لِي غَلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ ط  
قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ "

3 البقاعي ذكر طرفي الآية فقط ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ

بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ إلى أن قال تعالى : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ  
يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا  
يَقُولُ لَهُ رُكُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ [آل عمران 45-47].

و في مريم قال سبحانه: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا  
﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى  
يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ  
هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴿٢١﴾ [مريم 18-21].

وغير ذلك ، بعد أن افتتح السورة بذكر الرحمة لعبد من خلص عباده و ختمها بأن  
كل من كان على نهجه في الخضوع لله يجعل له ودا ، وأنه سبحانه يسر هذا الذكر  
بلسان أحسن الناس خلقا و أجملهم كلاما و أحلامهم نطقا .

وكرر الوصف بالرحمن - وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء  
الحسنى - في أثناء السورة تكريرا يلائم مقصودها ، ويثبت قاعدتها و عمودها  
فسبحان من هذا كلامه ن وعز شأنه و علا مرامه " .<sup>1</sup>

فالقرآن إذن يعرض القصص المختلف بطريقة مبتكرة ، فنجده يبسط بعضها  
بسطا مطولا ، ويقتضب في البعض الآخر أشد الاقتضاب ، أو يبسط القصة في  
موضع و يقتضبها في موضع آخر ، أو يذكر القصة مجملة ثم يشرع في تفصيلها ، أو

1 البقاعي ، مصاعد النظر في مقاصد السور ، 1/ 153 .

يبسط بعض مجرياتها و يفصل أحداثها ، ولكل واحدة من الحالات علة تتفق و غرضها و غرض السورة ، وبل و غرض القرآن ككل .  
والأمثلة التي تساق كذلك لإبراز أهمية العلم بالمقصود في فهم أسرار إيراد القصص ، من إيجاز و تفصيل و ذكر و حذف و غيره ، و يكون ذلك وفق المعاني الكلية الحاكمة سواء في السورة الواحدة ، أو مجموعة من السور كالقرآن المكي والمدني أو في كل القرآن.

ف نجد مثلا تلك المحاوره بين الله و الملائكة التي بسطت في سورة البقرة و اختزلت فيها عداها إلى مجرد الأمر بالسجود ، و نجد محاوره إبليس المختزلة من القصة الواردة في البقرة قد بسطت في أكثر من موضع من المواضع الباقية و استوفى الغرض من ذكرها في القرآن المكي ، حيث تصرف في بيان معاندته لله و احتجاجه عليه بأن العنصر الذي خلق منه أفضل من العنصر الذي خلق منه آدم ، فكيف يسجد له ، و حقه على آدم و ذريته ، و قسمه بالله ليتعقبنه و ذريته إلى يوم الدين ، و احتياله في إخراجه من الجنة ، و عمله على أن لا يعود إليها من ذريته و لهذا تكررت القصة بإسهاب و اف بهذا الغرض و بطرق مختلفة للعرض و تم التركيز في كل على جانب من الحوار أو من مراحل ، أو على طريقة من طرق كيد الشيطان و هكذا ، وهذا كله من مقاصد القرآن المكي أما في القرآن المدني الذي يخاطب المؤمنين و يشرع لهم أمور حياتهم ، فإن التذكير بعدو الله إبليس لا يحتاج إلى مثل هذا التركيز لذا جاء مختزلا كما رأينا في سورة البقرة .<sup>1</sup>

<sup>1</sup>كاظم الضواهري، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم ، ، 68

فالقصاص في القرآن الكريم إذن يأتي موافقا لموقعه ، فتذكر القصة "بأساليب متغايرة ، أو في صورة متقاربة ، ولكل منها مغزى " 1 ومقصود لا يؤديه غيره ، ولا يقبل في غير موضعه ، فهي خاضعة للغرض الديني الذي ترمي إليه خاصة ، أو الذي يهدف سياق السورة تحقيقه .<sup>2</sup>

**المطلب الثالث :مسلك للترجيح بين المكي والمدني عند وقوع التعارض :**  
بعض السور القرآنية لم يضبط مكان نزولها ويرجع ذلك للتعارض في الأدلة السمعية المنقولة الحاكمة على مكية الجزء القرآني أو مدنيته ، وقد حاول العلماء اللجوء إلى ما يسمى خصائص و مقاصد القرآن الخاصة بكل فترة تنزيلية ، و محاولة تحكيم ذلك الجزء المختلف في محل نزوله وفق تلك المقاصد و الخصائص القرآنية

وحتى يتضح ما قيل نورد أدلة على ذلك .

#### المثال الأول :سورة الرعد .

اختلف في مكان نزولها فقول نزلت بمكة وأصحاب هذا الرأي هم : " مجاهد وروايته عن ابن عباس ورواية علي بن أبي طلحة وسعيد بن جبيرة عنه وهو قول قتادة " .<sup>3</sup>

<sup>1</sup> بكري الشيخ أمين ، التصوير الفني في القرآن الكريم، 217 .

<sup>2</sup> السيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، القاهرة ، 162

<sup>3</sup> النحاس ، الناسخ و المنسوخ في كتاب الله عز وجل ، 2 / 478 ، البقاعي ، مصاعد

النظر، 2 / 179 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 75 / 13 .

وقيل نزلت بالمدينة وذلك مروى عن ابن جريج وقتادة في رواية عنه وعن ابن عباس أيضا ، وقيل نزلت بمكة و تشتمل على بعض الآيات المدنية ، وقيل أنها مدنية اشتملت على بعض الآيات المكية .<sup>1</sup>

سورة الرعد من أكثر السور التي اختلف في مكان نزولها بين المفسرين ، و قد ساق كل فريق أدلة نقلية لأجل إثبات وجهة نظره ن غير أن الكثير من تلك الأدلة ورد عليها الاحتمال من ضعف للرواية أو بعد في الاستدلال . في حين لجأ عدد من المفسرين إلى اعتماد مقاصد السور القرآنية للترجيح ، نجد من بينهم ابن الزبير الغرناطي ، الطاهر بن عاشور ، سيد قطب .

يقول ابن عاشور : " معانيها جارية على أسلوب معاني القرآن المكي من الاستدلال على الوحدانية وتقريع المشركين وتهديدهم . والأسباب التي أثارته القول بأنها مدنية أخبار واهية ، وسندكرها في مواضعها من هذا التفسير ولا مانع من أن تكون مكية . ومن آياتها نزلت بالمدينة وألحقت بها ، فإن ذلك في بعض سور القرآن".<sup>2</sup>

ونفس المعنى ساقه سيد قطب فقال : "إن افتتاح السورة و طبيعة الموضوعات التي تعالجها ، وكثيرا من التوجيهات فيها ... كل أولئك يدل دلالة واضحة على أن السورة مكية ، وليست مدنية كما جاء في بعض الروايات .."<sup>3</sup>

1 السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 8 / 359 ، ابن عاشور ، المرجع نفسه، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 5 / 196 .

2 ابن عاشور ، المرجع نفسه .

3 سيد قطب، في ظلال القرآن، 4 / 2066

فسورة الرعد "أقيمت على أساس إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أوحى إليه من إفراد الله بالإلهية والبعث وإبطال أقوال المكذبين"<sup>1</sup>.  
و أما مقاصدها الجزئية فلا تخرج عن مقاصد القرآن المكي و قد عددها ابن عاشور وهي كما يلي :

- الاستدلال على تفردته تعالى بالإلهية بدلائل خلق العالمين ونظامهما الدال على انفراده بتمام العلم والقدرة وإدماج الامتنان لما في ذلك من النعم على الناس.
- مناقشة أهل الكفر و محاججتهم .
- بيان مكابرة المشركين و مقابله بيقين المؤمنين .
- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم .
- الإشارة إلى حقيقة القدر ومظاهر المحو والإثبات.<sup>2</sup>

#### المطلب الخامس :الاسترشاد بالعلم بمقصود السورة في تفسير آياتها:

كثيرا ما يسترشد المفسر بالسياق الكلي للسورة لتحقيق قراءة راشدة ، وتفسير علمي مقبول موافق لكليات الشريعة ، و لا يخفى على اللبيب أن المعاني تشد بعضها بعضا .

و أن كل لفظة ترتبط بأخواتها من الألفاظ تحت مسمى النظم ، فلا يمكن للمفسر أن يتصدر لتفسير آية متناسيا ما سبقها و ما يلحقها من الآيات .

1 ابن عاشور ، المرجع نفسه .

2 ابن عاشور ، المرجع نفسه ، 3 / 781

و هذا نموذج نسوقه لبيان أهمية مقاصد السورة في التفسير . قال تعالى في سورة التين: ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [سورة التين 1-8] .

لقد فسر بعض العلماء الخلق في أحسن تقويم هو الخلق في الصورة الحسنة ، حيث قصر التقويم على الجانب الجسدي ، يقول البغوي : " أي : أعدل قامة وأحسن صورة ، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبا على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة ، يتناول مأكوله بيده ، مزينا بالعقل والتمييز . ثم رددناه أسفل سافلين يريد إلى الهرم وأرذل العمر ، فينقص عقله ويضعف بدنه ."

وهذا التفسير حسب الطاهر بن عاشور لا يتلاءم ومقصود السورة ، و التفسير الموافق لكلية السورة هو القول بأن التقويم هو الخلق على هيئة تجعله قادرا على تحقيق الاستخلاف على الأرض ، و تحقيق الصلاح ، و في ذلك يقول ابن عاشور : " فأفادت الآية أن الله كَوَّنَ الإنسان تكويناً ذاتياً مُتناسباً ما خلق له نوعه من الإعداد لنظامه وحضارته ، وليس تقويم صورة الإنسان الظاهرة هو المعبر عند الله تعالى ولا جديراً بأن يقسم عليه إذ لا أثر له في إصلاح النفس ، وإصلاح الغير ، والإصلاح في الأرض ، ولأنه لو كان هو المراد لذهبت المناسبة التي في القَسَمِ



بالتين والزيتون وطور سينين والبلد الأمين"<sup>1</sup>.

ثم يقول بعد ذلك: " فالمرضيّ عند الله هو تقويم إدراك الإنسان ونظره العقلي الصحيح ، لأن ذلك هو الذي تصدر عنه أعمال الجسد ، إذ الجسم آلة خادمة

للعقل ، فلذلك كان هو المقصود من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ، وأما خلق جسد الإنسان في أحسن تقويم فلا ارتباط له

بمقصد السورة ويظهر هذا كمال الظهور في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ

﴾ فإنه لو حمل الرد أسفل سافلين على مصير الإنسان في أرذل العمر إلى نقائص

قوته كما فسر به كثير من المفسرين لكان نبؤه عن غرض السورة أشد"<sup>2</sup>.

---

1 الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، 30 / 424 ،

2 المرجع نفسه .

### المبحث الثاني : مسالك الكشف عن مقاصد السور :

قبل الحديث عن المسالك الكاشفة عن المقصود الكلي في السورة القرآنية يجب أن نضبط العلاقة بين التدبر و الكشف عن المقصود ، وكذا بيان أهمية القراءة القرآنية التدبرية التي تعد مفتاحا لكل ما يساق من مسالك كاشفة .

القراءة التدبرية و علاقتها بتحصيل المعاني : إن تحصيل المقاصد القرآنية هو امتثال لأمر الباري بوجوب تدبر القرآن ، و تحصيل هديه قال تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص 29] . ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [ النساء 82 ] .

و الأمر بالتدبر يفيد ضرورة النظر لتحصيل المعاني التي تحقق الصلاح للإنسان في معاشه ، و عاقبة أمره ، يقول صاحب اللسان : " وقيل : الدَّبرَةُ العاقبة . ، و دَبَّرَ الأمرَ و تَدَبَّرَهُ : نظر في عاقبته ، و استَدَبَّرَهُ : رأى في عاقبته ما لم ير في صدره... " <sup>1</sup> .  
يقول الشاطبي : " فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد ، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن ؛ فلم يحصل منهم تدبر " <sup>2</sup> .  
و يقول ابن عاشور أن المراد أنه تعقب : " ظواهر الألفاظ ليعلم ما يدبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللائقة " <sup>3</sup> .

<sup>1</sup> ابن منظور لسان العرب مادة د ب ر .

<sup>2</sup> الشاطبي ، الموافقات ، 4 / 210 .

<sup>3</sup> ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 24 / 253 .

إن مراتب الناس في تحقيق التدبر متفاوتة ، و منازلهم في تحصيل المراد مختلفة ، وليس أدل على ذلك من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " <sup>1</sup>.

ولا يفوتنا هنا التذكير بتميز سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنه حينما فقه معاني سورة النصر ، و فاق غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن القيم شارحا مراتب فهم النص ودراجات تدبره ، : " مِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ حُكْمًا أَوْ حُكْمَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنْهَا عَشْرَةَ أَحْكَامٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ فِي الْفَهْمِ عَلَى مُجَرَّدِ اللَّفْظِ دُونَ سِيَاقِهِ وَدُونَ إِيَّائِهِ وَإِشَارَتِهِ وَتَنْبِيهِهِ وَاعْتِبَارِهِ ، وَأَخْصُ مِنْ هَذَا وَاللَّفْظِ ضَمُّهُ إِلَى نَصٍ آخَرَ مُتَعَلِّقٍ بِهِ فَيَفْهَمُ مِنْ اقْتِرَانِهِ بِهِ قَدْرًا زَائِدًا عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ بِمُفْرَدِهِ ، وَهَذَا بَابٌ عَجِيبٌ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ لَا يَتَنَبَّهُ لَهُ إِلَّا النَّادِرُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الدُّهْنَ قَدْ لَا يَشْعُرُ بِارْتِبَاطِ هَذَا بِهَذَا وَتَعَلُّقِهِ بِهِ " <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى

والعلم، رقم الحديث: 2282.

<sup>2</sup> ابن القيم ، إعلام الموقعين، 1/ 267.

إن للتدبر القرآني أركان تقوم على علاقة ثلاثية تجمع بين النص المتدبر فيه<sup>1</sup> ، والمتدبر ، وعملية التدبر نفسها والتي تتطلب شروطا وقواعد خاصة وعامة . كضرورة تطهير القلب من خلال إصلاح القصد ، والمراد منها أن لا يكون للمتدبر قصد من تلاوة القرآن وتدبره إلا أن يكشف عن مراد الله ، ويفهم معاني كلامه تعالى ليهتدي بها ، فتكون قراءته خالصة لوجه الكريم، لا كمن جاء إلى القرآن يريد أن يتخذ آياته وسيلة لتحقيق أغراضه والوصول إلى مقاصده ، مثلما فعل أهل الباطنية وغيرهم من الفرق الفاسدة .

ومن آليات التدبر القراءة المتأنية للنص و المتكررة ، من أجل تحصيل المعاني على مستوى مقاطع السورة الواحدة ، و البحث في دلالة أسماؤها و كذا فواتحها وخواتمها و في ذلك يقول الفراهي : " اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليد لمعرفة نظامها . . ولكنه أصعب المعارف ، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص ، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة ، حتى يلوح العمود كفلق الصبح ، فتضيء به السورة كلها ، ويتبين نظامها ، وتأخذ كل آية محلها الخاص ، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها"<sup>2</sup>.

و على المتدبر هنا أن يوظف في كل قراءة مسلكا من تلك المسالك الكاشفة عن المقصود ، كأن يبحث عن دلالات أسماء السورة التوقيفية و علاقتها بوحدة السورة ، أو أن يستحضر معاني فواتح السورة من خلال النظر في مقاطعها ،

<sup>1</sup> تم الإشارة لهذا في المدخل من خلال الحديث عن خصائص النص القرآني ومراتب النظر فيه .

<sup>2</sup> الفراهي ، دلائل النظام ، 77.

وهكذا في كل مرة يكرر القراءة لتحصيل معاني مشتركة يدل عليها اجتماع المسالك .

هاته المسالك بعضها متعلق بترتيب أجزاء السورة ، كعلاقة اسم السورة بمقصودها ، وبراعة الاستهلال وحسن الختم ، وعلاقة مقاطع السورة ببعضها ، وبعض المسالك متعلق بأمور خارجية ، كالعلم بالمقام الحالي لها من معرفة بالمكي والمدني ، وأسباب النزول ، و فضائل السور الواردة في صحيح السنة النبوية . و فيما يلي نحاول تفصيل ماسيق .

### المطلب الأول : المسالك التعليلية القائمة على التناسب :

قبل التطرق للمسالك التعليلية النصية لابد من الحديث عن علم المناسبة ، و عن مدى حجيته ، و ما أثير عنه عند العلماء ، كالشوكاني و العز بن عبد السلام . خاصة و أنه من أهم المقدمات الموصلة للمقصود و لبيان الغايات .

### الفرع الأول : مناقشة أهمية علم المناسبة و أثره في الكشف عن المعاني :

#### المسألة الأولى : تعريف المناسبة .

لقد تنازعت علوم شرعية عديدة مصطلح المناسبة ، فمن نظر في علم أصول الفقه وجدده ، ومن نظر في علوم القرآن وجدده ، ومن نظر في علوم البلاغة وجدده كذلك . فما هو حد المناسبة في الاصطلاح الشرعي و اللغوي .

**أولاً: المناسبة لغة:** المناسبة هي المشاكلة، والمقاربة والملاءمة. يقال فلان يناسب فلانا أي نسيبه وقريبه. كما يقال هذا الشيء مناسب لهذا الشيء أي ملائم... وكل ما له تعلق بغيره وارتباط فإنه يصح لغة أن يقال إنه مناسب...<sup>1</sup>

تدور مادة المناسبة في النون والسين والباء وقياسها اتصال شيء بشيء، ومنه النسب سمي لاتصاله والاتصال به، ومنه النسيب في الشعر إلى المرأة كأنه ذكر يتصل بالمرأة ولا يكون إلا في النساء. والنسيب الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض.<sup>2</sup> وأضاف صاحب اللسان الطريق الواضح.<sup>3</sup>

**ثانياً: المناسبة اصطلاحاً:** إن المناسبة من المصطلحات التي تناولتها العلوم الإسلامية بالبيان والتعريف كأصول الفقه والبلاغة وعلوم القرآن الكريم. فالناظر في كتب أصول الفقه يجد باب القياس فيها لا يخلو من ذكر المناسب أو المناسبة لكونها مسلك من مسالك تعليل الأحكام. وكذا في مدونات علوم القرآن التي جعلتها علماً من علومها، فالسيوطي مثلاً عرفها بأسبابها فقال: "مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي أو

1 الفيروز آبادي، المصدر السابق، 1/137، ينظر ابن منظور، المصدر السابق، مادة: نسب، محمد مرتضى، مصدر سابق، 1/484، الزمخشري، أساس البلاغة، 666، السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 2/218.

2 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، 5/423-424.

3 ابن منظور، المصدر السابق.

ير ذلك من لوازم الترابط الذهني كالسبب ، والمسبب ، والعلة والمعلول والتنظير  
...".<sup>1</sup>

كما تناول أهل البلاغة المناسبة بالبيان أيضا ، ولم تخرج عندهم عن معنى الربط بين  
أجزاء الخطاب سواء كان لفظا أو معنى . وإن كانوا قد اختلفوا بينهم في تصنيفها  
ضمن أنواع البديع أو البيان ، وخلط بعضهم بينها وبين مصطلحات أخرى  
بسبب تداخلها مع عدد كبير من فنون البلاغة . فمثلا عرفها الرماني بقوله 2: "  
هي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد " أي التجانس وفي هذا إهمال  
منه للتناسب المعنوي ، وتركيز على التناسب اللفظي . أما أبو الأصبع فلم يهمل  
التناسب المعنوي و قد عرفها بالتقسيم فقال : "المناسبة على ضربين مناسبة في  
المعاني . ومناسبة في الألفاظ ، فالمعنوية هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى ، ثم يتم  
كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ .. أما المناسبة اللفظية فهي عبارة عن الإتيان  
بلفظات مترنات مقفاة وغير مقفاة".<sup>3</sup>

### ثالثا : تعريف علم المناسبة باعتبار المركب الإضافي :

لقد دارت التعريفات السابقة اللغوية أو الاصطلاحية حول معنى  
الارتباط . فهل الارتباط هو علم المناسبة كذلك ؟

1 السيوطي ، مصدر سابق ، 2/ 277 .

2 أبو الحسن الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، 92 .

3 أبو الأصبع ، بديع القرآن ، 145 وما بعدها .

قبل الإجابة عن هذا السؤال يجب التأكيد على أن علماء القرآن ، قد أطلقوا المناسبة وقصدوا بها علم المناسبة بعدة مواضع من مدوناتهم ، كما فعل السيوطي و الزركشي حين أكدوا على معنى الارتباط المعنوي .وبذلك غاب الحد الحقيقي فقد عرفوها بأسبابها. هذا وقد عرفها بموضوعها البقاعي الذي قال إن علم المناسبة في القرآن الكريم : " هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء-أي القرآن الكريم- ....تتوقف الإجابة فيه " على معرفة مقاصد السور ، ومقدمات الكلام و تشوفات السامع لتلك المقدمات 1 .

لقد حاول أن يعطي حدا بالرسم لعلم المناسبة ذكرا موضوعها ، ثم بعض الطرق المؤدية إلى الكشف عن الترابط بين أجزاء القرآن الكريم .من خلال الإطلاع على تفسيره و انطلاقا مما قيل سابقا يجوز القول بأن علم المناسبة هو إدراك الترابط بين أجزاء القرآن الكريم ، حروفه ، ألفاظه ، جملة ، آياته ، وسوره وكذا معانيه ، والعلم بعلم الترتيب ، و قواعد الكشف عنها ، لتحقيق "مطابقة المقال لما اقتضاه المقام"<sup>2</sup>

أصل اعتبار المناسبات هو ترتيب الآيات التوقيفية، حيث نجد أن العلماء قد أجمعوا على ذلك انطلاقا من النصوص النبوية الواردة، يقول ابن الزبير الغرناطي : "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم ، و أمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"<sup>3</sup>. ولما كان الأمر كذلك ، وجدنا أن

1 البقاعي ، نظم الدرر، 1/ 5، السيوطي ، مصدر سابق ، 2/ 277.

2 البقاعي ، مصدر سابق ، 1/ 6.

3 ابن الزبير ، البرهان في تناسب سور القرآن ، 73 .



الترتيب يرشد إلى حكم و أسرار ، قد ترتقي لتكون مقاصد متشوفة للشارع الحكيم في نظم القرآن الكريم ، و لا يصدنا في هذا الباب ما ساقه عدد من العلماء كالشوكاني والعز بن عبد السلام في التشكيك في التناسب القرآني .

### المسألة الثانية : حجية علم المناسبة :

لقد أثيرت إشكالات عديدة تنكر هذا الفن ، و بالتالي ترد ثمرته التي نحاول جنيها ، وهي تحصيل الحكم والعلل الناتجة عن الترتيب في القرآن الكريم ، لذا نناقش فيما يلي تلك الاعتراضات لردّها .

#### أولا : أقوال العلماء الواردة في رد التناسب :

قول العز بن عبد السلام : " من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ويتشبه بعضه ببعض ، لئلا يكون مقطعا مُتَبَرِّا وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد ، فيرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر ، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث ، فضلا عن أحسنه . فإن القرآن نزل على الرسول في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة غير مؤتلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه ببعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب ، ولذلك أمثلة أحدها أن الملوك يتصرفون في مدة

ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة وليس لأحد أن يربط بعض ذلك ببعض....<sup>1</sup>  
ونجد الشوكاني رحمة الله عليه يؤكد ما ساقه العز قبلاً، فاعتبر علم المناسبة علم لا  
فائدة منه فقال: "اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في  
بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة...<sup>2</sup> ثم  
قال: "وما أقل نفع مثل هذا و أنزر ثمرته، وأحقر فائدته، بل هو عند من يفهم ما  
يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على  
فاعله ولا على من يقف عليه من الناس...<sup>2</sup>"

ثم نجده يعد الاختلاف في أسباب النزول مانع من موانع المناسبات ، فقد شرح  
المسألة بقوله: " أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا  
الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات و تعسفات يتبرأ منها الإنصاف..  
كما فعله البقاعي.... وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما  
زال ينزل مفزقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبضه الله عز وجل إليه، وكل عاقل فضلاً عن عالم  
لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها... وإذا  
كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر  
معه الائتلاف، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها، فكيف  
يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي، وهل هذا  
إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض ، أو كان

<sup>1</sup> العز بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز ، ، 221.

<sup>2</sup> الشوكاني، مصدر سابق ، 1 / 72-73.

مرضه مجرد الجهل والقصور ، فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف ، تقرر عنده انه أمر لا بد منه وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة.<sup>1</sup>

ليؤكد بعد ذلك مقولته تلك بالقياس على أقوال البلغاء ، فالخطيب عندما يقف للخطابة في أزمنة مختلفة فتأتي تلك الخطب متنوعة ، فلا يستطيع متطلب المناسبات تحصيل مناسبة بينها لاختلاف أغراضها وأزمتها . وفي ذلك قال الشوكاني :  
"..وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاءاته، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحاً وأخرى هجاءً، وحيناً نسيباً وحيناً رثاءً، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعته، ثم تكلف تكلفاً آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك، وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك، لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصاباً في عقله متلاعباً بأوقاته عابثاً بعمره الذي هو رأس ماله...."<sup>2</sup>

من خلال الأقوال السابقة يمكن القول بأن الشوكاني قدم لقضيته بمقدمتين لنفي أهمية علم المناسبة وهما :

- عدم علمية علم المناسبة لعدم فائدته .
- اختلاف النزول منافي لتطلب المناسبات .

1 المصدر نفسه .

2 المصدر نفسه ، 73 / 1 .

ومناقشة أقواله تكون بإثبات فوائد علم المناسبة وبيان أن اختلاف النزول لا يعني عدم التألف بين آي القرآن الكريم .

### ثانياً: مناقشة الأقوال :

لقد أكد المفسرون والبلغاء وأرباب البيان على أهمية علم المناسبة ، وكثيرا ما يأخذ العلم شرفه من شرف غاياته ، ويكفي علم المناسبة شرفا أنه وسيلة لتحصيل مقاصد الشارع الحكيم ، وسبيل لرفع الخلاف بين الأقوال المتعارضة عند المفسرين ، و لو لم تكن له أهمية ما كان ليصنف ضمن علوم كتاب الله ، وما كان للشوكاني نفسه أن يخالف قواعده وتلك التأصيلات التي أوردها، في بقية التفسير ، والناظر فيه يلمس تلك المكانة التي جعلها الشيخ لعلم المناسبة تطبيقا إلى درجة أنه وظف أنواعاً عديدة من المناسبات اللفظية والمعنوية .

مثلا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة 124]، استعمل السياق في تفسير الإمامة فقال : يقول : " واختلف في المراد بالعهد فقبل الإمامة وقيل النبوة وقيل عهد الله أمره وقيل الأمان من عذاب الآخرة ورجحه الزجاج ، والأول أظهر كما يفيد السياق " .

و في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس 49] استعان بمناسبات

التقديم والتأخير ففسر الآية فقال: "قدم الضر، لأن السياق لإظهار العجز عن حضور الوعد الذي استعجلوه واستبعدوه"<sup>1</sup>.

وحتى أنه يستعمل مصطلحات كتلك التي اختص بها البقاعي وهي لما ، هذا اللفظ جعله البقاعي اسماً لكتابه نظم الدرر فقال :

هذا كتاب لما لم المعاني لما. 2

أما التمسك باختلاف النزول كأساس لقضية إنكار المناسبات ترد بأمور، أهمهما أن اختلاف النزول لا يعني انتفاء التناسب لأنه لا تلازم بينهما ، بل هناك مناسبات قرآنية بين أجزاء القرآن بحسب النزول ، و من ذلك ما ذكره السيوطي حين حديثه عن التناسب بين ثلاث سور هي : سورة الشمس والليل والضحى، فذكر التناسب بين السور على أساس ترتيب النزول.<sup>3</sup>

والقياس على الأساليب الخطابية البشرية المتنوعة بحسب أزمنة قولها لا يصلح للاستدلال ، لكونه قياس مع الفارق ، فالإنسان تختلف حياته من حين إلى آخر، ذلك ما يؤثر في إنتاجه الأدبي ، فيأتي كلامه متناسبا في بعض الأحيان وفي الكثير من الأحيان لا يأتي كذلك ، فقد يحدث وهو تحت طائلة الخوف ، وقد يحدث وهو تحت سيطرة الفرح الشديد ، فيؤدي به كل ذلك إلى التباين في أقواله التي صدرت في أوقات مختلفة ، في حين أن القرآن هو كلام الله الذي قد اجتمع في اللوح

1 المصدر نفسه ، 3 / 133

2 البقاعي ، مصدر سابق ، 620 / 8

<sup>3</sup> السيوطي ، أسرار ترتيب سور القرآن ، 131

المحفوظ قبل نزوله مفرداً في أزمنة مختلفة ، ليجمع من جديد ويرتب على حسب ما كان عليه في المصاحف اليوم .

أما الحديث عن العرب ، وأن القرآن جاء وفق أساليبهم ، هو دليل على التناسب وليس دليل على عدمه ، لأن العرب جبلت على حب التألف وليس التنافر ، ومقياساً لجودة الشعر يقول في ذلك الجاحظ : "...أجود الشعر ما رأته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فليعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكا واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان" .

وقد يصل بهم الأمر إلى حد وصف الشاعر الذي لا يناسب بالدعي قال الناظم :

وشعر كبعر الكبش فرق بينه

لسان دعي في القريض دخيل<sup>1</sup>.

فالعربي صاحب ذوق رفيع إذا قال أخاط الكلمات ، وعقد المعاني ، وألف بين الألفاظ ليحيى كلامه متلاحماً بعضه ببعض ، والقرآن الكريم جاء موافقاً لأساليب العرب حتى يكون التحدي على أكمل وجه<sup>2</sup>.

إن الشوكاني لم يقع على مناسبات قوية في بعض الواقع ، ثم وجد تكلفات من قبل بعض المفسرين في كشفهم للمناسبات ، فالأولى الرد على التكلف وليس إبطال علم قائم بذاته لأجل اجتهاد قد يصيب صاحبه وقد يخطأ . وأن ينظر لضوابط هذا العلم الذي استعان به في تفسيره ، ويجدر بالباحث أن يوجه كلام الشوكاني هذا التوجيه ، خاصة وأنه قد أشاد في كتابه البدر الطالع بالبقاعي وبتفسيره النظم

1 الجاحظ ، البيان والتبيين ، 1/ 70-81

2 محمد عناية ، إمعان النظر في نظام الآي والسور ، 81

فقال حين ترجم له: "من أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور، علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول. وكثيرا ما يشكل علي شيء في الكتاب العزيز، فأرجع إلي مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وارجع إلي هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب. كما قال أن البقاعي "من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف"<sup>1</sup>

المناسبات أنواع عديدة ومختلفة، بعضها متعلق بتلك الروابط القائمة بين أجزاء السورة الواحدة، والبعض الآخر متعلق بالأجزاء القرآنية المتفرقة والخارجة عن السورة الواحدة. وكل نوع من تلك الأنواع يدل على مقاصد السور من قريب أو من بعيد، في المباحث التالية تفصيل لما قيل.

### الفرع الثاني: المناسبات التعليلية الداخلية.

يقصد بالمناسبات التعليلية الداخلية هي تلك العلاقات الرابطة بين أجزاء السورة الواحدة كدلالة اسم السورة على المقصود ودلالة مطلعها وغيره....

### المسلك الأول: الترجمة لاسم السورة القرآنية وعلاقته ببيان مقصودها:

السورة من المصطلحات الجديدة التي ابتكرها القرآن، وهي اسم للقطعة القرآنية التي تكون وحدة مستقلة فيه، تتكون من عدد من الآيات أقلها ثلاث، وتتميز بأنها مترجم لها باسم أو بأسماء من شأنها أن تشير إلى خصائصها أو تبرز معانيها

1 الشوكاني، البدر الطالع، 248.

،ومن هنا نجد أن عددا من العلماء اعتبروا أن اسم السورة كاشف لمقصودها و أقدمهم البقاعي. قبل البسط في المسألة لإثبات أن اسم السورة كاشف لمقصودها، لا بد من مناقشة مجموعة من القضايا ن فصلها تباعا .

### أولا : مصدر تسمية السور :

لقد اختلف العلماء في مصدر أسماء السور القرآنية ، فقليل أنها اجتهادية ، وقيل أنها توقيفية .

القائلون بالتوقيف : ومنهم السيوطي قال في الإتيان : " قد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك <sup>1</sup> و أدلتهم في ذلك كثيرة ، وفي طليعتها تلك الأحاديث التي نقلت أسماء للسور القرآنية منها:

- حديث عمر بن الخطاب حينما خطب يوم الجمعة ، فذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أبا بكر ثم قال : إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلاله ، ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلاله ، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: " يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء "

"<sup>2</sup>.

1 ينظر الإتيان ص: 347

2 رواه مسلم في كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلاله رقم الحديث: 1617.



- و عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : " لَمَّا نَزَلَتْ آخِرُ الْبَقْرَةِ ، قَرَأَهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ حَرَّمَ التَّجَارَةَ فِي الْخُمْرِ " <sup>1</sup>.
- و عن حذيفة قال: " صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ . ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ : يُصَلِّيُ بِهَا فِي رَكْعَةٍ . فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يُقْرَأُ مُتْرَسِّلاً إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ . قَالَ وَفِي حَدِيثٍ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ فَقَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ " <sup>2</sup>.
- عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اِقْرءُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اِقْرءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ : سُورَةَ الْبَقْرَةِ ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ غَيَاتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ ، تُحَاجَّانِ عَنِ أَصْحَابِهِمَا ،

1 رواه البخاري، أبواب المحصر و جزاء الصيد. رقم الحديث 1953

2 رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

رقم الحديث 772.

اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا  
الْبَطَلَةُ " <sup>1</sup>

- وعن أبي الدرداء أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ " : مَنْ حَفِظَ عَشْرَ  
آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ " <sup>2</sup> ..

### القائلون بالتوفيق:

هنا ننقل كلاما لطاهر بن عاشور و مفاده : "و الظاهر أن الصحابة سموا بها  
حفظوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أو اخذوا لها أشهر الأسماء التي كان الناس  
يعرفونها بها ، ولو كانت التسمية غير مأثورة ، فقد سمى ابن مسعود القنوت  
"سورة الخلع والخنق" كما مر فتعين أن تكون السورة من وضعه ، وقد اشتهرت  
تسمية بعض السور في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسمعتها و أقرها وذلك  
يكفي في تصحيح التسمية " <sup>3</sup>.

مما سبق سابقا نستطيع القول بأن أسماء السور منها ما ثبت عن النبي صلى الله عليه  
وسلم ، ومنها ما اشتهر بين الصحابة ولم ينكر النبي تلك التسميات ، و هي في  
الحقيقة أسماء نبوية لأن النبي أقرها ، كما أن الأصحاب سموها وهم أهل لذلك ،

<sup>1</sup> رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن و سورة البقرة ، رقم :  
804 .

<sup>2</sup> رواه مسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها ، باب: فضل سورة الكهف و آية الكرسي ، رقم  
809: .

<sup>3</sup> الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، 1/ 91

فهم أصحاب العشرة الطويلة فقها معاني القرآن . ومعظمها مدون اليوم في المصاحف الموجودة بين أيدينا .

### ثانيا: مسألة تعدد الأسماء وعلاقتها بالمعاني:

لا يمنع أن تكون للسورة أسماء متعددة ، منها الاسم الثابت لها والمشهورة به ،بالإضافة إلى أسماء أخرى أطلقها عليها بعض الصحابة أو التابعين أو غيرهم ولم تشتهر بها . وفي هذا يقول الزركشي : "ينبغي البحث عن تعداد الأسماء هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها و هو بعيد " .<sup>1</sup>

فالأسماء قد تتعدد وبينها وبين السورة علاقات وطيدة ، ومناسبات لطيفة على أساس من المعاني ، ولا إشكال إذن في كون تلك الأسماء توقيفية ، أو توفيقية ،ولكن تبقى الأسماء التوفيقية أولى بالتوظيف في الدرس التفسيري ، من التوفيقية التي استنبطها العلماء ، والتي قد تفتقر إلى مستند أو أثر عن النبي أو عن الصحابة أو التابعين .

### ثالثا: إثبات العلاقة بين السورة واسمها :

إن لكل سورة من القرآن مقصودا كليا يدار عليه أولها وآخرها ، ومن طرق الكشف عنه نجد اسم السورة ، فمن عرف المراد منه كما قال البقاعي عرف مقصودها " .<sup>2</sup>

1 الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،

2 . ينظر البقاعي ، مصاعد النظر ، 1 / 149 .

فالأسماء كما هو معلوم ليست إلا قوالب للمعاني كما قال ابن القيم: "لما كانت الأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، و أن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك و الواقع يشهد بخلافه بل للأسماء تأثير في المسميات، وللمسميات تأثير عن أسمائها....." <sup>1</sup>.

ف: "بين الأسماء والمسميات من الارتباط والتناسب والقرابة، ما بين قوالب الأشياء وحقائقها، وما بين الأرواح والأجسام، عبّر العقل من كل منهما إلى الآخر....." <sup>2</sup>.

و من هنا نؤكد على تلك العلاقة القائمة بين السورة و أسمائها ، خاصة تلك الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أصحابه أو تابعيهم ، فالاسم يترجم لتلك المعاني والمقاصد التي أحاطت بها السورة .

وقد أصل هذه القاعدة الإمام البقاعي رحمه الله عليه في كتابه نظم الدرر ومصاعد النظر ، حيث أنه استفاد من شيخه أبو الفضل البجائي ، الذي وضع مسلكا للكشف عن نظام السورة القرآنية فقال: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف ، فهذا هو الأمر

<sup>1</sup> ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ت شعيب وعبد القادر الأرئووط ، 2 / 307.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، 2 / 308.

الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، و إذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً.....وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم السورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه ..... " 1.

ولو عدنا مثلاً إلى كتاب مصاعد النظر ، لوجدنا البقاعي قد استنبط مقاصد سور القرآن من خلال العودة إلى أسمائها ، وفيما يلي نماذج لذلك:  
من منهج البقاعي أنه يذكر أسماء السورة في بداية تفسيره ، ففي سورة البقرة ذكر اسمها البقرة والسنام والزهراء و طابق بينها وبين المقصود من السورة.

"مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى لاتباع في كل ما قال ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب ومجمعه الإيمان بالآخرة ، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب ..... " 2  
وسميت بالزهراء : لإنارتها طريق الهداية والكفاية في الدنيا والآخرة ... وبالسنام: لأنه ليس في الإيمان بالغيب بعد التوحيد الذي هو الأساس الذي ينبني عليه كل خير ، والمنتهى الذي هو غاية السير و العالي على كل غير بأعلى ولا أجمع من الإيمان بالآخرة ، ولأن السنام أعلى ما في بطن المطية الحاملة والكتاب الذي هي

1. البقاعي ، نظم الدرر ، 1/ 18-19

2المصدر نفسه .

سورته هو أعلى ما في الحامل للأمر وهو الشرع الذي أتاهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم".<sup>1</sup>

نجد أن البقاعي يذكر أسماء أخرى للبقرة ، وهي في الحقيقة ليست إلا صفات لها كقوله : أنها فسطاط القرآن ، وسيدة القرآن ، وهنا ينقل كلاما نفيسا للإمام الحرالي عن سورة البقرة : " ففيها لذلك جوامع ينتظم بعضها ببعض أثر تفاصيله خلالها في سنامية معانيها وسيادة خطابها نحواً من انتظام أي سورة الفاتحة المنتظمة من غير تفصيل وقع أثناءها ليكون بين المحيط الجامع والابتداء الجامع مشاكلة ما " .

نجد أن هناك بعض المفسرين قد وافق البقاعي في منهجه هذا ، فمن المعاصرين نجد مثلاً : مصطفى مسلم صاحب مباحث في التفسير الموضوعي وقد اشترط أن يكون اسم السورة الدال على معناها توقيفي".<sup>2</sup>

في حين نجد من ينتقد هذا الاتجاه ، ويعد التعويل على اسم السورة في الدلالة على المعنى ، هو انتصار للنظرة الجزئية ، وعلى رأس هؤلاء نجد الشيخ محمد الغزالي يقول : "أسماء السور شيء غير موضوعاتها ، فالموضوعات غالباً متشعبة مستفيضة ، أما الأسماء فذات دلالات جزئية".<sup>3</sup>

ونجد كذلك الدكتور سامر رشواني ينتقد التعويل على استخدام أسماء السور مؤيداً في ذلك الشيخ الغزالي ، واحتج أن تعدد أسماء السورة عائق في معرفة

1. نظم الدرر 57-58 / 1.

2 مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي دار القلم ، 41.

3 ينظر محمد الغزالي، التفسير الموضوعي ، 70.

مقصودها فيقول: "ومن الإشكالات التي اعترض بها على القول باعتقاد اسم السورة في الكشف عن عمودها وتناسبها هو أن كثيرا من سور القرآن قد ورد لها أكثر من اسم، فسورة الجاثية تسمى الشريعة، وسورة محمد تسمى القتال، وسورة المائدة تسمى العقود والمنقذة..... وهكذا ومن الأسماء ما هو توفيقى و منها ما هو اجتهادى، فعلى أي اسم سنعتمد في استخراج مقصودها .."<sup>1</sup> في الحقيقة يمكن القول أن الاعتماد على أسماء السور يكون على التوقيفى منها، أما الاجتهادى فيستأنس به ولا حرج في ذلك، لأن التعدد من شأنه تأكيد المعاني وتحقيق التظافر.

### المسلك الثاني: مطالع السور و أثرها في بيان مقاصد السور:

عبر العلماء عن تلك العلاقة الجامعة بين مطلع السورة ومقصودها ببراعة الاستهلال<sup>2</sup> حيث يشير المتكلم إلى غرضه من الكلام عند الابتداء. مثلما يعبر مطلع الهلال عن شهره<sup>3</sup>

وقد جعلوا حسن الابتداء دليل بلاغة المتكلم فقول: "أحسنوا معاشر الكتاب

الابتداءات فإنهن دلائل البيان"<sup>1</sup>.

1 سامر رشواني. منهج التفسير الموضوعي، 324

2 تم التفريق بين براعة الاستهلال و حسن الابتداء على أساس معرفة المقصود فبراعة الاستهلال أدق من حسن الابتداء لأن براعة الاستهلال حسن ابتداء وزيادة.

3 محمد الشخص، براعة الاستهلال و التخلص و حسن الختام في شعر الخنساء دراسة بلاغية، 8.

و لأن القرآن جاء وفق لسان العرب و عاداتهم فقد قدم أنموذجا رائعا لتحقيق براعة الاستهلال سواء على مستوى السور أو على مستوى القرآن ككل . حيث سارت تلك المطالع دليلا على الأغراض القرآنية المختلفة . فالسورة القرآنية تدل مطالعها على مقاصدها ، و من تتبع القرآن ظهر له ذلك واضحا حتى على مستوى المطالع المبنية على الحروف المقطعة ، فيما يلي نماذج تبين كيف استطاع العلماء توظيف تلك المطالع في بيان المقصود و الغايات <sup>2</sup>.

### المثال الأول :

لما جاءت سورة الكهف لتحقيق العصمة من الفتن بجميع أنواعها نجد أنها قد أشارت لهذا المقصد في بداية السورة حيث استهلكت بحديث عن الكتاب والسنة فهما العصمة والنجاة من جميع الفتن قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف 1] .

### المثال الثاني :

ونجد مثلا الرازي رحمة الله عليه في تفسيره لسورة النساء يشير إلى علاقة مطلع السورة بمقصودها فيقول : "اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف ... و لما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس ، لثقلها على الطباع لا

1 أبو هلال ، كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، ص : 489

2 لقد وظف الطاهر بن عاشور الكشف عن براعة الاستهلال في القرآن بطريقة متميزة للكشف عن أغراضها ينظر سورة الفاتحة ، البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الفرقان ، لقمان ، سبأ ، غافر ، الرحمن ، الحديد ، الجمعة ، القيامة ، تبارك ، النبأ ، النازعات ، المطففين ، الأعلى ، التين ، العلق ، المسد .



جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي تقوى الرب الذي خلقنا، والإله الذي أوجدنا".<sup>1</sup>

### المثال الثالث :

ينقل لنا البقاعي عن الحرالي أثرا يبين العلاقة بين أول السورة وما جاءت من أجله: "لما كان كل تفصيل يتقدمه بالرتبة مجمل جامع، وكانت تراجم السورة موضع الإجمال، ليكون تفصيلها موضع التفاصيل.... كان في هذه الآية الجامعة- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [ل عمران 6] توطئة لبيان الأمر في شأنه عليه السلام من حيث إنه مما صور في الرحم، وحملته الأنثى ووضعتة وأن جميع ما حوته السماء و الأرض لا ينبغي أن يقع فيه لبس في أمر الألوهية"<sup>2</sup>

### المثال الرابع :

مقصود سورة مريم هو تحقيق الرحمة، قال البقاعي: "مقصودها بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بإفاضة النعم على جميع خلقه...."<sup>3</sup>

قال تعالى: ﴿كَهَيَّعَ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً﴾ [مريم 1-2] "لما دارت السورة حول الرحمة الربانية، وتجريد العبودية، استهلته

1 الرازي، مفاتيح الغيب 9 / 128

2 ينظر، البقاعي، نظم الدرر 2 / 13

بالحديث عن رحمته تعالى بعبده زكريا عليه السلام، هذه التي تجلى أثرها في استجابة دعوته وهبته الولد الصالح مع كبر سنه وعقم زوجته ، فكانت ولادة يحيى تكريما ورحمة بهذا النبي العابد....<sup>1</sup>.

#### المثال الخامس :

قال الله تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة 1] "انظر إلى هذا المطلع الذي تكاد براعته تسحر القلوب ، وتبهر العقول ، أما أولا فلمناسبته لمقاصد السورة ، فإنها سيقت لبذ العهود ، وقتل الكفار حيث وجدوا ، وطردهم من جزيرة العرب ، وكشف أسرار المنافقين و ما إلى ذلك ، فلا يكن مطلع لذلك أنسب و لا أبلغ من هذا المطلع المفتوح بالبراءة ، ثم إضافة هذه البراءة إلى الله ورسوله وفيها من التفخيم والتعظيم ما لا يخفى ..."<sup>2</sup>.

المثال السادس :ومن مطالع السور نجد الحروف المقطعة<sup>3</sup> ، و التي قد اختلف العلماء في تفسيرها ولكن ما نشير إليه في هذه الدراسة علاقتها بمقصود سورة و ما مدى تأثيرها في الدلالة عليه .

لقد أورد ابن القيم مثلا جريئا للدلالة على أغراض السور انطلاقا من تلك الحروف المفتوح بها .

<sup>1</sup> مجموعة باحثين ، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم 4 / 412 .

<sup>2</sup> السيوطي ، كطف الأزهار وكشف الأسرار، ت: أحمد الحمادي ، 2 / 1129 .

<sup>3</sup> تعريف الحروف المقطعة : هي حروف من حرف الهجاء تأتي في فواتح بعض ، السور تتكون من

حرف أو أكثر ، ينطق بها مفردة . ينظر فضل أبو عيسى ، الحروف المقطعة في أوائل السور ، ، 16

"فائدة في سر اشتغال الم على هذه الحروف الثلاثة تأمل سرّاً: "الم" كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة فالألف إذا بدأ بها أولاً كانت همزة ، وهي أول المخارج من أقصى الصدر واللام من وسط مخارج الحروف ، وهي أشد الحروف اعتماداً على اللسان والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم . وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف ، أعني الحلق واللسان والشفيتين . والترتيب في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية . فهذه الحروف معتمد المخارج الثلاثة التي تتفرع منها ستة عشر مخرجاً ، فيصير منها تسعة وعشرون حرفاً عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين مع تضمنها سرّاً عجبياً . وهو أن للألف البداية واللام التوسط والميم النهاية ، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما . وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه ، فمشملة على تخليق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر . فتأمل ذلك في البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم"<sup>1</sup>.

المسلك الثالث :إشارة آخر السورة لمقصودها.

1 ابن القيم ، بدائع الفوائد ، 2 / 1119 .

إن لخواتم السور أهمية في بيان مقاصد السور القرآنية حيث أنها عادة ما تشير لتلك المقاصد الواردة فيها . من قريب أو بعيد ، يقول : " وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن و نهاية الكمال ، لأنها بين أدعية ووصايا و فرائض و تحميد و تهليل ، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعده تطلع و لا تشوف إلى ما يقال ، كالدعاء الذي ختمت به سورة البقرة أ و الوصايا التي ختمت بها آل عمران و الفرائض التي ختمت بها النساء ، والتبجيل و التعظيم الذي ختمت بهما المائدة ... والحض على الجهاد و صلة الأرحام اللذين ختمت بهما الأنفال ... و تسليته عليه السلام التي ختمت بها سورة يونس.... و مدح القرآن و ذكر فائدته و العلة في إنزاله الذي ختمت به سورة ابراهيم ."<sup>1</sup>

فيما يلي نورد أمثلة تبين أهمية دلالة الخواتم على أغراض السورة القرآنية.

### المثال الأول :

يقول الرازي في آخر سورة النحل عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل 120] : "اعلم أنه لما زيف في هذه السورة مذاهب المشركين في أشياء، منها قولهم بإثبات الشركاء و الأنداد لله تعالى ... فلما بالغ في إبطال مذاهبهم في هذه الأقوال ، و كان إبراهيم رئيس الموحدين و قدوة الأصوليين ، وهو الذي دعا الناس إلى التوحيد و إبطال الشرك ، وإلى الشرائع و المشركون كانوا مفتخرين به ، معترفين بحسن طريقته ، مقرين بوجوب الإقتداء به ، لا جرم ذكره الله في آخر هذه السورة، و حكى

<sup>1</sup> ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر و بيان إعجاز القرآن، 620-621.

طريقته في التوحيد ، ليصير ذلك حاملا لهؤلاء المشركين على الإقرار بالتوحيد و الرجوع عن الشرك " <sup>1</sup>.

### المثال الثاني :

ويقول ابن تيمية : "لما كانت سورة البقرة سنام القرآن ، و أكثر سوره أحكاماً ، وأجمعها لقواعد الدين : أصوله وفروعه ... ختمها الله تعالى بآيات جوامع مقررة لجميع مضمون السورة" <sup>2</sup>.

### المسلك الرابع :تناسب آخر السورة مع أولها و الإشارة إلى المعاني المشتركة

لقد أشار العلماء لهذا المسلك من خلال تأسيسهم لضرورة النظر الكلي في كتاب الله فأكدوا على أهمية النظر في أول الكلام وفي آخره ،لما له من علاقة بتحقيق المقصود ، و مما يدخل تحت مسمى النظرة الكلية ربط خواتم السور بمطالعها .

يؤكد ابن حيان العادة القرآنية القائمة على الربط بين أجزاء السورة خاصة في السور الطوال و في ذلك يقول : "وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أو آخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء... وذلك من أبداع الفصاحة ، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله ، وهي عادة العرب في كثير من نظمهم ، يكون أحدهم أخذاً في شيء ، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر ، ثم إلى آخر

1 الرازي ، مصدر سابق ، 20/ 107

2 ابن تيمية ، مجموع الفتاوى 14/ 129

هكذا طويلا ، ثم يعود إلى ما كان آخذا فيه أولا ، ومن أمعن النظر في ذلك سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادئ النظر أنه لا مناسبة له <sup>1</sup> .

بل الأمر يتعدى إلى جميع السور القرآنية فتجد دائما تلك المعاني المشتركة بين الأوائل والأواخر، ولا يمكن للمفسر أن يقتصر المعاني الكلية للسورة إن أهمل رد آخر السور على أولها ، وقد ذكر الشاطبي هذا الأمر فقال : "المساقات تختلف باختلاف الأحوال و الأوقات والنوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان ، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره ، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر إلى أولها دون آخرها ، ولا في آخرها دون أولها ، فإن القضية و إن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض ، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد ، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله ، وأوله على آخره ، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف ، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده ... " <sup>2</sup> .

### المثال الأول :

سورة سبأ: هي سورة مكية جاءت آياتها لإثبات قضية البعث يقول سيد قطب: "موضوعات هذه السورة المكية هي موضوعات العقيدة الرئيسية: توحيد

1 أبو حيان، البحر المحيط 2 / 378 .

2 الشاطبي ، الموافقات ، 1 / 375

الله و الإيمان بالوحي ، و الاعتقاد بالبعث، وإلى جوارها تصحيح بعض القيم الأساسية... و التركيز الأكبر في السورة على قضية البعث و الجزاء<sup>1</sup>

بدأ الله تعالى سورة سبأ بالحديث عن الغيب فقال عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿سبأ 1-3﴾

وقال تعالى في آخر السورة: ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِءِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِءِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣٢﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ﴾ ﴿سبأ 52-54﴾.

لقد بدأت السورة ببيان موقف المشركين من البعث حيث أنهم يصرون على إنكاره و التهكم بالنبي حين أخبر عنه و هكذا مضت السورة في إثبات البعث ثم ختمت ببيان إقرارهم به ولكن بعد فوات الأوان<sup>2</sup>.

1 سيد قطب، في ظلال القرآن. 5/ 277.

2 التفسير الموضوعي ، مرجع سابق ، 5/ 169

## المسلك الخامس: أثر العلم بالمقاطع وموضوعات السورة في بيان المقاصد

### الخاصة:

السورة القرآنية ليست إلا مقاطع من الآيات جمعت بينها معاني مشتركة و حتى يوصل لتلك المعاني . يجب أن يستعرض المفسر تلك المقاطع و أن يحصل تلك العلائق الجامعة بينها حتى يصل إلى ذلك القدر المشترك بينها ، و الذي يحقق الخصوصية المقاصدية للسورة ، و في الحقيقة هذا المسلك ما هو إلا تكريس للنظرة الكلية في القرآن الكريم .

كما يجب على المفسر أن يعتني بتحديد أنواع الكلام حسب تعبير الشاطبي إذ يقول: "سورة البقرة مثلا كلام واحد باعتبار النظم ، و احتوت على أن أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها ، منها ما هو كالمقدمات و التمهيدات بين يدي المطلوب ، و منها ما هو كالمؤكد و المتمم ، و منها ما هو المقصود في الإنزال ، و ذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب ، و منها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد و التثبيت ، و ما أشبه ذلك " <sup>1</sup> .

و نفس القاعدة أشار لها البقاعي في مقدمة نظم الدرر والتي يمكن الاستفادة منها في تحديد المقصود و مفادها : " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو انك تنظر الغرض الذي سيقته له السورة ، و تنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض الذي سيقته له السورة ، و تنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات و تنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب و البعد من المطلوب ، و تنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف السامع إلى الأحكام

1 الشاطبي الموافقات 4 / 268 .



واللوازم التابعة له التي تقضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة " .<sup>1</sup> وبهذا يحدد المقاصد الأصلية والتبعية ، المقاصد الخاصة والجزئية .

فالمقصد الكلي للسورة يكشف عنه بداية " من الكلمة في أصغر صورها وانتهاء إلى المعقد ذي الآيات العدة في أكبر صورته ، فإذا العناصر كلها المكونة للسورة متحدة اتحاداً أعضاء الجسد الواحد وأجزاء الشجرة الواحدة ، يتغلغل في كل عنصرٍ منها القصد الرئيسي ، فيطبع صورته ومعناه وموقعه وعلاقاته بالطابع التي يطبع به كل ما اتحد معه في تكوين السورة ، فإذا كل كلمة أو جملة أو آية أو نجمٍ من نجوم السورة يعكس لنا حقيقة واحدة كلية هي المغزى الرئيسي المهيمن " .<sup>2</sup>

يلزم المفسر عند تقسيم السورة القرآنية إلى مقاطع أن يعود إلى كتب التفسير الموثوقة للوقوف على الروايات الواردة من السنة النبوية ، أو الواردة عن الصحابة أو التابعون حتى يستعين بها لمعرفة المعاني الصحيحة الموافقة .<sup>3</sup> وللدلالة على أهمية ما سيق نورد مثالا تطبيقيا على سورة الحجرات .

ككل السور ، سورة الحجرات تتكون من مقاطع ذات أهداف وغايات ، تلك الغايات تصب في المعنى الكلي للسورة القرآنية و الذي تحده المقاطع .

1، البقاعي نظم الدرر، 1/ 19

2 توفيق سعيد ، مرجع سابق ، 60 .

3 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ، 45

المقطع الأول :

و هو افتتاحية السورة قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات 1-2] .

يلاحظ بأن مقدمة السورة أخذت حيزا مهما ، لأنها في الحقيقة تمهد لأسس بناء المجتمع ، وعملية بناء أي مجتمع تحتاج إلى قيادة مطاعة ، يلتزم بأوامرها ، ويسلم لها .<sup>1</sup>

المقطع الثاني : قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ ..... ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۗ أَنُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات 4-13] لقد جاء

<sup>1</sup> التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، مرجع سابق ، 7 / 342

هذا المقطع لبيان القواعد الأخلاقية التي تقوم عليها المجتمعات المسلمة من ضرورة الأدب في التعامل مع القيادة ويمثلها النبي صلى الله عليه وسلم ، وضرورة الالتزام بأداب الجماعة فعلى المسلم أن يترك تلك النواهي التي أرشدت إليها الآيات و أن يلتزم بتلك الأوامر لحماية الجماعة .

المقطع الثالث : قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ..... يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا<sup>ط</sup> قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ ۗ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ ﴿١٥﴾ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [الحجرات 13-18]

المقطع السابق أرشد إلى ضرورة الالتزام بأداب الجماعة المسلمة ، و إلى بناء المجتمع الإسلامي من الداخل ، ثم جاء المقطع الثاني ليرشد إلى مكانة الإيمان و أهميته بكونه رباط يشد المجتمع " وذلك بعرض مثال لمن دخل في الإسلام حديثا ، و لما يدخل الإيمان في قلبه بعد ، فهو بحاجة إلى معرفة حقيقته ، فجاء هذا الإرشاد الرباني توجيهها للأفراد كي يحققوا هذا المعنى و للمجتمعات كي يشيع فيها الإيمان

1.

١. المرجع نفسه، 7/ 377.

بعد عرض تلك المقاطع وما تهدف إليه نستطيع القول بأن غرض السورة عموماً هو توضيح قواعد و أسس بناء المجتمع المسلم .

لابد أن نشير في الختام إلى نقطة مهمة و هي أن تحديد المقاطع و أهدافها غير منضبط و يخضع لتدبير و اجتهاد كل مفسر ، فلو أخذنا سورة البقرة مثلاً ، فالشيخ عبد الله دراز يقسمها إلى مقدمة و خاتمة و يحدد مقاصدها في أربعة و هي :

المقصد الأول : دعوة الناس إلى اعتناق الإسلام ،

المقصد الثاني : دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم و الدخول في الدين الحق .

المقصد الثالث : عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً .

المقصد الرابع : ذكر الوازع و النازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع و يعصم عن مخالفتها .<sup>1</sup>

في حين نجد أن غيره يخالفه فالشيخ الطاهر بن عاشور مثلاً يعترف بتنوع أغراض السورة و يقول في ذلك : هذه السورة مترامية أطرافها ، و أساليبها ذات أفنان . قد جمعت من و شائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيبها فسطاط القرآن . فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان ، و على الناظر أن يتقرب تفاصيل منها فيما يأتي لنا من تفسيرها " ثم تجده بعد ذلك يحاول إبراز أغراضها الجزئية فيقول : " ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرض إلى لائحات منها... و معظم أغراضها ينقسم إلى

<sup>1</sup> عبد الله دراز، النبأ العظيم 163

قسمين: قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعاتهم.<sup>1</sup>

المسلك السادس الاسترشاد بال تكرار اللفظي والمعنوي:

كثيرا ما تتأسس معاني السورة كلية على تلك المعاني المكررة في السورة، كما يمكن أن تشير الألفاظ أو حتى الحروف لمعنى مشترك قد يرتقي ليحقق وحدة السورة.

#### أولا: القصص القرآني وأثره في بيان المقاصد القرآنية:

يستطيع المفسر للقرآن الكريم، الباحث عن مقاصده أن يستثمر القصص القرآني وتوجيه معانيه وفق السياقات المختلفة لها للدلالة على أغراضها، وكما هو معلوم أن القصة القرآنية تتميز بخصائص غير معهودة في كلام البشر منها:

التكرار: فالناظر في القرآن الكريم يجد القصة الواحدة قد تكررت في القرآن عدة مرات كقصة هارون وموسى ونوح وخلق آدم....

الإقتصار: على بعض الحوادث من القصة بحيث تسرد بعض الحلقات دون أخرى وفق سياقات خاصة.<sup>2</sup>

وهذا ما أكده البقاعي في مقدمة كتابه النظم فقال عن علم المناسبات: "وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقته له السورة السابقة،

1 ابن عاشور، مرجع سابق، 1/119، 118.

2 البوطي، من روائع القرآن، 195-196.

ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة....<sup>1</sup>

كلام البقاعي هذا ينبأ عن طريق من طرق الكشف عن مقاصد السورة ف" الله - سبحانه وتعالى - يعبر لنا في كل سورة تذكّر القصة فيها بما يناسب المقام من ألفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام...<sup>2</sup>.

لذا فالمطلع على تفسير البقاعي يلمس منه تلك المناسبات التي أصلها الربط بين السياق اللفظي والقصة التي وردت فيها. يقول البقاعي حين تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف 138]: "اعلم أنه لا تكرير في هذه القصص فإن كل سياق منها لم يسبق مثله فالمقصود من قصة موسى عليه السلام وفرعون - عليه اللعنة والملام - هذا الاستدلال الوجودي على قوله: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾<sup>3</sup> و من هنا تعلم أن سياق قصة بني إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان إسرأعهم في الكفر ونقضهم للعهود، واستمر سبحانه في هذا الاستدلال إلى آخر السورة... بخلاف المقصود من سياق قصص بني إسرائيل في البقرة فإنه هناك الاستجلاب للإيمان بالتذكير بالنعمة، لأن ذلك في سياق خطابه سبحانه لجميع الناس بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ

<sup>1</sup> البقاعي، نظم الدرر، 1/14.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، 1/284.

<sup>3</sup> قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف 102].

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾<sup>2</sup> وما شاكله من الاستعطاف بتعداد النعم و دفع النقم.<sup>3</sup>

ونجد في تفسير البقاعي مثالا آخر يبرز فيه أثر العلم بتوجيه متشابه القصص في بيان المقصود فيقول: "أنبا سبحانه وتعالى في هذه السورة الخاصة بقصة مريم من قبلها وإنباتها، وحسن سيرتها بما نفى اللبس الذي ضل به النصرارى، فيذكر في كل سورة ما هو الأليق والأولى بمخصوص منزلها، فذلك ينقص الخطاب في القصة الواحدة في السورة ما يستوفيه في سورة أخرى، لاختلاف مخصوص منزلها كذلك الحال في القصص المتكررة في القرآن من قصص الأنبياء، وما ذكر فيه لمقصد الترغيب والتثيت والتحذير، وغر ذلك من وجوه التنبيه"<sup>4</sup>.

في سورة هود أورد البقاعي مقالة نقلها الحافظ بن حجر عن الشيخ ابن حبان البستي ليستنبط منها بعض الفوائد فقال إن الإمام أبو حاتم البستي ذكر في كتابه التقاسيم والأنواع: إنما لم يرتبه ليحفظ - أي كتابه - إذ لو رتبه ترتيبا سهلا لاتكل من يكون عنده على سهولة الكشف منه فلا يحفظه، وإذا وعر

1 قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة

[21].

2 قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

[البقرة 28].

3 البقاعي، المصدر السابق، 70/8.

4 البقاعي، المصدر نفسه.

طريق الكشف عنه كان ادعى إلى حفظه... و ذكر أنه فعل ذلك إقتداء بالكتاب العزيز فإنه ربما أتى بالقصص غير مرتبة ، قال شيخنا-ابن حجر - :  
ومن هنا يظهر أن أسرار تخصيص بعض الموجزات بما ليس في المبسوط الحث على حفظ الجميع انتهى - كلام ابن حجر - " <sup>1</sup>  
علق البقاعي على ذلك فقال: " وهذه فوائد ينبغي إهمالها بل تستعمل حيث أمكن ، والعمدة في المناسبة.. أنها في كل سورة - تساق القصة - لمناسبة تخص تلك السورة ، ثم يراعى في البسط وغيره المعاني المناسبة للمقصد الذي سيقت له القصة " <sup>2</sup> أورد البقاعي هذه المقالة وناقشها لإثبات أن بسط القصص القرآني وإيجازه ، يتحكم فيه مقصود السورة . الناظر في كتاب الله يجده أنه قد جرى على وفق تلك العادة في سرده ؛ وهي توزيع القصص أو حلقاته في مواضعها وفق أغراضها <sup>3</sup> .

### ثانيا الاسترشاد بتكرار المعاني أو بتكرار الألفاظ :

قد يكون التكرار على مستوى الكلمات و قد يكون على مستوى بعض الحروف ، و فيما يلي نورد أمثلة فيها بيان لعلاقة التكرار بالمقصود الكلي للسورة القرآنية .

1 المصدر نفسه ، 267 / 9 .

<sup>2</sup> البقاعي ، مصدر سابق ، 268 / 9 .

3 الطاهر بن عاشور ، مصدر سابق ، 64 - 69 / 1 ، 54 / 9 ، بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن الكريم ، 220 . السيد عبد ربه ، بحوث في قصص القرآن ، 33 - 48 .



سورة الأنبياء من السور القرآنية التي تكرر فيها سياق الذكر فهل نستطيع القول بأنها سورة الذكر؟

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "سورة الأنبياء سورة الذكر، وسورة الأنبياء الذين عليهم نزل الذكر" <sup>1</sup>.

افتتحها بقوله: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [1].  
[الأنبياء 1-2]

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء 7].  
وقوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [1].  
[الأنبياء 10].

وقوله: ﴿أَمْ آتَّخِذُوا مِن دُونِهِ ءَآلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء 24].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء 48].

1 ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، 1/358

وقوله تعالى: ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ۗ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء 50].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء 105].

نسوق مثالا آخر عن سورة مريم التي تكررت فيها معاني الرحمة و ألفاظها ، يجدد البقاعي مقصودها فيقول " مقصودُها بيانُ اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بإفاضة النعم على جميع خلقه ، المستلزم للدلالة على اتصافه لجميع صفات لكمال...".<sup>1</sup>

فقد افتتحها رب العزة بقوله: ﴿ ذِكْرٌ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ﴾ [مريم 2].

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾ [مريم 18].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيّاً ﴾ [مريم 21].

وقال تعالى: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾ [مريم 29].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتٍ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَأْتٍ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم 44-45].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم 50].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم 58].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾ [مريم 85-88].

وقال تعالى: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يُنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم 91-93].

يقول أحد المعاصرين عن سورة مريم: "ولقد تكررت كلمة "رحمة" واسم الله "الرحمن" في هذه السورة في ستة عشر موضعا فجاءت كلمة "رحمة" أربع مرات مضافة في جميعها إلى الله تعالى، كما جاءت كلمة الرحمن اثنتا عشرة مرة؛ مما يؤكد ويقرر الهدف العام من هذه السورة؛ ليمتلئ قلب المؤمن ويفيض بالرحمات، ويعظم رجاءه ويستبشر فؤاده برحمة الله، فيزداد من الله تعالى حبا وقربا ورجاء

، ويقوى يقينه حين يعاين في رحلته مع هذه السورة الكريمة صوراً ومشاهد تتجلى فيها لطائف الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء<sup>1</sup>.

ومن المعالم المرشدة للمقاصد القرآنية الخاصة بالسورة نجد تكرار حروف بعينها في سور بعينها كسورة ق وسورة ص مثلاً وكثيراً ما تكون تلك الحروف في فواتح السور.

قول ابن القيم: "وتأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة . كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ، فمن ذلك ق والسورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن وذكر الخلق وتكرير القول ومراجعته مراراً والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين قول العبد وذكر الرقيب وذكر السائق والقرين والإلقاء في جهنم والتقديم بالوعيد وذكر المتقين وذكر القلب والقرون والتنقيب في البلاد وذكر القيل مرتين وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها وبسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد . ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة وسر آخر وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح ". وتجده يؤكد ذلك بمثال آخر فقال : " وإذا أردت زيادة إيضاح هذا فتأمل ما اشتملت عليه سورة ص من الخصومات المتعددة ، فأولها خصومة الكفار مع النبي وقولهم : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إلى آخر كلامهم ، ثم اختصاص الخصمين عند داود ، ثم تخصم أهل النار ، ثم اختصاص الملأ الأعلى في العلم وهو

<sup>1</sup> مجموعة من الباحثين ، التفسير الموضوعي لسورة مريم 4 / 406-407.

الدرجات و الكفارات ، ثم مخاصمة إبليس و اعتراضه على ربه في أمره بالسجود لأدم ، ثم خصامه ثانياً في شأن بنيه و حلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم . فليتأمل اللبيب الفطن هل يليق بهذه السورة غير ص و بسورة ق غير حرفها . وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الحروف والله أعلم<sup>1</sup> . إن نص ابن القيم يشير إلى أمر مهم وهي "كون تكررا بعض الحروف" و الأصوات و الكلمات الأكثر انسجاما في السورة المستهله بهذه الحروف فكأنها : مفاتيح للمعجم اللفظي الذي تتكون منه هذه السورة" و في هذا ربط بوحدة السورة .<sup>2</sup> ونحن نتحدث عن تكرار الحروف و الكلمات لا بد من الحديث عن ما يسمى بتكرار الفواصل و بناء السورة على فاصلة واحدة مكررة ، و مدى تأثيره في الدلالة على مقصودها الكلي .

تعريف الفاصلة القرآنية: عرفها الرماني فقال: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إيفهام المعاني"<sup>3</sup> .

و ضبطها الزركشي بتعريف مرتبط بالقرآن فقال: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر و قرينة السجع"<sup>4</sup> .

أما علاقة الفاصلة بمعاني السورة فقد أوضحها العلماء ، و نذكر منهم البقاعي الذي استطاع أن يتجاوز ما وقع في كثير من الباحثين من جعل المعنى خادما

<sup>1</sup> ابن القيم ، بدائع الفوائد، 2 / 144

<sup>2</sup> سامي العجلان ، الوحدة السياقية للسورة القرآنية ، 611 .

<sup>3</sup> الرماني، النكت في إعجاز القرآن، 97

<sup>4</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1 / 53 .

للفاصلة في حين أن المباني هي الخادمة للمعاني ، كذلك القول الذي ساقه الإسكافي للموازنة بين آيتي سورة الأعراف قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقَىٰ وَإِمْآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف 151]، وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰٓ إِمْآ أَن تُلْقَىٰ وَإِمْآ أَن نَّكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ [طه 65].

حيث قال : للسائل أن يسأل عن اختلاف المحكي في الموضعين مع ذلك في شيء واحد؟

والجواب أن يقال: أن المقصود معنى واحد، فاختر في سورة الأعراف: ﴿ وَإِمْآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾.

لأن الفواصل قبله على هذا الوزن، واختير في سورة طه : ﴿ وَإِمْآ أَن نَّكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ لذلك.<sup>1</sup>

وفي ذلك يقول البقاعي " . فلا ينبغي الاغترار بما يوجد في بعض كتب الأمثال من المتأخرين، كالبيضاوي والتفتازاني ، من تخريج بعض الفواصل على السجع، لأنه خولف فيها النظم الذي ورد في سورة أخرى، مثل: "هارون وموسى" أو عدل عن عبارة إلى عبارة أخرى، لمثل ذلك، .. وهذا أمر عظيم، لا تليق نسبته إلى جلال الله، فهي زلة عالم حقيقة. يشتد النفور عنها، والبعد منها..... إنه لا يقال في

1 الإسكافي، درة التنزيل، 2/ 663.

شيء من القرآن: إنه قدم أو أخر لأجل السجع، لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ، بل فيه وفي المعنى".<sup>1</sup>

فكل سورة في القرآن إذن: " لها مقصد معين.... كون جميع جمل تلك السورة دليلاً على ذلك المقصد. فلذلك يقتضي الحال - ولا بد - ما أتى عليه فيها نظم المقال، ومن هنا غيرت الألفاظ في القصص، واختلفت النظم، وجاء الإيجاز تارة، والإطناب أخرى والتفصيل مرة، والإجمال أخرى. فسورة طه لها نظر عظيم إلى الوزير، والإرشاد إلى طلبه. ولذلك كانت سبب إسلام - عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصرح فيها على لسان موسى عليه السلام بطلب الوزير بلفظه، فلذلك كانت العناية به أكثر، فقدم في الذكر تنبيهاً على ذلك. ولذلك قيل فيها: (إنا رسولا ربك) بالثنائية<sup>2</sup>. وفي الشعراء بالأفراد<sup>3</sup>، لأنه لا عناية فيها بذلك<sup>4</sup>.

### الفرع الثالث: المسالك التعليلية الخارجية:

نستطيع من خارج السورة أن نصطحب مناسبات نستدل بها على مقصدها وهي عديدة ومتنوعة .

1 البقاعي، مصاعد النظر، 1 / 177-178

2 قال تعالى ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَن آتَبَعَنَا أَهْدَىٰ لِّلطَّرِيقِ﴾ [طه 48].

3 قال تعالى ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء 16].

4 المرجع نفسه، 1 / 182-183.

### المسلك الأول: دلالة السور على مقاصد بعضها :

للمفسر أن يعود إلى ما يسمى بالتناسب بين موضوعات السور القرآنية للدلالة على مقصودها ، ولقد أشار الشاطبي إلى هذا الأمر فقال : " وأول شاهد على هذا أصل الشريعة نفسها؛ فإنها جاءت مصححة لما أُفسد من ملة إبراهيم عليه السلام، ثم نزلت فيها سورة الأنعام مبيّنة لقواعد العقائد وأصول الدين من أول إثبات الربوبية إلى إثبات الإمامة. ثم لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان أول ما نزل سورة البقرة التي قررت قواعد التقوى المبنية على سورة الأنعام؛ فبيّنت العبادات والعبادات والمعاملات والجنايات وحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فكان غيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مبنياً عليها، كما كان غير سورة الأنعام من السور المكية مبنياً عليها، وإذا نظرت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب وجدتها"<sup>1</sup>.

فبناء مقاصد السور بعضها على بعض تتنوع أسسه ، وما ذكره الشاطبي هنا ، هو البناء على أساس التنزيل ويكون بمعرفة مراحل التنزيل وظروف كل سورة . وقد نجد تناسبات أخرى بين السور تدل على مقاصد بعضها البعض، كذلك التناسب الموجود بين سورة الفاتحة و سورة الأنعام و سورة الكهف وسورة سبأ و سورة فاطر حيث افتتحت بالحمد لله فما توجيه ذلك وكيف نستثمره في بيان الأغراض ، يقول ابن الزبير الغرناطي : "أم القرآن فهي أول السور و مطلع القرآن العظيم بالترتيب الثابت ، فافتتاحه بحمده تعالى بين ، وأما سورة الأنعام فمشيرة إلى إبطال مذهب الثنوية ومن قال بمثل قولهم .... و أما سورة الكهف

1 الموافقات، الشاطبي. 4/ 256.



فكذلك لبنائها على قصة أصحاب الكهف و ذكر ذي القرنين مما لم يتكرر في القرآن ..... و أما سورة سبأ فإن قصة سبأ لم يرد فيها أيضاً في غير هذه السورة إلا الإيحاء الوارد في سورة النمل " و جئتك من سبأ بنياً يقين " فلما تضمنت سبأ من هذا ما تضمنت ومن قصص داود و سليمان عليهما السلام و ما منحها الله تعالى من تسخير الجبال و الطير و الجن و الإناء الحديد ، ولم يجتمع مثل هذا التعريف في سواها .... و أما سورة فاطر ففيها التعريف بخلق الملائكة عليهم السلام و جعلهم رسلاً أولي أجنحة إلى خلق السموات و الأرض و إمساكها أن تزولا و انفراده بذلك و لم يقع هذا التعريف في غيرها من سور القرآن فناسب هذه المقاصد التي لم ترد في غير هذه السور " 1 .

ومثال آخر يذكره الرازي رحمة الله عليه عن سورة الإسراء ، الكهف ، مريم : " هذه السور الثلاثة المتعاقبة اشتملت كل واحد منها على حصول حالة عجيبة نادرة في هذا العالم ، فسورة بني إسرائيل اشتملت على الإسراء بجسد محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الشام وهو حالة عجيبة ، وهذه السورة اشتملت على بقاء القوم في النوم مدة ثلثمائة سنة وأزيد وهو أيضاً حالة عجيبة ، وسورة مريم اشتملت على حدوث الولد لا من الأب وهو أيضاً حالة عجيبة . 2

**المسلك الثاني: أثر العلم بالموقع الترتيبي للسورة في بيان مقصودها :**

1 ابن الزبير ،ملاك التأويل /1 150-154 .

2 الرازي ، مفاتيح الغيب ، 21 / 97

العلم بترتيب السورة القرآنية له أثر في بيان مقصودها ، وذلك من خلال استظهار علل وعلائق الترتيب ، و أفضل نموذج تطبيقي يمكن أن يساق هو ترتيب سورة الفاتحة وورودها في أول المصحف سهل على المفسرين معرفة مقاصدها ، فهي ليست إلا مقدمة وديباجة لباقي السور . فهي "فاتحة أبواب المقاصد في الدنيا و أبواب الجنان في العقبى .... لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المشابهات و يقتبس بسناها أنوار الآيات"<sup>1</sup>

فسورة الفاتحة بالنسبة للقرآن هي : "مفتحه و مبدؤه فكأنها أصله و منشؤه ... و تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه و تعالى و التعبد بأمره و نهيه و بيان و عده و وعيده أو على الجملة معانيه من الحكم النظرية و الأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم ...."<sup>2</sup>

ونفس المعنى يؤكد ابن الزبير الغرناطي بقوله : "قد ذكر الناس كيفية تضمنها مجملا لما تفصل في الكتاب العزيز بجملته ، وهو أوضح وجه في تقدمها سورة المكرمة"<sup>3</sup>

و أفضل مثال نوره كذلك عن السور الخاتمة للقرآن الكريم و هي سورة الإخلاص و المعوذتان :

قال ابن جزى الغرناطي : فإن قيل لم ختم القرآن بالمعوذتين ، وما الحكمة في ذلك ، فالجواب من ثلاثة أوجه :

<sup>1</sup> إسماعيل حقي ، روح البيان في تفسير القرآن 4 / 1

<sup>2</sup> البيضاوي ، أنوار التنزيل ، 1 / 2

<sup>3</sup> ابن الزبير ، البرهان في تناسب سور القرآن 77-78 .

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير الغرناطي : لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده و النعم مظنة الحسد ، فختم بما يطفى الحسد من الاستعاذة بالله .

الثاني : يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيها : أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط كما قال في فاتحة الكتاب : "لم ينزل في التوراة و لا في الإنجيل و لا في الفرقان مثلها" فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها ، واختتم بسورتين لم يرى مثلها ، ليجمع حسن الافتتاح و الاختتام ،... والوجه الثالث : يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ، ختم القرآن بالمعوذتين ، ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن... ليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره..<sup>1</sup>

العلم بالموقع الترتيبي يجعلنا نفسر السورة وفق ما جاورها من سور و وفق تلك الروابط الجامعة بين السورة وسبقها والسورة ولاحقها، وهناك تبرز الحاجة للتناسب الخارجي فيما يلي أمثلة ساقها العلماء مستثمرين المناسبات في بيان الأغراض .

فسورة النور مثلا جاءت بتكاليف تحمي المجتمع أخلاقيا و تضبط سلوكاته حيث أن الفرد لم يخلق سدى ، قال البقاعي : "لما ختم سبحانه سورة المؤمنون بقوله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون 118] فابتدأ

<sup>1</sup> ينظر ابن جزري ، التسهيل ، 4 / 455 .

سبحانه هذه السورة بأنه من على المخاطبين بيان ما خلقوا له من الأحكام لأنهم لم يخلقوا سدى، بل لتكاليف تعبدتهم بها ترفع التنازع وتحسم مادة الشر، فتوجب الرحمة والعطف بسلامة الصدر بما فيهم من الجنسية".<sup>1</sup>

ويقول في مطلعها سبحانه وتعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا

ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور 1]

والأمثلة في هذا الباب عند العلماء كثيرة جدا منها ما ساقه الرازي في مطلع تفسير سورة الحجرات فيبين علاقتها بما سبقها: "هو أن الله تعالى لما بيّن محل النبي عليه الصلاة والسلام وعلو درجته بكونه رسوله الذي يظهر دينه وذكره بأنه رحيم بالمؤمنين بقوله {رَحِيمٌ} التوبة: 128 قال لا تتركوا من احترامه شيئاً لا بالفعل ولا بالقول، ولا تغتروا برأفته، وانظروا إلى رفعة درجته الثالث: هو أن الله تعالى وصف المؤمنين بكونهم أشداء ورحماء فيما بينهم راعين ساجدين نظراً إلى جانب الله تعالى، وذكر أن لهم من الحرمة عند الله ما أورثهم حسن الثناء في الكتب المتقدمة بقوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: 29]، فإن الملك العظيم لا يذكر أحداً في غيبته إلا إذا كان عنده محترماً ووعدهم بالأجر العظيم، فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجاتكم وإحباط حسناتكم ولا تقدموا".<sup>2</sup>

1. البقاعي نظم الدرر، 5/229

2 الرازي، مفاتيح الغيب، 28/110

وميزة كتاب البرهان أنه في بيان مناسبات ترتيب السور فقط ، فقد اعتمد الترتيب المكاني للسور وهذا يلمس من خلال عنوان كتابه ، ولم يهمل التناسب بين الآيات مادامت تدخل في تحقيق التناسب بين السور ، فقد ذكرها تبعا للمناسبات بين السور في كتابه ملاك التأويل، و تناول علم المناسبات بالبيان لتوجيه المتشابه اللفظي.<sup>1</sup>

وفي نفس السياق يقول البقاعي بأن السورة السابقة للحجرات ختمت بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، ومدح أصحابه لأجله قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : 29] افتتح هذه باشتراط الأدب معه في القول والفعل للعد من حزبه والفوز بقربه، ومدار ذلك معالي الأخلاق، وهي إما مع الله سبحانه وتعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم أو مع غيرهما".<sup>2</sup>

1 ينظر ابن الزبير الغرناطي. البرهان في ترتيب سور القرآن 302، 303، ابن الزبير، ملاك

التأويل، 987-988/2.

2 البقاعي، نظم الدرر، 220 / 7

### المطلب الثاني المسالك المتعلقة بحال السورة :

وهي تلك المسالك التي تترجم فضائل السورة ، ظروف و بيئة تنزيلها و كل ما يتعلق بها من آثار و أقوال للصحابة والتابعين من شأنها أن تبرز المقاصد الخاصة بها .

### المسلك الأول: المكي والمدني و أثرهما في الكشف عن المقصود:

لقد تميز القرآن الكريم بنزوله مفرقا على مدار سنوات عديدة ، فكان من مستلزمات ذلك أن يعرف ظروف تنزيل مختلفة ، يراعى فيها خصائص المتلقي المتأثرة بالبيئة المحيطة به ، و أحواله الزمانية و المكانية، لذلك نجد عناية كبيرة من قبل المفسرين من أجل ضبط تلك الظروف ، لأن بمعرفتها نقف على حقيقة المعاني القرآنية المرجوة من التنزيل .فما حقيقة المكي والمدني ؟ وكيف يمكن استشاره كمسلك للكشف عن المقاصد القرآنية ؟ .

### حقيقة المكي و المدني :

لقد اعتنى الصحابة بمعرفة أماكن نزول القرآن الكريم عناية خاصة ، يقول الباقلاني : "فأما المكي و المدني من القرآن فلا شبهة على عاقل في حفظ الصحابة و الجمهور منهم إذا كانت حالهم و شأنهم في حفظ القرآن و إعظامه ، وقدره من

نفوسهم ما وصفناه لما نزل منه بمكة ثم بالمدينة ، والإحاطة بذلك و الأسباب و الأحوال التي نزل فيها و لأجلها ....<sup>1</sup>

ويؤكد الأمر ابن مسعود رضي الله عنه : "والله الذي لا إله غيره ، ما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، و لا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، و لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه "<sup>2</sup> .  
وحتى نضبط حقيقة المكي والمدني ، يجب أن نسوق أقوال العلماء في أسس تقسيمه لأن التعاريف تختلف باختلاف تلك التقاسيم ، فهناك من قال بأن المكي هو ما نزل بمكة و المدني ما نزل بالمدينة . وهناك من قال بأن المكي ما كان خطابا لأهل مكة والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة . وقيل أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد الهجرة .

التقسيم الأول والثاني تقسيمات غير منضبطة لأن هناك من القرآن ما نزل بغير المدينة أو مكة ، كتلك الآيات التي نزلت في زمن الغزوات ، وهناك من القرآن ما ليس بخطاب لأهل مكة ولا لأهل المدينة ، كخطاب النبي خاصة و خلاصة القول أن التقسيمين لا يحققان المكية والمدنية أي ثنائية التقسيم .<sup>3</sup>

أما التقسيم الأخير فهو الأضبط عند العلماء وخال من الاعتراضات ، فقسّمته ثنائية ، والمكي ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما المدني ما نزل بعد

1 أبو بكر الباقلاني ، الإنتصار 247 ، للقرآن ت: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم بيروت

<sup>2</sup> " .ينظر البخاري ، الجامع الصحيح ، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رقم

الحديث 5002 ،

<sup>3</sup> . ينظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، 1/ 187 ، فضل عباس ، إتقان البرهان ، 1/ 369 .

الهجرة النبوية حتى و إن نزل بمكة أو ما جاورها ، كقوله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم " مع اتفاهم أنها نزلت في عرفة إلا أنها من المدني . فقد لوحظ في هذا التقسيم مكان إقامة النبي صلى الله عليه وسلم.<sup>1</sup>

بعد ضبط تلك المصطلحات نعود إلى بيان أثر العلم بالمكي والمدني في بيان مقاصد السور القرآنية ، لقد استثمر المفسرون قديما العلم بالمكي والمدني في الكشف عن مقاصد السور القرآنية ، يقول ابن الجوزي : " اعلم أن السور المكية أكثرها في إثبات العقائد، والرد على المشركين ، و في قصص الأنبياء و أن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية و في الرد على اليهود و النصارى ، وذكر المنافقين ، و الفتوى في مسائل ، وذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم "<sup>2</sup>

ويؤكد المعنى السابق ابن القيم فيقول : الاعتناء في السور المكية إنما بأصول الدين ، من تقرير التوحيد و المعاد و النبوة ، وأما تقرير الأحكام و الشرائع فمظنة السور المدنية "<sup>3</sup>

وينقل لنا ابن تيمية كلاما نفيسا في الباب : "السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله إذا كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن يقر بأصل الرسالة ، و أما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة ، كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الكتاب ، و كفروا ببعض ، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله و رسله

1 فضل عباس إتيان البرهان ، 1 / 369 .

<sup>2</sup> ابن جزى ، التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزى 1 / 8 .

3 ابن القيم ، التبيان في أقسام القرآن 204



، ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الذين كالقابلة ، والحج .... وغير ذلك من تمام الدين " 1

ومن أفضل النماذج التطبيقية لهذا المسلك نجده عند شيخ المقاصد الإمام الشاطبي رحمة الله عليه في كتابه الموافقات ، حيث أنه استفاد من علمه بمكية السورة للدلالة على معانيها الكلية وعلى وحدة قضية السورة فيقول : "سورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة، وإن اشتملت على معان كثيرة فإنها من المكيات ، وغالب المكى أنه مقرر لثلاثة معان أصلها معنى واحد ، وهو عبادة الله تعالى : أحدها : هو تقرير الوحدانية لله الواحد الحق ، غير أنه يأتي على وجوه، كنفي الشريك بإطلاق ، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة من كونه مقربا إلى الله زلفى ، أو كونه ولدا... والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد ، وأنه رسول الله إليهم جميعا صادق فيما جاء به من عند الله .... والثالث : إثبات أمر البعث و الدار الآخرة ..... هذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر ، ..... وما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها ، فراجع إليها في محصول الأمر ... فإذا تقرر هذا و عدنا إلى سورة المؤمنين مثلا ، وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجوه ، إلا أنه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفار للنبوة التي هي المدخل للمعنيين الباقين ، وأنهم إنما أنكروا ذلك بوصف البشرية ، ترفعا منهم أن يرسل إليهم من هو مثلهم ، أو ينال هذه الرتبة غيرهم إن كانت ، فجاءت السورة تبين وصف

1 التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، 204

البشرية ، وما تنازعوا فيه منها ، وبأي وجه تكون على أكمل وجوها ، حتى تستحق الاصطفاء والاجتباء من الله ....<sup>1</sup>

من الضروري للمفسر أن يكون صاحب علم بخصائص القرآن المكي والمدني لأنه يستصحب ذلك معه عند البحث عن أغراض السور ، فإذا علم بمكية السورة أو مدنيها استطاع أن يحدد أهدافها و قضيتها العامة . "فمن المعلوم أن السور المكية أكدت على تقرير أربعة أمور: الإيمان بالله وحده ، الإيمان بالبعث بعد الموت ، الإيمان بالرسالات السماوية ، الدعوة إلى أمهات الأخلاق .

فإذا كانت السورة مكية فلا يخلو الأمر من أن يكون من أهدافها الأساسية هذه الأربعة مجتمعة أو متفرقة . و السور المدنية بالإضافة إلى تقرير ما سبق استهدفت بناء المجتمع الإسلامي على أساس من الإيمان و الطاعة والتشريعات التفصيلية في شؤون الحياة ، كما استهدفت حماية المجتمع الإسلامي من الأخطار الداخلية و الخارجية ، بكشف خطط المتآمرين الحاقدين الساعين في الأرض بالفساد من اليهود و المنافقين ، فلا تخلو سورة مدنية من قضية البناء ، أو الصيانة أو الحماية ....."<sup>2</sup>

### المسلك الثاني: فضائل السور كمسلك للدلالة على المقاصد:

سور القرآن الكريم ليست متساوية في الفضائل ، بل هي متفاوتة يتفاضل بعضها على بعض ، ولمعرفة فضائلها لابد من النظر في السنة النبوية ، فهي عادة ما تنقلها لنا ، ولا مجال للاجتهاد في تحصيلها . وهنا يمكن الإشارة لما وقع من بعض

<sup>1</sup> الشاطبي ، الموافقات 4 / 296 وما بعدها .

<sup>2</sup> مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، 43 ،

الزهاد في وضع أحاديث ترغب في سور بعينها من أجل أن يلتفت الناس للقرآن الكريم خاصة بعدما رأوا ابتعادهم عنه . وهذا حرام وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن عيسى الطباع قلت :لميسرة بن عبد ربه من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا كان له كذا قال :وضعتة أرغب الناس " وسئل نوح الجامع من أين لك عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة " 1 .

### في مسألة جواز التفاضل بين سور القرآن الكريم:

قبل الحديث عن أهمية أحاديث فضائل وكيفية توظيفها في بيان مقاصد السور لا بد من التفصيل في مسألة مهمة وهي حقيقة التفاضل بين السور و الأسس التي يقوم عليها ؟

لقد اختلف في جواز التفاضل بين السور ، فهناك من من أنكره باعتبار وحدة التشريع أي أن القرآن مصدره واحد وهو الله سبحانه وتعالى ، فكيف يتفاضل بعضه على بعض ؟

"فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري ، والقاضي أبو بكر ، وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى أنه لا فضل لبعض على بعض ، لأن الكل كلام الله ، وكذلك أسماؤه تعالى لا تتفاضل بينها . وروي معناه عن مالك ، قال يحيى بن يحيى :تفضيل بعض

1 السيوطي، الإتيان في علوم القرآن 2 / 198 .

القرآن على بعض خطأ ، وكذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها ، احتجاجوا بأن الأفضل يشعر بنقص المفضول ، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه.<sup>1</sup>

" وقال قوم بالترفضيل لظواهر الأحاديث ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب ، بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا ، وقيل بل يرجع لذات اللفظ ، وأن ما تضمنه قوله تعالى : وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (البقرة : 163 ، وآية الكرسي ، وآخر سورة الحشر ، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ، ليس موجودا مثلا في : تبت يدا أبي لهب [ المسد : 1 ] وما كان مثلها ، فالترفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها ؛ لا من حيث الصفة ، وهذا هو الحق.<sup>2</sup>

ومن قال بالترفضيل نجد إسحاق بن راهويه، وهو اختيار القاضي أبي بكر بن العربي وابن الحصار.<sup>3</sup>

فالترفضيل إذن واقع دلت عليه السنة النبوية التي أشارت إلى عظمة كثير من السور والآيات كسورة الفاتحة و آية الكرسي وغيرها ، و الأساس الذي عليه تم التفاضل هو تلك المعاني العظمية التي جاءت بها تلك السور ، إن للعلم بفضائل السور القرآنية أهمية بالغة في الدرس التفسيري بحيث يمكن أن يستثمر في بيان

1 الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، 68 / 2.

<sup>2</sup> القرطبي ، أحكام القرآن، 1 / 104

3 المصدر نفسه .

الخصائص المعنوية للسورة القرآنية وفي الإرشاد لمقاصد السورة وتوظيفها في الحقيقة ليس إلا توظيف السيرة النبوية في تفسير القرآن الكريم، وفي هذا الباب نجد أن البقاعي أشار لهذا المسلك وعده من مسالك الكشف عن مقصود السورة من خلال كتابه مصاعد النظر فقال: "وطريقة السلوك في تحصيله -مقصود السورة- جمع جميع فنون العلم، وأقل ما يكفي من كل علم: مقدمة تعرف باصطلاح أهله وما لا بد من مقاصده، ولا سيما علم السنة فكلما توغل الإنسان فيه عظم حظه من هذا العلم، وكلما نقص، نقص فلذلك أذكر كثيرا من فضائل القرآن، ولا سيما ما له تعلق بفضائل السور، ليكون معيناً على المقصود،..."<sup>1</sup>

فلو عدنا مثلاً لسورة الفاتحة، لوجدنا أحاديث عديدة سيقت لبيان فضائلها، ويمكن للمفسر أن يستفيد منها في بيان المقصود الكلي للسورة القرآنية، فلو سلمنا أن مقصود الفاتحة هو بيان طريق تحقيق العبودية لله تعالى. وهو أعلى المقاصد كلها و السورة لم تأت إلا مشيرة له متضمنة جميع مقاصد كتاب الله تعالى، قال ابن رجب: "إن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لدعائه الخلق إلى معرفته و توحيده، وعبادته ومحبته والقرب منه و الإنابة إليه، هذا هو مقصود الرسالة ولبها وقطب رحاها الذي تدور عليه، وما وراء ذلك فإنها مكملات و متممات ولو احق...."<sup>2</sup>

وهذا ما أكدته بقية الأحاديث الواردة في فضائلها. فهي من أعظم سور القرآن الكريم، فعن أبي سعيد بن المعلّى، قال: كُنْتُ أَصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

1 البقاعي، مصاعد النظر، 1/ 155-156.

2 ابن رجب، تفسير ابن رجب، جمع: سامي جاد الله، 27.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَانِي ، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّى ، ثُمَّ آتَيْتُهُ فَقَالَ : " مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي ؟  
" فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّيَ أَقَالَ " : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ سورة الأنفال آية 24 ثُمَّ قَالَ : " أَلَا  
أَعَلَّمَكُمُ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ؟ " قَالَ : فَذَهَبَ رَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْرُجَ فَذَكَرْتُهُ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ  
الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ<sup>1</sup> . "

قال البيضاوي : "وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحة ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه  
ولذلك تسمى أساسا ، أو لأنها تشمل على مل فيه من الثناء على الله سبحانه  
وتعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم  
النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والإطلاع على مراتب  
السعداء ومنازل الأشقياء " 2

كما ورد فضل الفاتحة في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ " ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ .  
فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ . فَقَالَ : افْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ  
عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . قَالَ اللَّهُ  
تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي  
، وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ قَالَ مَجْدَنِي ﴾ عَبْدِي . وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي ،

1 رواه الإمام أحمد ، مسند العشرة المبشرين بالجنة ، مسند المكين ، رقم الحديث : 15416 .

2 البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1 / 22

فَإِذَا قَالَ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ . قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ<sup>1</sup> .

"فهذه السورة مختصة بمُناجاةِ الرَّبِّ تعالى، ولهذا اختصت الصلاةُ بها، فإنَّ المصلِّي يُناجي رَبَّهُ، وإنَّما يُناجي العبدُ رَبَّهُ بأفضلِ الكلامِ وأشرفه، وهي مقسومةٌ بينَ العبدِ والرَّبِّ نصفين، فنصفُها الأوَّلُ ثناءٌ للرَّبِّ عزَّ وجلَّ، والرَّبُّ تعالى يسمعُ مُناجاةَ العبدِ له، ويردُّ على المناجِي جوابه ويسمعُ دعاءَ العبدِ بعدَ الثناءِ ويُجيبه إلى سؤاله، وهذه الخصوصيةُ ليستَ لغيرها من السُّورِ، ولم يثبت مثلُ ذلك في شيءٍ من القرآنِ إلا في خاتمةِ «سورة البقرة»، فإنَّها أيضًا من الكنز الذي تحت العرشِ، ويُجابُ الدعاءُ بها كدُعائِ الفاتحةِ، غيرَ أنَّ الفاتحةَ تمتازُ عليها من وجهين: أحدهما: الثناءُ أوَّلها وتلك لا ثناءَ فيها، وإنَّما فيها أخبارٌ عن الإيمانِ والفتحة تتضمَّنُه.

والثاني: أنَّ دعاءَ الفاتحةِ أفضلُ، وهو: هداية الصراط المستقيم الذي لا نجاة بدونه، وتلك فيها الدعاءُ بما هوَ من لواحقِ ذلك وتتماته، ولا يُمكنُ حُصولُه بدونِ هدايةِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ"<sup>2</sup>.

### المبحث الثالث : سورة الفاتحة دراسة لمقاصدها الكلية والجزئية :

من خلال هذا المبحث نحاول أن نبرز مقاصد سورة الفاتحة من خلال توظيف ما سبق من مسالك و قواعد ، خاصة و أن هاته السورة تتميز بمحوريتها ، وأنها أساس لباقي السور و منبع المعاني الكلية الواردة في القرآن الكريم .

1 رواه مسلم : كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، رقم الحديث : 395 .

<sup>2</sup> ابن رجب تفسير سورة الفاتحة 26-25

**المطلب الأول: أسماء السورة و الدلالة على مقصودها:**

لقد ورد لسورة الفاتحة أسماء كثيرة و عديدة ، وفي ذلك دلالة على شرف هاته السورة وشرف معانيها ، يقول الفيروز آبادي : " أعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي صلى الله عليه وسلم دلت على علو رتبته وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته"<sup>1</sup>، و سورة الفاتحة واحدة من أشرف سور القرآن الكريم لها أسماء عديدة أنها السيوطي إلى خمس وعشرين اسما وفي هذا مزية وإشارة لشرفها .2

**الفرع الأول: دلالة اسم فاتحة الكتاب :** عَنْ عَبْدِ بَنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"<sup>3</sup>.

سميت كذلك " لأنها يُفتح بكتابتها المصحف ، وبقراءتها الصلوات ، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب و القراءة<sup>4</sup>.

فهي المفتاح للقارئ و الكاتب و المعلم و المتعلم ، بل و الواقف بين يدي ربه .1

<sup>1</sup> الفيروز آبادي، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز 1/ 88.

<sup>2</sup> السيوطي ، الإثقان في علوم القرآن، 1/ 193 و ما بعدها .

<sup>3</sup> رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث رقم: 394

<sup>4</sup> الطبري ، تفسير الطبري ، 1/ 105.



ومن شأن المطالع أن تكون متميزة بالدلالة على المقصود و الإشارة للمراد ،و بالتالي فالفاتحة متضمنة لمقصود القرآن ككل .

الفرع الثاني : دلالة اسم أم القرآن و أم الكتاب<sup>2</sup> : دلت السنة النبوية الصحيحة عليها -عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : " أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيْدٌ أَوْلَيْكَ ، فَقَالُوا : هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ ، فَقَالُوا : إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا وَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا ، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأَمِّ الْقُرْآنِ ، وَيَجْمَعُ بَزَاقَهُ ، وَيَتْفَلُ ، فَبَرَأَ فَاتُوا بِالشَّاءِ ، فَقَالُوا : لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ

1 الرازي ،مفاتيح الغيب ،1/ 146. و في ذلك يقول : " سميت بذلك الاسم لأنه يفتح بها في المصاحف والتعليم ، والقراءة في الصلاة ، وقيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كلام على ما سيأتي تقريره".

ويقول القرطبي : " سميت بذلك لأنه يفتح قراءة القرآن بها لفظا و تفتتح بها الكتابة في المصحف خطأ ، و تفتتح بها الصلوات ". القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، 1/ 105 .

2 انكر ابن سيرين، و الحسن تسميتها بأَم الكتاب وقال الحسن أم الكتاب الحلال و الحرام ،إشارة لقوله تعالى : هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ [آل عمران 7]، وقيل أم الكتاب اللوح المحفوظ ، قال تعالى : وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمًا [الزخرف 4] قال ابن رجب : " وهذا لا يدل على منع تسمية الفاتحة بذلك. " ينظر ابن رجب، تفسير سورة الفاتحة ، 13 .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ ، وَقَالَ : وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَةٌ خُدُّوهَا  
وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ" .<sup>1</sup>

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا  
بِأُمِّ الْقُرْآنِ ، فَهِيَ خِدَاخٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ " .<sup>2</sup>

و عنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ  
وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي" .<sup>3</sup>

"سميت "أم القرآن" لتقدمها على سائر سور القرآن ، وتأخر ما سواها خلفها في  
القراءة والكتابة . وذلك من معناها شبيهه بمعنى فاتحة الكتاب . وإنما قيل لها -

بكونها كذلك - أم القرآن ، لتسمية العرب كل جامع أمرا - أو مقدم لأمر إذا  
كانت له توابع تتبعه ، هو لها إمام جامع - "أما" . فتقول للجلدة التي تجمع  
الدماغ : "أم الرأس" . وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش  
- "أما" .

ومن ذلك قول ذي الرمة ، يصف راية معقودة على قناة يجتمع تحتها هو  
وصحبه" .<sup>1</sup>

<sup>1</sup> أخرجه البخاري ، كتاب الطب ، باب الرقى بفاتحة الكتاب ، رقم الحديث 5736 .

<sup>2</sup> رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، حديث رقم : 395 .

<sup>3</sup> رواه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الحجر ، رقم الحديث : 3124 ، قَالَ أَبُو

عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

و في ذلك يقول الرازي عن " ابن دريد: الأم في كلام العرب الراية التي ينصبها العسكر ... - انتهى كلام ابن دريد - فسميت هذه السورة بأمر القرآن ؛ لأن مفزع أهل الإيمان إلى هذه السورة كما أن مفزع العسكر إلى الراية . والعرب تسمي الأرض أما ؛ لأن معاد الخلق إليها في حياتهم ومماتهم ؛ ولأنه يقال : أم فلان فلانا ، إذا قصده. " 2.

### الفرع الثالث : دلالة اسم السبع المثاني :

لقد ثبت هذا الاسم بالقرآن وبالأحاديث النبوية الصحيحة تعالى : **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** [الحجر 87] ، و عن أبي هريرة أن أبي بن كعب قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ**" 4.

1 الطبري ، مصدر سابق ، 105 / 1.

2 الرازي ، مصدر سابق ، 147 / 1.

3 الفاتحة سبع آيات و لا ينقل اختلاف في ذلك ، وإنما وقع الاختلاف في الآي التي صارت بها سبعا هل هي البسملة و به قال أهل الكوفة ، أم هي قوله تعالى : "أنعمت عليهم ". ينظر طه عابدين ، الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة ، 148 .

4 رواه الترمذي ، كتاب فضائل القرآن ، باب ومن سورة الحجر ، ، رقم الحديث 3138 . و قال عنه

حديث حسن صحيح

أختلف في ضبط معنى المثنى و سبب تسمية الفاتحة بها ، فقيل أن لأنها تكرر و تعاد في ركعة من الصلاة و تكرر معانيها في جميع سور القرآن الكريم<sup>1</sup> . وقيل : لأنها مثنى أي مقسمة ، نصفها ثناء على الله ، ونصف عطاء من الله لعبده . وهذا ما يؤكد الحديث الذي رواه أبو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ سورة الفاتحة ، قَالَ : مَجِدَّنِي عَبْدِي ، وَقَالَ : مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ، قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"<sup>2</sup> .

فالسورة إذن قسمين قسم يحقق لله الثناء الجميل ، وهو ليس إلا توطئة و مقدمة للقسم الثاني الذي هو دعاء المسألة والذي يتلخص في طلب الهداية إلى كمال العبودية<sup>3</sup> .

كما قيل أن معنى المثنى أنها تحقق الثناء للمعبود سبحانه و تعالى<sup>1</sup> . و في هذا إشارة لفضلها لكونها متعلقة بالذات الإلهية .

1 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ثني .

2 رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، رقم الحديث : 385 .

3 عبد العزيز السحيباني ، جوامع كلم القرآن و شواهد الإعجاز ، 61 .

## الفصل الثاني: مقاصد السور بين مسالك التوظيف والكشف:

كما قيل أن معنى المثاني أنها نزلت مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة المنورة<sup>2</sup>، وفي هذا إشارة لمنزلة معانيها التي كررت في النزول .

وقيل لأنها "استثنيت لهذه الأمة ، فلم تنزل على أحد قبلها ذخرا لها"<sup>3</sup>.

الفرع الرابع : دلالة اسم القرآن العظيم ، وقد ورد الاسم في كثير من الأحاديث و منها عن أبي هريرة أن أبي بن كعب قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنْ الْمَثَانِيِّ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الرازي ، مصدر سابق ، 1 / 146 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه .

<sup>3</sup> القرطبي ، مصدر سابق ، 1 / 106 . يؤكد هذا المعنى الحديث الذي رواه مسلم عن ابن عباس ، قَالَ : بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فَتُحِ الْيَوْمَ ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ : هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ ، لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ ، فَسَلَّمَ ، وَقَالَ : "أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَاهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ ، فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ ." كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا «بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، رَقْمُ الْحَدِيثِ : 806 .

<sup>4</sup> الفاتحة سبع آيات ولا ينقل اختلاف في ذلك ، وإنما وقع الاختلاف في الآي التي صارت بها سبعة هل هي البسملة و به قال أهل الكوفة ، أم هي قوله تعالى : "أنعمت عليهم ." ينظر طه عابدين ، الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة ، 148 .

<sup>5</sup> سبق تخريجه .

قال القرطبي سميت كذلك لأنها: " لتضمنها جميع علوم القرآن ، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله ، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانتة تعالى ، وعلى الابتغال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم ، وكفاية أحوال الناكثين ، وعلى بيانه عاقبة الجاحدين." <sup>1</sup>

لقد سميت الفاتحة بالقرآن لكونها جمعت مقاصده المفرقة في جميع سوره ، واختصرت معانيه .

ومن أسماؤها الصلاة ، دل عليه حديث أبي هريرة السابق. <sup>2</sup> وسميت بذلك: "لأنها من لوازمها فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه." <sup>3</sup>

ومن أسماؤها كذلك الحمد لأنها افتتحت به من جهة ، و من جهة أخرى نجد أن معنى الثناء و الحمد غالب عليها قال ابن رجب: " الثناء على الله سبحانه في هذه

<sup>1</sup> القرطبي ، مصدر سابق ، 1 / 106 .

<sup>2</sup> قال الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: " قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَضْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ سورة الفاتحة ، قَالَ : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَقَالَ : مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمُعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ، قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " سبق تخريجه .

<sup>3</sup> السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، 1 / 197 .

السورة هو المقصودُ الأعظم من سائر معانيها، وقد استوعب نحو شطرها، فهو الغالب عليها".<sup>1</sup>

من خلال قراءة لدلالة أسماء سورة الفاتحة نجد أن سورة الفاتحة هي جملة لمقاصد القرآن شاملة لجميع معانيه ، وهي مقدمة له ومن شأن المقدمات أن تحقق براعة الاستهلال وتشير إلى المقاصد والأغراض .

المطلب الثاني : المناسبات الخارجية لسورة الفاتحة و الدلالة على مقصودها :

الفرع الأول : العلم بموقها الترتيلي :

لقد أصل السيوطي لقاعدة مهمة في إثبات العلاقة بين سور القرآن والتي مفادها "كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها"، و من هنا كانت سورة البقرة شارحة لسورة الفاتحة بله ، جميع سور القرآن شارحة لسورة الفاتحة . وهذا ما دل عليه أسماء السورة القرآنية وكذا فعل الصحابة ، فنجد ابن مسعود رضي الله عنه قد سلك في كتابة مصحفه مسلكا خاصا حيث أنه ترك كتابة الفاتحة لكون كل سورة من القرآن تفصل مقصدا مقاصدها فكان لا بد من تكرار كتابتها في أول كل سورة<sup>2</sup> ، عن عبد بن حميد عن إبراهيم قال " : كان عبد الله بن مسعود لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف ، وقال : لو كتبتها لكتبت في أول كل شيء"<sup>3</sup>.

1 ابن رجب ، مصدر سابق ، 19 .

2 مجموعة من الباحثين ، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، 1 / 15 .

3 الشوكاني ، الفتح القدير ، 1 / 14 .

الفرع الثاني: العلم بأحوال نزولها:

لقد اختلف العلماء في تحديد مكان نزول الفاتحة ف قيل أنها مكية النزول<sup>1</sup> و قيل أنها مدنية<sup>2</sup>، وهناك من قال أنها نزل مرة بمكة و أعيد تنزيلها مرة أخرى بالمدينة، و قيل أن نصفها الأول نزل بمكة والنصف الثاني نزل بالمدينة<sup>3</sup>.

و الراجح من تلك الأقوال أنها مكية النزول، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿

وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ [الحجر 87]،

حيث أن سورة الحجر مكية بالاتفاق و قد أشارت إلى سورة الفاتحة<sup>4</sup> من خلال الحديث عن السبع المثاني<sup>5</sup>، كما أن الصلاة فرضت بمكة ولم ينقل أن هناك صلاة في الإسلام من غير الفاتحة<sup>6</sup>.

يقول ابن حجر "يستنبط من تفسير السبع المثاني بالفاتحة أن الفاتحة مكية وهو

قول الجمهور، خلافا لمجاهد. ووجه الدلالة أنه سبحانه امتن على رسوله بها،

1 نقل عن ابن عباس، وقتادة وبه قال جمهور المفسرين.

2 قال به مجاهد و أبو هريرة.

3 قال به أبو الليث السمرقندي.

4 عن أبي هريرة أن أبي بن كعب قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ"

5 قال الواحدي: "ولم يكن الله ليتمن على رسوله بإيتائه فاتحة الكتاب و هو بمكة، ثم ينزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بمكة بضع عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب، هذا مما لا تقبله العقول". الواحدي، أسباب النزول، 20.

6 القرطبي، مصدر سابق، 1/108.



وسورة الحجر مكية اتفاقا فيدل على تقديم نزول الفاتحة عليها ..... أغرب بعض المتأخرين فنسب القول بذلك لأبي هريرة والزهري وعطاء بن يسار ، وحكى القرطبي أن بعضهم زعم أنها نزلت مرتين "1 .

**المطلب الثالث : تقسيم السورة إلى مقاصد جزئية :** لقد أشارت سورة الفاتحة لمجموعة من المقاصد الجزئية والتي تكون في الأخير مقصود السورة الكلي .

**أولا : التعرف على المعبود سبحانه وتعالى :**

حيث افتتحت السورة بتعريف شامل لله سبحانه وتعالى ، حيث ابتدأت بحمد يليق بجلال عظمته و بشؤون ربوبيته، و ذكرت صفاته بأنه رب العالمين من إنس و جن و ملائكة و رب السموات و الأرضيين وما فيهن من مخلوقات ، و لا حياة من غير رحمة الله الشاملة ، و حتى الخاصة المستدل عليها باسمه الرحيم . صاحب الحكم بين العباد الفاصل بقضائه بينهم يوم لا لتتفع شفاعة إلا بإذنه سبحانه و تعالى .<sup>2</sup>

قال ابن القيم : "اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال ، و تضمنها أكمل تضمن ... فاشتملت على التعريف بالمعبود بثلاثة أسماء مرجع الأسماء الحسنی و الصفات العليا و مدارها عليها وهي الله ، والرب ،

1 ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، 9 / 643 .

2 فريد الأنصاري ، مجالس القرآن ، 2 / 25-26 .

والرحمن و بنيت على الإلهية و الربوبية و الرحمة ..... و الحمد يتضمن الأمور الثلاثة فهو المحمود في إلهيته ، و ربوبيته ، و رحمته ...<sup>1</sup>.

ثانيا : الدعوة لتحقيق العبودية لله تعالى :

بعد التعرف على المعبود سبحانه وتعالى انتقلت الآيات للإشادة بضرورة العبادة و جعلها خالصة لله سبحانه وتعالى و كذلك الاستعانة به في أمور الحياة .

ف"إذا أتم الحامد حمد ربه يأخذ إليه بإظهار الإخلاص له انتقالا من الإفصاح عن حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على العبد من إفراده بالعبادة و الاستعانة .."<sup>2</sup>.

"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" هي الآية الجامعة لمعاني سورة الفاتحة بل معاني القرآن ككل و أضاف ابن تيمية أنها جامعة " لمعاني الكتب المنزلة من السماء "3 و في هذا إشارة لتلك المقاصد المشتركة بين الرسائل السماوية الثابتة.

ونفس المعنى أشار له ابن قيم "عليها مدار العبودية و التوحيد"4 و ما أرسلت الرسل و أنزلت الكتب إلا " لدُعائه الخلق إلى معرفته و توحيده، و عبادته و محبته

1 ابن قيم ، مدارج السالكين ، 1 / 21 .

2 ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 1 / 177 .

3 ابن تيمية ، دقائق التفسير ، 1 / 212 .

4 ابن قيم ، مدارج السالكين ، 1 / 77 .

والقرب منه والإنابة إليه؛ هذا هو مقصود الرسالة ولبها وقطب رحاها الذي تدور عليه، وما وراء ذلك فإنها مكملات ومتممات ولو اُحق؛ فكل أحد مفتقر إلى معرفة ذلك علماً، والإتيان به عملاً، فلا سعادة للعبد ولا فلاح ولا نجاة بدون هذين المقصدين.<sup>1</sup>

ثالثاً: التعرف على الطريق الموصل إلى الله سبحانه وتعالى:

"أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾".

و كأن تحقيق الهداية هي ثمرة لكل ما سبق من آيات سابقة في السورة، وهي ثمرة المعرفة بالله سبحانه وتعالى وتحقيق التوحيد والعبودية له بما يستحق.

فأصحاب المناجاة أن لهم الشروع في تحصيل حظوظهم الشريفة من تحصيل النعمة وتحقيق الهداية الموصلة لله سبحانه وتعالى، لأنه هو العارف بالطريق إليه وبكل ما يرضيه سبحانه وتعالى و بإتباع منهج الصالحين واجتناب طريق الضالين.

المطلب الرابع: المقصود الكلي لسورة الفاتحة:

قبل الحديث عن مقصود السورة الكلي يجب الإشارة إلى نقطة مهمة تتمثل في بيان المنهج الذي سار عليه كثير من العلماء لإثبات مقصود الفاتحة، فكثير منهم انطلق من كون أن السورة جملة لمقاصد القرآن الكريم والتي هي في الحقيقة إثبات لمعان

1 ابن رجب، تفسير سورة الفاتحة، 28.

فصلها البعض و أجملها البعض الآخر وهي إثبات التوحيد و النبوة و المعاد . و في ذلك يقول الرازي مثبتا تلك العلاقة: " المقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات ، و المعاد ، و النبوات ، و إثبات القضاء و القدر لله تعالى ، فقوله :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ ، يدل على الإلهيات ،

وقوله: ﴿مَنْ لِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾﴾ دل على المعاد ، وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾﴾ يدل على نفي الجبر و القدر ، و على إثبات أن الكل بقضاء

الله و قدره ، وقوله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾﴾ يدل أيضا على إثبات قضاء الله و قدره

و على النبوات ، و سيأتي شرح هذه المعاني بالاستقصاء ، فلما كان المقصد الأعظم

من القرآن هذه المطالب الأربعة ، و كانت هذه السورة مشتملة عليها لقبتم بأهم

القرآن. <sup>1</sup>

فمن استقراء القرآن أثبت المقاصد الأربع و التي بدورها أشارت لها سورة الفاتحة

و التي دلت عليها أسماؤها و خاصة أم القرآن فكأن العلاقة بينها علاقة توالد .

كما نجد أن الطوفي سلك نفس منهج الرازي فانطلق من مقاصد القرآن و حاول

نسبتها للسورة الأم فقال: "القرآن مشتمل على مقاصد الإيمان ، وهي التصديق

بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر ، و القدر خيره و شره .... وهذا هو

مقصود القرآن بالذات و هذه المقاصد كلها مشار لها في سورة الفاتحة .

أما الإيمان بالله ففي قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإن إيجاب الحمد لله عز و جل يقتضي أنه موجود مستحق له.... وأما الإيمان بالملائكة فهو في ضمن قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. و أما الإيمان بالكتب فقد تضمنه قوله عز وجل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ و أما الإيمان بالرسول فقد تضمنه... قوله عز وجل: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.... أما الإيمان باليوم الآخر: ففي قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

و أما الإيمان بالقدر: ففي قوله عز وجل: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.<sup>1</sup>

لقد اتفق أهل التفسير على اعتبار سورة الفاتحة متضمنة لمقاصد القرآن غير أنهم اختلفوا في إحصاء تلك المقاصد و الملاحظ هو تركيزهم على المسالك الخارجية دون التأكيد على تلك المسالك الداخلية خاصة قاعدة مراعاة مراتب الأجزاء القرآنية التي أشار لها المشدالي، ولعل مقصود السورة هو: تحقيق العبودية لله تعالى الذي يتضمن إثبات صفات الكمال له لكونه مستحق لذلك و اختصاصه بهداية الخلق، وهذا الذي ذكر قريب من قول البقاعي رحمة الله عليه: " فالغرض الذي سبقت له الفاتحة وهو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، وباستحقاق العبادة والاستعانة، بالسؤال في

<sup>1</sup> الطوفي، إيضاح البيان عن معنى أم القرآن، 17، 18.

المن بالزام صراط الفائزين والإنقاذ من طريق الهالكين مختصا بذلك كله، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم، لإفراجه بالعبادة، فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسائل إليه، فإنه لا بد في ذلك من إثبات إحاطته تعالى بكل شيء ولن يثبت حتى يعلم أنه المختص بأنه الخالق المالك، لأن المقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب نصب الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق والمقصود من جمعهم تعريفهم الملك وبما يرضيه، وهو مقصود القرآن الذي انتظمت الفاتحة بالقصد الأول".<sup>1</sup>

فالله خلق الإنسان من أجل مهمة عظيمة وهي تحقيق العبودية له، وجميع ما يدور في القرآن من معاني إنما هو خادم له، وكل ما فيه مقاصد هو متفرع عنه. "فالقرآن شأنه أن يبيث هذا المعنى الكلي... من خلال جميع ما يعرضه من الأبحاث و الموضوعات المختلفة من تشريع و وعد و وعيد و قصة و أمثلة و وصف".<sup>2</sup> و هنا نشير لتلك المعاني المستفادة من دلالة أسماء الفاتحة من كون معانيها كالروح السارية في جميع أجزائه، و متكررة في جميع سورته، و مقاصدها تؤم باقي مقاصد القرآن، إلى درجة أنها اختصرته فدلّت عليه باسمه، فكانت الفاتحة القرآن العظيم.

تشير الفاتحة إلى مجموعة من المقاصد التي يمكن تسميتها بمقاصد تبعية جزئية

1 ينظر مبحث أنواع مقاصد القرآن .

2 البوطي، من روائع القرآن، 121، 163.

## الفصل الثاني: مقاصد السور بين مسالك التوظيف و الكشف:

---

كتعليم الداعية و الخطيب شروط التقديم ، منها ضرورة الإيجاز دفعا لملل النفوس بطول انتظار المقصود .

الدلالة على براعة الاستهلال و ضرورة التلميح للمقصود .

الدعوة لإجمال المقدمات تحصيلًا لجوامع الكلم<sup>1</sup>.

---

1 ابن عاشور، مرجع سابق، 1/153.

الخاتمة



الحمد لله الذي من بالحثام ، ونسأله أن يمن بالقبول التمام .

و بعد :

هذه الرسالة الموسومة بمقاصد السور القرآنية ، جاءت لتجيب عن إشكالات عديدة أهمها : ضبط مصطلح مقاصد السور ، إظهار مكانته عند العلماء من خلال ضبط مسالك توظيفه و قواعد اعتباره .

لقد أظهرت هاته الدراسة مايلي :

- مقاصد السور من فنون القرآن المعتمدة عند العلماء من جيل الصحابة إلى يومنا هذا .  
- مساهمة علماء التفسير في بيان المقاصد العامة في القرآن و التي يمكن إجمالها في مقاصد الاعتقاد و مقاصد التشريع .

- كان لعلماء الجزائر مشاركة متميزة في هذا الباب من خلال ذلك المسلك الكاشف عن الأغراض القائم على النظر في مرتبة الأجزاء .

- المقاصد القرآنية أنواع عديدة يخدم بعضها البعض .

- المقاصد القرآنية إذا ارتقت إلى القطعية رفعت الكثير من الخلاف الواقع في أبواب التفسير ، كالترجيح عند تزامم المعاني ، و توجيه المعاني عند التشابه ، وحتى الترجيح عند تعارض الأدلة النقلية المتعلقة بالمكي والمدني وحتى أسباب النزول .

- من أجل الإرتقاء بمقاصد السور القرآنية لأداء دورها في العملية التفسيرية . يجب أن تضبط بمسالك بعضها متعلق بالنص تحكمه المناسبات الداخلية والخارجية ، و كذا مسالك متعلقة بأحوال السورة كالعلم بزمان نزولها ، والعلم بفضائلها .

- هاته المسالك المشار إليها يستدل بها على هيئة التظافر من أجل تحقيق القدر المشترك والمعنى الغالب .

- سورة الفاتحة من السور الرائدة في الدلالة على مقاصد القرآن الكريم بجميع أنواعها وهي تحتاج لمزيد من الدراسة من أجل كشف أغوارها .

إن هذه الدراسة فتحت آفاقا عديدة من شأنها خدمة النص القرآني ، وهي كما يلي :

- الاهتمام بتحصيل مناهج العلماء في الكشف عن مقاصد القرآن عامة

ومقاصد السور خاصة من المدونات الرائدة في هذا المجال كمفاتيح الغيب ،

والتحرير والتنوير ، في ظلال القرآن ، نظم الدرر .

- ضرب المقارنات بين مناهج العلماء في الكشف عن مقاصد السور . القيام

بدراسات نقدية لعلم النص الحديث من أجل إبراز مكانة المناهج الشرعية .

- القيام بدراسات علمية من أجل القعيد لعلم المقاصد الجامع لكل الفنون

المختلفة ، من قرآن و سنة ، تشريع ، وعقائد .

-الدعوة لتجميع الجهود من أجل دراسة متأنية للمقاصد الخاصة لجميع سور القرآن

الكريم .

-الاهتمام بالتراث الجزائري في التفسير وبيان مدى تأثيره في فن مقاصد السور .

الفهارس :

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

## فهرس الآيات

### فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	رقمها	الصفحة
1	أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	الفاتحة	2-1	-207
2	مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ	الفاتحة	4	208-207
3	إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	الفاتحة	5	208-207
4	أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾	الفاتحة		207-206 27
5	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ	البقرة	21	156
6	وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا	البقرة	24	93، 72
7	كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ	البقرة	28	156
8	يَسْبِيَّ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ	البقرة	40	20
9	وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ	البقرة	47	20
10	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا	البقرة	104	23
11	وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ	البقرة	124	130
12	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن	البقرة	-143 ،144 146	21



فهرس الآيات

142	6	آل عمران	هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ	13
114	40	آل عمران	قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ	14
115	47-45	آل عمران	قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ	15
23	46	النساء	مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَاخْرَفُونَ الْكَلِمَ	16
29	3	المائدة	:الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ	17
77	48	المائدة	لِكُلِّ إِذْ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا	18
64	62	المائدة	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ	19
30	108	الأنعام	اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ	20
155	138	الأعراف	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ	21
143	1	التوبة	بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ	22
63	42	التوبة	لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ	23
96	49	التوبة	وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي	24
96	61	التوبة	وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ	25
130	49	يونس	قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا	26



فهرس الآيات

93	13	هود	أَيَقُولُونَ أَفَأَنزَلْنَا قُرْآنًا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ	27
203	87	الحجر	وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي	28
62	9	النحل	وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِرٌ	29
58	89	النحل	وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ	30
145	120	النحل	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا	31
11	59	الإسراء	وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا	
72	88	الإسراء	قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ	33
141	1	الكهف	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ	34
159، 142	2-1	مريم	كَهَيْعِصٍ ۝ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ	35
159، 114	9	مريم	قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ	36
159، 115	21-18	مريم	قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا	37
159	29	مريم	فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا	38
159	45-44	مريم	يَتَأْتِيَ لَّا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ	39



فهرس الآيات

159	50	مريم	وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا	40
159	58	مريم	أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ	41
159	88-85	مريم	يَوْمَ حَشُرَ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدَا	42
160	93-91	مريم	أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا	43
158	1-2	الأنبياء	أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرَضُونَ	44
158	7	الأنبياء	وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ	45
158	10	الأنبياء	لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ	46
158	24	الأنبياء	أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلهةً	47
158	48	الأنبياء	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ	48
158	50	الأنبياء	وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ	49
158	105	الأنبياء	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ	50
101	12-16	المؤمنون	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ	51



فهرس الآيات

168	118	المؤمنون	وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ	52
169	1	النور	سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا	53
13	32	الشعراء	فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ	54
13	12	النمل	وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ	56
11	51-50	العنكبوت	لَوْلَا أَنْزَلْنَاكَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ	57
62	19	لقمان	وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ	58
63	32	لقمان	وَإِذَا عَشِيتُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْلِ دَعُوا اللَّهَ	59
147	3-1	سبأ	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	60
147، 148	54-52	سبأ	وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ ءِ وَأَنْى لَهُمُ التَّنَافُسُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ	61
64	32	فاطر	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا	62
169، 170	29	الفتح	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ	63
150	2-1	الحجرات	يَنبَأُهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ	64



فهرس الآيات

			وَرَسُولِهِ <sup>ص</sup>	
151، 150 152،	12-3	الحجرات	إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ	65
22، 152	18-13	الحجرات	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	66
9	34	الطور	فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ	67
113	34	النازعات	فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى	68
113	33	عبس	فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ	69
120	8-1	التين	وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ	70

أطراف الحديث: :صفحة:

أ

- أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّوَا عَلَيَّ.....196،97.
- اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ.....148.
- : احشُدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ .....100.
- أَمْسِكْ عَلَيَّ سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَأَمْسِكْتُهَا عَلَيْهِ.....102.
- إِذَا سَأَلَ أَحَدَكُمْ صَاحِبَهُ كَيْفَ يَقْرَأُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا.....102.
- الَّتِي تَسْمُونَ سُورَةَ التَّوْبَةِ هِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ.....103.
- قَلْتُ هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ لَهُ .....105.

ت

- تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ.....87.

ح

- الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمَّ الْقُرْآنِ وَأُمَّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي.....197.

ص

صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ.....148

ف

فقرأ من سور شتى.....95

ق

قلت لابن عباس سورة التوبة.....103.

قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ.....193، 199.

القصد القصد تبلغوا.....71.

ل

لَمَّا نَزَلَتْ آخِرُ الْبَقْرَةِ ، قَرَأَهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ.....148.

لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ.....195، 97.

م

مِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ حُكْمًا أَوْ حُكْمَيْنِ.....134.

" مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي ؟.....192.

مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ.....94.

" مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمَّ الْقُرْآنِ ..... 193

و

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ ..... 198،200

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ..... 99

والذي لا إله غيره ما في كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم ..... 102

ي

يا عمر ألا تكفيك آية الصيف ..... 93.147

يا بلال ، مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ..... 4



# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

- أبوجيب، سعدي ، القاموس الفقهي ، لغة و اصطلاحا ، دمشق : دار الفكر  
1408هـ، 1988م .
- الإسكافي أبي عبد الله ، درة التنزيل وغرة التأويل ، ت: محمد آيدين ، جامعة أم القرآى ط: 1  
، 1418هـ ،
- ابن أبي الإصبع المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر و بيان إعجاز القرآن، ت :  
حفني محمد شرف ، مصر : لجنة إحياء التراث .
- ابن تيمية ، تقي الدين ابن العباس ، الفتاوى الكبرى جمع عبد الرحمان بن محمد بن القاسم  
، المدينة المنورة : 1425-2003 مجمع الملك فهد .
- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، محمد الجليند ، دمشق : مؤسسة علوم القرآن  
، ط: 2 1404 هـ ، 1984 .
- أبو بكر ، بن عبد الرزاق ، المصنف ، ت : حبيب الرحمن الأعظمي ، من منشورات المجلس  
العلمي .
- أبو حيان ، أثير الدين الأندلسي ، البحر المحيط ، دار إحياء التراث .
- أحمد بن حنبل : المسند، ت: أحمد شاكر ، القاهرة : دار الحديث ، ط: 1، 1416هـ، 1995م .
- ابن جزري ، محمد بن أحمد الأندلسي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، تحقيق : محمد سالم هاشم ،  
بيروت : دار الكتب العلمية ، ط: 1، 1415هـ-1995م .
- ابن الجوزي، محمد، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، ط: 3،  
1404هـ، 1984م .
- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي ، تقريب التهذيب ، خدمه : وافية محمد عوامة ، حلب



## قائمة المصادر والمراجع

- ، دار الرشيد ، ط : 4 ، 1412 هـ ، 1992 م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار طيبة ط : 1462 ، 1 هـ ، 2005 م .
- ابن حزم ، علي بن أحمد الأندلسي ، الإحكام في أصول الأحكام ، القاهرة : دار السعادة ، ط : 1345 ، 1 هـ ، 1947 م .
- ابن عاشور ، محمد الطاهر ، أصول النظام الإجتماعي في الإسلام ، تونس : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط : 2 .
- التحرير والتنوير ، تونس : دار سحنون ، 1417 هـ ، 1997 م .
- مقاصد الشريعة الإسلامية ، المطبعة التونسية .
- ابن عطية ، أبو محمد عبد الحق ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت : عبد السلام عبد الشافي ، بيروت : درا الكتب العلمية ، ط : 1 ، 1422 هـ - 2001 م .
- أبو عيسى ، فضل ، الحروف المقطعة في أوائل السور ، إشراف : محسن سميح الخالدي ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة النجاح نابلس ، 2003 م .
- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد : معجم مقاييس اللغة ، ت : عبد السلام هارون ، بيروت : دار الجيل .
- ابن القيم ، أبو عبد الله محمد ، بدائع الفوائد ، ت : علي بن محمد عمران ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .
- إعلام الموقعين ، ت : محمد عبد السلام ، بيروت : دار الكتب العلمية ط : 1 ، 1411 هـ ، 1991 م .
- بدائع التفسير الجامع لما فسرہ الإمام ابن قيم الجوزية ، جمعه يسري السيد محمد و صالح



- أبو عبيد السلام، القاسم، فضائل القرآن و معالنه و آدابنه، ت: أحمد الخياطي.
- أبو ليلة، محمد، القرآن الكريم من المنظور الإستشراق دراسة نقدية تحليلية، ط:1، القاهرة: دار النشر للجامعات. 1423هـ-2002م.
- ابن مريم، البستان في الأولياء و العلماء بتلمسان، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1326هـ-1908م.
- محمد بدوي، المنهجية في البحوث و الدراسات الأدبية، عن دار المعارف 1998م.
- الباقلاني، أبو بكر، الانتصار للقرآن، ت: محمد عصام القضاة، بيروت: دار ابن حزم.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الرياض: دار السلام، ط:2، 1419هـ، 1999م.
- أحمد بزوي، نسقية السورة القرآنية دراسة في تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، منشورات جامعة شعيب الدكالي، ندوة التفسير الأدبي للقرآن الكريم، مارس 2005.
- البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط:1، 1415هـ، 1995م.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ت: عبد السميع حسنين، الرياض: مكتبة المعارف. 1408هـ، 1987م.
- بكري، الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط:4، 1400هـ، 1980م.
- البيهقي، أبو بكر، شعب الإيمان، ت: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد: ط:1، 1423هـ، 2003م.
- البوطي، سعيد رمضان، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، 1420هـ 1999م.



## قائمة المصادر والمراجع

- الترمذي ، أبو عبد الله ، السنن ، اعتناء أبو عبيدة آل سلمان ، الرياض : مكتبة المعارف
- التبكتي ، أحمد بابا ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، ت : عبد الحميد الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية .
- جهلان محمد ، فعالية القراءة و إشكالية تحديد المعنى في النص القرآني ، دمشق : دار صفحات ، ط:1، 2008 م .
- الحاكم ، أبو عبد الله المستدرک علی الصحیحین ، دار الحرمین للطباعة ، ط:1، 1417 هـ، 1997 م .
- جنبكة ، الميداني ، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ، ط:2، دمشق : دار القلم 1409 .
- حامدي ، عبد الكريم ، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام ، بيروت : دار ابن حزم ، ط:1 ، 1429 هـ - 2008 م .
- إسماعيل حقي ، روح البيان في تفسير القرآن ، بيروت : دار الفكر .
- حمادي إدريس ، الخطاب الشرعي و طرق استثماره ، الدار البيضاء : المركز الثقافي .
- الحمصي ، نعيم ، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ، ط:2 ، 1400 هـ، 1980 م .
- الحسن ، بوتيا ، القراءة الأدبية للقرآن في ضوء المنهج التاريخي ، مراكش : المطبعة الوطنية ، ط:1 .
- خليل ، صالح الطائي ، الأساليب القرآنية في عرض العقيدة ، دار النهج ، ط:1 1429 هـ .
- الخالدي ، صلاح عبد الفتاح إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني ، ، الأردن : دار عمارة ، ط:1، 2000 هـ، 1421 م .



- القزيني ، الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ت: عبد المنعم الخفاجي ، القاهرة  
:1413هـ، 1993م.
- محمد دراجي ، تجديد مناهج التفسير ضرورة ملحة ، مقال بمجلة الصراط الصادرة عن كلية  
أصول الدين العدد :4، مارس: 2011م .
- دراز ، عبد الله ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، الكويت : دار القلم .  
الدقور، سليمان ، اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني ، جامعة اليرموك الأردن ، .  
1426 هـ .
- عبد الرحمان الدهش ، الأقوال الشاذة في التفسير، بريطانيا : مجلة الحكمة ، ط:1، 1425هـ  
، 2004م .
- رحماني إبراهيم ، النظم القرآني و أثره في أحكام التشريع ، ط:1، 1431هـ، 2010م .
- رحماني أحمد ، مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي ، إريد : دار الكتاب  
الحديث ، ط:1، 1429هـ، 2008م .
- الراغب أبو القاسم الأصفهاني ، في غريب القرآن ، ت :محمد سيد كيلاني بيروت : دار  
المعرفة .
- الرومي ، فهد ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ، الرياض ،  
ط:1، 1403هـ، 2، 1983م، 224 .
- رضا محمد رشيد ، الوحي المحمدي ، ط:3، مؤسسة عز الدين للطبع والنشر .  
رمضان ، يحيى ، القراءة في الخطاب الأصولي ، الأردن 1432هـ، 2011م .
- الريسوني ، أحمد ، نظرية المقاصد عند الشاطبي ، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،



1416هـ، 1995م .

الزرقاني عبد العظيم ، مناهل العرفان ، ت : فؤاد أحمد زمري ، دار الكتاب العربي .  
الزنجشري ، محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في  
وجوه التأويل ، ت : مصطفى أحمد ، دار الكتاب العربي .

أساس البلاغة ، ت : محمد عيون السود ، بيروت : دار الكتب العلمية .

الزركشي ، بدر الدين بن جماعة ، البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، 1410هـ ، 1990م .

سامر رشواني ، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، دار الملتقى ، 1430هـ ، 2009م

السبحاني ، محمد عناية الله ، إمعان النظر في نظام الآي والسور ، الأردن : دار عمار ، ط : 1 ،  
1424هـ ، 2003م .

السخاوي ، شمس الدين ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت : دار الجيل  
ط : 1 ، 1412هـ ، 1992م .

محمد الشربجي ، الإمام السيوطي وجهوده في في علوم القرآن ، ، دمشق : درا المكتبي ط : 1 ،  
1421هـ ، 2001م .

سامي ، العجلان ، الوحدة السياقة للسورة القرآنية في القرنين الثامن والتاسع ، مطبوعات  
جامعة الإمام محمد بن سعود ، 1430هـ ، 2009م .

سعد محمود توفيق ، العزف على أنوار الذكر ، القاهرة : مكتبة وهبة  
ط : 1 ، 1424هـ ، 2003م .

السيوطي ، جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ، دار الكتاب العربي ، 1419هـ ، 1999م .



- أسرار ترتيب سور القرآن ، ت: رضى فرج الهمامي، بيروت : المكتبة  
العصرية، ط:1، 1424هـ، 2003م .
- أسرار ترتيب سور القرآن الكريم ، تحقيق عبد القادر عطا ، ط:1398، 2هـ،  
1978م . دار الاعتصام . 65-66 .
- طبقات الحفاظ ، بيروت : ط:1، 1403هـ، 1938م .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: عبد الله التركي ، القاهرة : ط:1، 2003-  
1424هـ .
- قطف الأزهار وكشف الأسرار، ت: أحمد الحمادي ، منشورات وزارة الأوقاف  
القطرية، ط:1414هـ، 1994م .
- السامرائي، فاضل، التعبير الفني في القرآن ، دار عمار ، ط:4، 2006م .
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الموافقات في أصول الشريعة ، دار ابن عفان ،  
1424هـ، 2003م .
- شلتوت، محمود، إلى القرآن ، القاهرة : دار الشروق، 1403هـ - 1983م .
- الشوكاني ، محمد بن علي: الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، عالم  
الكتب .
- الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار المعرفة .
- البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع ، ت: حسن بن عبد الله عمري، بيروت : دار  
الفكر .



- البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع ، ط: 1 ، القاهرة: 1348 هـ .
- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد و المعاد و النبوات . بيروت : دار الكتب العلمية  
ط: 03 ، 1404 هـ - 1984 م .
- صبحي صالح ، مباحث في علوم القرآن ، بيروت : دار العلم للملايين ، ط: 10 ، 1977 م .
- محمد بن علي الصبان ، حاشية على شرح السلم للملوي ، القاهرة : مطبعة الحلبي ، ط: 2  
1938 م - 1357 هـ ، ، ، 35 .
- عبد العزيز السحيباني ، جوامع كلم القرآن و شواهد الإعجاز ، منشورات جامعة الإمام محمد بن  
سعود ، 1429 هـ - 2008 م .
- شيخون ، محمد ، الإعجاز في نظم القرآن ، القاهرة : ط: 1 مكتبة الكليات الأزهرية ، 1398 هـ .
- الشخص محمد ، براعة الاستهلال و التخلص و حسن الختام في شعر الخنساء دراسة بلاغية ،  
دراسة على موقع جامعة الملك سعود .
- الطبري ، ابن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ت: عبد الله التركي ، دار هجر .
- الطوفي سليمان ، إيضاح البيان في معنى أم القرآن ، ت: علي حسين البواب ، ط: 1419 هـ - 2000 م  
، الناشر : مكتبة الثقافة الدينية .
- فضل عباس ، إتقان البرهان في علوم القرآن ، عمان : دار الفرقان ، ط: 1997 م .
- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ، نقد مطاعن و رد شبهات ، ط: 2 ، دار البشير  
1410 هـ ، 74 .
- فضل عباس ، سناء عباس ، إعجاز القرآن الكريم .
- الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ت: محمد علي النجار ، بيروت  
: المكتبة العلمية .



- فريد النصاري ، مجالس القرآن ، منشور على موقع الفطرية .
- الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، المكتبة الشيعية على الأنترنت .
- القشيري ، أبي القاسم عبد الكريم ، لطائف الإشارات ، إبراهيم البسيوني مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- عتر، نور الدين : علوم القرآن الكريم ، دمشق: دار الصباح ، ط:6، 1416هـ 1996م .
- العضراوي ، عبد الرحمن ، محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح و التجديد في الفكر الإسلامي رؤية معرفية ، أسئلة الإصلاح و أجوبة المقاصد ، 137، الأردن 2010 .
- عابدين طه ، الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة، مقال منشور بمجلة أم القرى لعلوم الشريعة و الدراسات الإسلامية .، العدد :45 .
- الغزالي ، أبو حامد ، جواهر القرآن ، ت: محمود ديبجو ، دار التقوى ، 2010م .
- المستصفي من علم الأصول ، ت : محمد سليمان الأشقر ط:1، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1417هـ، 1997م .
- الغزالي ، محمد ، كيف نتعامل مع القرآن ، الجزائر : دار المعرفة .
- الغزالي محمد ، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، القاهرة ، دار الشروق ، ط:2، 1996م .
- الفاسي ، علال ، مقاصد الشريعة ومكارمها ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط: 5 1993م .
- الفراهي ، عبد الحميد ، دلائل النظام ، الهند : مطبعة الحميدية ، 1388هـ ، 1968 .



- النظام مفردات القرآن "نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية ، ت: محمد أجمل الإصلاحي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط: 1 2002 م.
- القرطبي ، أبو عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، 1324 هـ ، 2004 م ، قطب ، سيد ، التصوير الفني في القرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، ط: 16 ، 2002 م - 1423 هـ
- في ظلال القرآن ، القاهرة : دار الشروق ، ط: 32 ، 1423 هـ ، 2003 م .
- قطب ، الريسوني ، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر ، المغرب : منشورات وزارة الأوقاف ، 1431 هـ 2010 م .
- القفاري ، ناصر بن علي ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد ، رسالة دكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود .
- علي بن إبراهيم القمي ، تفسير القمي ، ت : طيب الموسوي الجزائري ، ط: 3 ، 1404 هـ ، 1 / 25 .
- لخضاري ، لخضر ، الإمام في مقاصد رب الأنام ، الجزائر : دار المختار ، 2010 م .
- اللوح ، عبد السلام ، الإعجاز العلمي في القرآن ، غزة : آفاق للطبع و النشر و التوزيع ، 1423 هـ ، 2002 م .
- حوار مع الرماني في وجوه الإعجاز ، بحث منشور بالمجلة الإسلامية ، المجلد 16 ، العدد : 2 .
- لاشين عبد الفتاح ، من أسرار التعبير القرآني : صفاء الكلمة ، الرياض دار المريخ ط: 15 ، 1403 هـ .
- كاظم الضواهري ، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم ، ، ط: 1 ، 1991 م .



المقري، أحمد ، إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة ، مراجعة: عبد الله الغماري ، دار الفكر، ط:10.

مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج ، المسند الصحيح، ت : صدقي العطار ،بيروت : دار الفكر 1421هـ، 200م .

مسلم ، مصطفى ،مباحث في إعجاز القرآن ، الرياض : دارالقلم ، 1416هـ، 1996م .

مسلم ، مصطفى و مجموعة من الباحثين موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، جامعة الشارقة ، ط: 1 ، 1413 هـ ، 2010 م .

المازري، أبي عبد الله ، المعلم بفوائد مسلم ، ت: محمد النيفر ، تونس : ط:2،، 1988 م .

الأنباري ، محمد ابن القاسم ، ، كتاب الأضداد، ت : محمد أبو الفضل ، بيروت : المكتبة العصرية ، 1407هـ-1987م .

النحاس ، الناسخ و المنسوخ في كتاب الله عز وجل ، ت : سليمان اللاحم ، دمشق : مؤسسة الرسالة : ط:1، 1991م -1412هـ .

الواحدي ، أبو الحسن ، أسباب النزول ، المكتبة العصرية .



المقدمة.....	1
أولا: بيان لبعض خصائص الخطاب القرآني.....	10
أ- توطئة لضبط مصطلحي الإعجاز و المعجزة.....	10
ب- من خصائص المعجزة مراعاة أحوال المخاطبين.....	13
ج- من خصائص القرآن الإعجاز في تسوير الآي.....	16
آثار تسوير الآي القرآني.....	17
من مظاهر التسوير تناسب اللفظ لموضعه.....	22
هـ - من خصائص الخطاب القرآني تميز المفردة القرآنية.....	22
ثانيا : مراتب النظر في النص القرآني.....	24
أولا : مدرسة الباطنية.....	25
ثانيا : مدرسة الظاهرية.....	29
ثالثا :مدرسة ذي الأمرين.....	31
الفصل الأول :علم مقاصد السور القرآنية :النشأة و الماهية .	
المبحث الأول: نشأة مقاصد السور القرآنية :.....	34
المطلب الأول : الاعتناء بالمقاصد القرآنية العامة و الخاصة دون تععيد.....	35
المطلب الثاني: مرحلة التأصيل و التوظيف لفن مقاصد السور القرآنية.....	42
الفرع الأول :اعتناء الشاطبي بمقاصد السور القرآنية :.....	42
أولا: الاهتمام بالنظرة الكلية و بوحدة السورة :.....	42
ثانيا :التأسيس لضوابط تفسيرية تحقق مراد الباري عز وجل.....	45

- 47.....: ثالثا : الإشادة بقاعدة بناء المدني على المكي
- 47..... رابعا الاعتناء ببعض عادات القرآن
- 49..... الفرع الثاني مساهمة ابن الزبير الغرناطي
- 51..... الفرع الثالث : مساهمة أبو الفضل المشدالي :
- 54..... الفرع الرابع : مساهمة البقاعي في فن مقاصد السور
- 56..... أولا : كيف يكشف البقاعي عن مقصود السورة
- 57..... ثانيا : مسالك الكشف عن مقاصد السور
- 61..... رابعا نظرات حول منهج البقاعي
- 62..... المطلب الثالث : المرحلة التجديدية المعاصرة :
- 62..... الفرع الأول : مساهمة الفراهي :
- 64..... الفرع الثاني: جهود عبد الله دراز في خدمة المقاصد
- 65 ..... الفرع الثالث : مساهمة ابن عاشور في المقاصد القرآنية :
- 67..... الفرع الرابع : مساهمة السيد قطب :
- 68..... الفرع الخامس : جهود محمد الغزالي
- 71..... المبحث الثاني : حقيقة المقاصد القرآنية .
- 71..... المطلب الأول: تعريف مقاصد السور القرآنية
- 71..... الفرع الأول : تعريف المقاصد :
- 78..... الفرع الثاني: تعريف القرآن الكريم
- 81..... الفرع الثالث : تعريف السورة

المطلب الثاني: المقاصد القرآنية بين المنهج والعلمية	
الفرع الأول ضبط المصطلحات	83.....
الفرع الثاني: اعتبار المقاصد القرآنية من المناهج التفسيرية	88.....
الفرع الثالث: المقاصد القرآنية علم خاص	89.....
الفرع الرابع: علاقة مقاصد السور القرآنية بمقاصد الشريعة	90.....
الفرع الخامس: علاقة التفسير الموضوعي بمقاصد السور القرآنية	91.....
المبحث الثالث: أدلة اعتبار مقاصد السور القرآنية:	92.....
المطلب الأول: أدلة القرآن	92.....
المطلب الثاني: أدلة مستنبطة من السنة النبوية	99.....
المطلب الرابع: ورود أقوال عن الصحابة والتابعين تدل على مقاصد السور	101.....
المطلب الخامس: أدلة من المقعول:	105.....
المبحث الثالث: أنواع المقاصد القرآنية	106.....
المطلب الأول: التعرف على أهم تقسيمات المقاصد القرآنية	106.....
الفرع الأول: المقاصد المكية والمدنية	106.....
الفرع الثاني: مقاصد القرآن باعتبار تحقيق الصلاح	108.....
المطلب الثاني: المقاصد باعتبار العموم والخصوص	111.....
الفرع الأول: المقاصد العامة للقرآن:	111.....
الفرع الثاني: المقاصد الخاصة	117.....
الفرع الثالث: المقاصد الجزئية	118.....

- الفصل الثاني: المقاصد القرآنية بين مسالك التوظيف والكشف ..... 103
- المبحث الأول : مسالك توظيف المقاصد القرآنية ..... 123
- المطلب الأول : توجيه المتشابه اللفظي ..... 123
- المطلب الثاني: توجيه المتشابه في القصص القرآني..... 124
- المطلب الثالث: مسلك للترجيح بين المكي والمدني عند وقوع التعارض..... 128
- المطلب الخامس : الاسترشاد بالعلم بمقصود السورة في تفسير آياتها:..... 130
- المبحث الثاني : مسالك الكشف منبثقة من السورة :..... 133
- توطئة القراءة التدبرية و علاقتها بتحصيل المعاني ..... 133
- المطلب الأول: المسالك التعليلية القائمة على التناسب ..... 136
- الفرع الأول :مناقشة أهمية علم المناسبة ..... 136
- الفرع الثاني : المناسبات التعليلية الداخلية..... 146
- المسلك الأول :الترجمة لاسم السورة القرآنية و علاقتها ببيان مقصودها..... 146
- المسلك الثاني :مطالع السور و أثرها في بيان مقاصد السور..... 154
- المسلك الثالث :إشارة آخر السورة لمقاصدها..... 158
- المسلك الرابع تناسب آخر السورة مع أولها و الإشارة إلى المعاني المشتركة ..... 160
- المسلك الخامس :أثر العلم بالمقاطع وموضوعات السورة في بيان المقصود..... 162
- المسلك السادس :الإسترشاد بالتكرار اللفظي و المعنوي..... 167
- الفرع الثالث : المسالك التعليلية الخارجية ..... 178

- المسلك الأول دلالة السور على مقاصد بعضها البعض.....178
- المسلك الثاني: أثر العلم بالموقع الترتيبي للسورة في بيان مقصودها... 180
- المبحث الثاني : المسالك المتعلقة بحال السورة :.....184
- المسلك الأول: المكى والمدني و أثرهما في الكشف عن المقصود:.....184
- المسلك الثاني :فضائل السور كمسلك للدلالة على المقاصد:.....189
- المبحث الثالث :سورة الفاتحة دراسة لمقاصدها الكلية والجزئية
- المطلب الأول : أسماء السورة و دلالتها على مقصودها..... 195
- المطلب الثاني : المناسبات الخارجية لسورة الفاتحة و دلالتها على مقصودها .....202.
- الفرع الأول : العلم بموقعها الترتيبي ..... 202
- الفرع الثاني : العلم بأحوال نزولها.....203
- المطلب الثالث : تقسيم السورة إلى مقاصد جزئية ..... 204
- المطلب الرابع : المقصود الكلي لسورة الفاتحة.....206
- الخاتمة ..... 211
- الفهارس :.....214

## فهرس الموضوعات

---

214	فهرس الآيات:
220	فهرس الأحاديث
224	قائمة المصادر والمراجع
236	فهرس الموضوعات